

رَحَلَتِي فِي الْبَنَادِيرِ

من مذكرات

الشيخ اسكندر يوسف الحجايت



حقوق إعادة الطبع والترجمة والنقل محفوظة للمؤلف ❧

الطبعة الأولى سنة ١٩٣٦

تمت النسخة «البنون فونكا» ما عدا اجرة البريد



إذا لم يكن للمرء من ربه هدى فلا شيء بيديه من القيل والقال

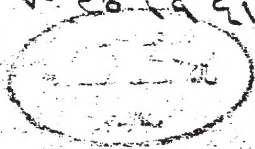
أحمد فارس السديقي

المقدمة

«رملة في البادية» فت بها منذ عشرين عاماً ، برفقة السيد باسيل
كورداه أحد رجال الحكم القيصري الرومي الذي جاء الشرق ليحجوب البادية
الآهلة بالقبائل العربية لغاية إظنها سياسية
تعرفت إلى الرجل في القاهرة بواسطة أحد أصدقائي الإنكليز ، وكان

٧٢٩٩, ٩٠١, ٥٧٢, ٥٨, ٥٩, ٤١

٧٠٢٥٢٩٤١ ٢٦



قد صرف مدة طويلة يبحث في خلالها عن يرافقه في هذه الرحلة الكثيرة المخاطر التي اعرضت عنها جميع شركات السياحة لما فيه من عظم المساوئ والاهوال

فتم الاتفاق بيننا وسافرنا من القاهرة في الحادي عشر من شهر اذار ١٩١٤ وخطتنا كما ترى في سياق الرحلة التي شاهدنا في اثائها من الماواث والعادات ما يستحق الذكر والتدوين ، فدونتها في مفكرة يومية ، رأيت اليوم ان انشرها بالطبع لما تضمنته من عادات القبائل وغرائب البلدان العربية التي زرتها من دمشق الى تدمر ، فدير الزور فالوصل عن طريق الجزيرة وجبل منجار حتى حدود كردستان وبغداد وجوارها ، ونهر الهيدر ، وارمينيا ، ثم الرجوع بطريق الجبال الى ماردين فديار بكر فاورفا فخاب الخ وقد قسمت هذه الرحلة الى ثمانية فصول لكل منطقة من المناطق التي مررنا بها فصل خاص يتضمن كلما يتعلق بالمنطقة المذكورة بعد رحلة مئة وثلاثين يوماً متواصلة على ظهور الخيل وتحت الخيام

درست في خلالها بنفسى احوال الصحراء ومجاهاها ومفاجاتها واخلاق سكانها . فجعلت من هذا الدرس قصة تاريخية فكاهية تجعل القاري ينتقل بنفسه ويفضل الاسلوب الخاص الذي وضع به الكتاب الى تلك المواطن البدوية التي يعرفها القليلون من الحضرة ، ويحتل باهلها ، ويسمعهم يتحدثون ويدلون بافكارهم الثابتة التي اكسبهم اياها الاختبار ، ويحافظون على شرفهم وعلى صيغهم محافظتهم على نفوسهم . وما سكان تلك المواطن التي اعني سوى العرب . فانك ايا القاري لتري نفسك منهم امام الاجتهاد والشرف العربي

والزود عن القبيلة وضيوفها ، والمحافظة على العادات والتقاليد الطبيعية العربية الصرفة ، والحكم البسيط العادل ، والمبادلات التجارية الطبيعية التي لا يشوبها الغش ولا الخداع ، والمحافظة على العرض ٠٠٠ والنسك في الاخر بالدين على ما غير تعصب كل هذا اجل نقرأه في المجموعة المتقدمة ذكرها بقلب روي مفيد يجعل الوقت يمر بك سراعاً وانت لا تشعر به ولا تكاد تنتهي من قرائتها حتى تحس في نفسك الرغبة في طلب المزيد ثم تنتقل بالفكر ايا القاري الى ذلك الساحل الذي يبرح بلاده ، ركباً متن البحار والاضطراب في سبيل التمتع بما ذكرت لك آنفاً من الاحوال والمشاهد ، ويسرك ان تتمتع انت بها دون ان تكون مضطراً بفضل هذا الكتاب ، الى تكبد شيء من تلك الاضطرابات ، وانت مقيم في بيتك او مكتبك ، فنستطيع ان نتجاز المئات والالوف من الاميال دون اقل عناء ولا خطر ، وان تمتع نفسك بما يتمتع به تماماً اولئك السياح المغامرون

وفضلاً عن ذلك في كتاب هذا من الكتب القليلة التي يمكنك كريب عائلته وضعها بين يدي بنيك ليتلقوا عنها دروساً في الحياة الحرة الشريفة لا يمكن ان يجدوها في اي كتاب آخر وما هذه الدروس غير بقية باقية من مناعة الادب العربي ، وطيب الاخلاق والمبادئ الشرقية ، التي كانت وما تزال حجة لنا على عراقه ايجادنا الماضية التي يحاول انكارها علينا الآخرون ثم انك لتطالع في هذا الكتاب الشيء الكثير عن تاريخ القبائل ، وعلاقات بعضها ببعض ، واستقلال كل منها في اعمالها ، وعدل امرائها وشيوخها وطرق اتعاون بينهم ، واجتماع كتبتهم في بعض الاحوال والظروف ، واحترام

بعضهم بعض والزود عن كيانهم وحريتهم وازدراؤهم بالموت في سبيل مبادئهم
وشرائعهم الطبيعية المقدسة الى آخر ما هنالك من الخصائص التي اجتهدت
كل الاجتهاد في جمعها سليمة من كل زيادة او نقصان
وقبل ختام كلمتي هذه اشكر جميع الذين تفضلوا بمناصري اديباً ومادياً
وشجعوني على تحقيق هذه الفكرة راجياً منهم ان يضعوا هذا الكتاب بين
يدي ابنائهم لتتمكن من المحافظة على البقية الباقية من مناعة الادب العربي
وطيب الاخلاق والمبادي الشرقية
ولي الثقة التامة بان هذه الرحلة التي لم يسبقني احد لي تدوينها متتال
الخطوة في اعين القراء واللهم ولي التوفيق

اسكندر يوسف الطايك





الشيخ اسكندر يوسف الحلي

« صاحب الرسالة »

ان لم يكن من الله حظ للفتى فاول ما يجني عليه اجتهاده



مدينة بيروت

الفصل الاول

من مصر الى بيروت فالشام فتدمر

١١ اذار - ٤ نيسان سنة ١٩١٤

تجهيز الحملة - الاوراق الحكومية في الشام - ثلاثة ايام مع قبيلة الحسنا
وهدية الشيخ محمد الملحم - الهجوم على ليليا في الحاد - اثار تدمر
او مدينة الورد - نبذة تاريخية عن تدمر وعن الملكة زينوبيا .

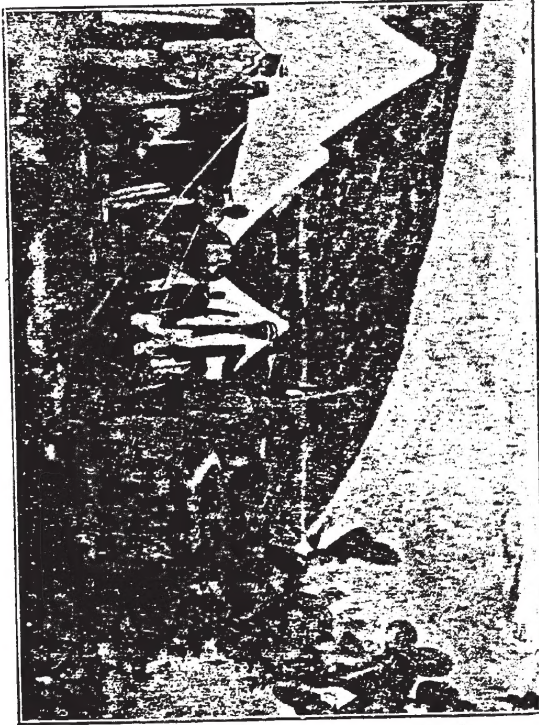
١١ اذار سنة ١٩١٤

ركبنا القطار الحديدي في القاهرة وكان ذلك في الساعة السادسة عشرة صباحاً
وما زال بنهب الارض نهباً سائراً بين تلك المروج الفسيحة الغناء الى ان وقف بنا الساعة

الخامسة مساءً في ثغر بور سعيد وهناك عند الساعة الثامنة ركبنا الباخرة التي اقلتنا الى بيروت تحت مجازق زرقاء صافية الادم

١٢ آذار

وكانت الساعة الثالثة مساءً فرست الباخرة في مياه بيروت ، نزلنا الى اليابسة وذهبنا توأ الى غرت الشباك حيث نصبت الخيام لمبيتنا تلك الليلة . وكنت سبقت وكتبت الى شقيقي (حنا) ان يوافيني الى هناك ليمنيني باعداد العدة اللازمة لرحلتنا فوجدته ينتظري وقد تأهب ليقوم مقامي في تلك المهمة اعتقاداً منه ان سافرتنا هذه لن تتجاوز دمشق فبلاد فلسطين . فابت عليه السفر مكافئ ولم ابع له بما كان من امري مع البيد الرومي خشية ان تقوم علي قيامته وقيامه والذي لدى تصورهم الاحوال والاختار التي كنا مزعمين ان نعرض لها في تلك المغاور والصحارى



الوصول الى غرت الشباك

بيروت

لمحة تاريخية

كانت بيروت أو (بيريوس) لأيام تقادم عهدها مركز الملك عاموتيدا المصري نائب الفراغة وكانت قائمة على اراضي الابلين في شمالي فينيقية وقد دمرتها حرب تريفون وانطيوخوس السابع سنة ٦٤٠ قبل المسيح فعاد الرومان وشيدوها مطلقين عليها اسم « كولونيا جوليا اوغستا فليكس بريتوس » وهي ابنة الامبراطور اوغسطس

ثم جاء هيرودس الكبير فالثالث وبنوا فيها الحمامات والمسارح وجروا اليها الماء من نبع (المورغاس) المعروف اليوم بنبع الداشونية واشتهرت بيروت في تلك الازمنة بمنسوجاتها الحريرية . وقد تدمرت بالزلازل سنة ٣٤٨ مسيحية ، وفتحها المسلمون سنة ٦٣٥ ثم استولى عليها الصليبيون فبقيت تحت سيطرتهم من سنة ١١٣٥ الى سنة ١٢٩١

وملك عليها الامير نجر الدين المعني من سنة ١٥٩٠ الى سنة ١٦٤٤ وعقد في ايامه معاهدة مع المصريين فازدهرت حينئذ التجارة وكانت الامير هنا قد صرف ست سنوات في ايطاليا فراقته بناتها في بيروت سجلة بنات علي شا كلتها وكان للامير المعني اعداء الداء فما زالوا يعملون حتى الفوا لحاربته حزبا شديدا اليأس فدحر الاخصام ابنه عليا الذي قتله الاتراك في صفه وقتل بعده الامير والده في الاستانة .

وفي سنة ١٨٣١ استولى المصريون على بيروت تحت قيادة ابراهيم باشا ابن محمد علي بالامير مصر فرموا مرفأها فتفوق على كل من مرفأ صور وصيدا وفي سنة ١٨٤٠ ساعد الانكليز جماعة الترك على اخراج المصريين من بيروت وضواحيها فاستعادها الترك وظلوا اسياد البلاد الى نهاية الحرب الكبرى



حوش الصنوبر في بيروت

بيروت قائمة في وسط سهل ضيق منحدر نحو البحر على شكل لسان يجعلها شبه جزيرة . اكتشفها البسائين الحصنة من جهتها الجنوبية والشرقية وتتصل بمجرى نهرها الذي يصب في خليج مار جرجس (الخضر) وتمتد على ستة كيلومترات من نهر بيروت وهو حدها الشرقي الى رأس بيروت الذي هو حدها الغربي حيث ينتهي بالبحر رغما عن ان بيروت كانت مرسحا للغزاة والفاحين وموطنا لشعوب كثيرة مختلفة لم يظهر فيها من الانار ، الا بعض نوادر واعمدة من حجر السباقي المالس وقد ظهر فيها حديثا شيء من الانار حينما هدم الاتراك بعض اسواقها القديمة ايام الحرب الكبرى وهذا دليل قاطع على بقاء اثار تشعق الذكر مدفونة في جوفها تقسم بيروت اليوم الى اثني عشر منطقة (اي حيا) وهي ١ دار المراسي ٢ ميناء الحصن ٣ رأس بيروت ٤ الميطيه ٥ المزرعة ٦ الباشورة ٧ زقاق البلاط ٨ المرفأ ٩ الدبني ١٠ المدور ١١ الرملة ١٢ الاشرفيه سكانها الوطنيون والاجانب بحسب الاحصاء الاخير يبلغون ١١٣٤٠٤ نسمة ما خلا الدين قيدوا تقوسهم في مناطق الجبل

١٣ و ١٤ آذار

كنا نفي باعداد ما يلزم لرحلتنا فاضطررنا الى قضاء يومين كاملين في فرن الشباك
جهزنا خلالها الحلة اللازمة

١٥ آذار

غادرنا فرن الشباك باكراً وكان الطقس عاصفاً فسرنا تحت وابل من الامطار الى
ان بلغنا بمحمدون فاستأجرنا هناك منزلاً خالياً لا اثاث فيه ولا ريش فافترشنا
بعض ما كنا نقله من الامتعة وبننا ليلتنا تراتح بعد عذاب ذلك النهار

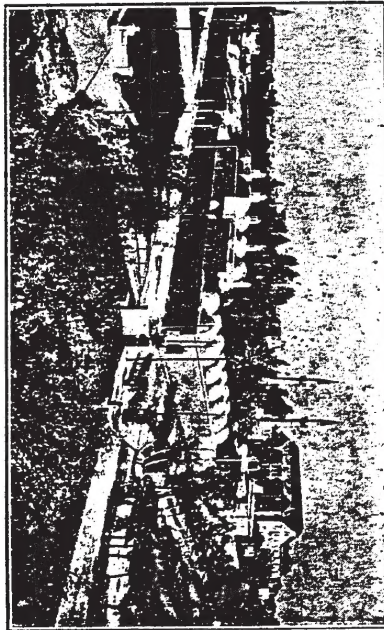
١٦ آذار

اصبحنا فاذا بنا تحت جو لا يزال عاصفاً فركبنا القطار الحديدي في محطة بمحمدون
نسير منها الى دمشق موزعين الى رجال الحلة استبتاجوا المسير فنجتمع معاً في تلك
المدينة وقد اوصلنا اليها القطار عند المساء فبننا ليلتنا تلك في تول خوام
دمشق باب الحجاز وحسن البادية وعاصمة سوريا قديماً وحديثاً قائمة غربي صحراء
سوريا التي تكتنفها من جهاتها الثلاث ما عدا الجهة الشرقية حيث تقوم سلسلة من جبال
شامخة الذرى يحدّها شمالاً سلسلة جبال انجيليان الممتدة شرقاً نحو الصحراء وغرباً يميل
الى الشمال جبل قافر وجبل قصبون وجنوباً براكين جبل يعرف بالجبل الاسود - وعين
الغوطة التي تعرف بغوطة دمشق ، جبل المني ، والغوطة كناية عن بساتين نضرة سيف
ظاهر المدينة - على مسافة ثلاث ساعات ومن جبل انجيليان تنفجر الينابيع والانهار اليها
واشهرها نهر بردى الذي يتفرع بعد خروجه من منبعه الى سبعة اشهر
اما منبهرات دمشق فهي اشهر من ان نعرف عنها وعمّا هي عليه هذه المدينة من جمال
المنابر ومدهشات الطبيعة
عدد سكانها ١٧٠ ألفاً - اسلام ونصارى، يهود والاكثرية الساقطة فيها من الاسلام

دمشق الشام

لمحة تاريخية

هي جنة سوريا واحدي مدائنها التاريخية - عاصرت الاراميين والفينيقيين واليونانيين
وبني اسرائيل والروم والعرب - طوقتها فيما عبر جيوش الفاتحين واطلق الغزاة خيولهم



جامع السلطان سالم في دمشق

عليها يريدون ضمها الى املاكهم . استعمرتها ذرية آرام واكتسبها الاسرائيليون وحاربها ملوك اشور وخفقت فوق ايراجها اعلام الروم ورضخت لحكم الخلفاء ، واعتلى عرشها صلاح الدين ثم اغتصبها التت واستولى عليها بنو عثمان وانتهت الحرب الكونية فتملصت من نير الاتراك واستقلت تحت اشرف الدولة لافرنسية

١٧ اذار

غادرنا النزول باكراً تفرج على دمشق وما فيها من الآثار البديعة والبنائات الفخمة فوزنا بجوامعها وكنائسها ومقابرها واسواقها الشرقية وعدنا الى النزول في ساعة متأخرة من الليل .

١٨ اذار

واصلنا التجوال في المدينة نتفقد بقية ما فيها منتظرين وصول الحملة وما نصننا ذلك النهار حتى كانت بين ايدينا فنصنا الخيام في جنبتي على المرجة قريبة من نزل خوام

١٩ اذار

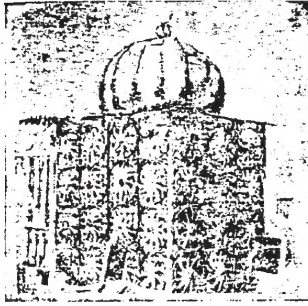
عدنا نكل ما كان ينقصنا من المعدات مهتمين بالحصول على الاجازات الرسمية والتوصيات المتنوعة في شتى المراكز وكنا نحسب هذه التوصيات ضرورية جداً لتسهيل رحلتنا . فاستغرق عملنا هذا ثلاثة ايام بكاملها

٢٠ اذار

غادرنا دمشق حوالي الساعة الثامنة صباحاً راكبين خيانتا وكنا في «حرستا» حوالي الساعة التاسعة ومن هناك تابعتا المسير الى «دوما» فوصلنا اليها بعد مرور نصف ساعة ثم مررنا الى «خان القصير» فالى «خان عياش» وكان ذلك عند الساعة الحادية عشرة صباحاً .

فكفنا هناك نحواً من ساعتين ونصف الساعة نتناول طعام الظهر ونرتاح من اتعاب السفر .

«وخان عياش» هذا كان في تلك الازمنة نقطة عسكرية بحرسها ثمانية من رجال



الدرك تحت قيادة جاويز وكانت الحكومة البائدة تغير اولئك الحراس مرة في كل شهرين .

وقنا نتابع السفر ووجهتنا «القطيفة» قبلغناها عند الساعة الرابعة وكانت حاشيتنا لا تزال على الطريق تحت حماية نفر من رجال الدرك فانضمت اليها عند الساعة السادسة ونصننا الخيام في باحة داخل «خان اسنان باشا» وهناك بقنا ليلتنا

«والقطيفة» قرية صغيرة يتدفق قبر ستنا فاطمة في دمشق في وسطها نبع ماء صغير يقع على مسافة قصيرة من الخان المذكور آنفاً . وفي هذه القرية لبن معروف ببودته ولورها غنية بالكلاء وبطف البهائم والمواشي

٢٣ اذار

عند الساعة الثامنة صباحاً نهضنا مودعين «القطيفة» وما مر على ذلك نحو ساعة ونصف الساعة حتى كنا في «خان العروس» ثم مررنا تاركين الحملة في ذلك الموضع فكننا في «النبك» عند الساعة الرابعة مساءً وانضمت اليها الحاشية عند الساعة الخامسة

وسيك «النبك» تنتهي طريق العربات فتصبح المسالك بعدها وعرة فقرة

٢٤ اذار

غادرنا النبك عند الساعة الثامنة صباحاً قاصدين الى (دير عطية) فكنا هناك عند الساعة الحادية عشرة . واذ كنا نجوب القرية ابتداءً لبعض الحاجات التقينا كاهناً من الروم الارثوذكس فقال لي رفيقي السائح هذا كاهن رومى ، وناداه محبباً ملماً ودعانا الكاهن الى زيارة كنيسه وكانت على مسافة قريبة من مكان اجتماعنا وما كدنا فصل اليها حتى التقينا استاذ المدرسة الخاصة بالجمعية السكوية المشيدة في تلك البلدة

فاتقرب منا واح علينا بزيارته في داره فكان له ما طلب . واجتمعنا في النار الى شقيقة
الاستاذ وكاتنا تشفقان الغنيات في معهد خاص بالجمعية المشار اليها وقد نفقدنا جميعاً ذلك
المعهد فوجدناه منتظماً على ما يناسب ذوق العصر
وكنا عولنا على متابعة السفر على ان اوائك القوم ابوا علينا الا قضاء ليلة عندهم
فتناولنا العشاء عند الاستاذ ورقدنا في داره وكان الاستاذ هذا نبياً ليلاً ارشدنا الى
اشياء كثيرة من احوال تلك النواحي وكنا نجعل اكثرها

اوتيل مسابكي شتورا

لصاحبة الياص مسابكي



المعروف بلوكندة
شهر المل وهذا يكفيه
تعميقاً فالعروسين يختارن
الحل المطابق لشهر عليهما
لحد الان لا يوجد فندق
يزاحمه بذلك

اذا تزلت في اوتيل

مسابكي فتشمر انك في بيتك وبين اهلك «من جرب عرف»

٢٥ آذار

خرجنا من دير عطيه عند الساعة الثانية صباحاً كآلوف عادتسا وكانت وجهتنا
(حميرة) فبلغناها عند الساعة الحادية عشرة وخطارنا الى البقاع فيها الى العصر وهو
الوقت الوحيد لاستقاء المواشي والدواب
ثم تابعنا المسير فكننا في (مهي) نحو الساعة الخامسة مساء . وهناك نصبنا اظليام
في خان فيصح هو كناية عن بناية كبيرة عظيمة المدخل قامت في وسطها فسحة طويلة

عريضة تحيط بها الغرف من كل الجهات
وفي (مهي) هذه اثار قلعة رومانية بعيدة العهد ونبع ماء غزير وسكانها باجمعهم
مسلمون وحواليها من الجهات الاربع القبائل العربية المختلفة الاصل التنوعة المذاهب
والعادات والاختلاف

٢٦ آذار

طلع النهار فودعنا (مهي) نقصد الى (القريتين) فبلغناها عند الظهر ونصبنا
خيامنا في حوش (موسى سليمان بنوعوم) وهو رجل من ابناء السريان الكاثوليك وله
ثروته في تلك الربوع
تناولنا طعام الغذاء واسترحنا من عناء السفر وقتنا نستقصي احوال تلك البلاد
وعادات اهلها واخلاقهم - ورقدنا ليلتنا في ذلك الحوش

ليمانون بالاس اوتيل

عاليه

تقوم في اول البلد كاشفة على نظارة بدبسة لجهة البحر فيها الحمامات الخصوصية
والمياه الجارية - مطبخها متقن - الخدمة فيها بغاية الدقة - من حولها مقهى جميل
فيه جميع اسباب السلى اسعارها لا تزاخم التجربة اكبر يوهان

٢٧ آذار

جاءنا من اثباتنا بوجود نزل (منزل) في القريتين يؤمه الغرباء باجمعهم وقد جعله
صاحبه - وهو من اغنياء سلمي تلك البلدة - مأوى لجميع الناس على اختلاف نحلهم
وطوائفهم . فقال لي رفيقي السائح : هيا بنا اليه - ذهبنا فاذا بالنزل بناية كبيرة الغرف
والدور وفي جملتها قاعة كبيرة معدة للاستراحة والى جانبها باحة فسحة هي باحة الاكل
وجميع الغرف خست بالنوم وفيها الفرش العديدة يسطونها على الحصير

وما ان ولجنا القاعة الكبيرة حتى ابصرنا عربياً جميل الطلعة في عقده الرابع يحيط به العربان هيايين ساكنين فسالنا عن اصله وحسبه وكنيته فقبل لنا انه امير عربي بدعي الشيخ « محمد الملمح » وكان شيخ قبيلة « الحسني » ثم عرفنا انه كان عائداً من احدى غزواته فتقدمنا اليه مسلمين فدعانا الى الجلوس على مقربة منه ثم ابدر حديثه قائلاً :

قضيت على ظهر جوادي نحواً من ثماني واربعين ساعة ولكني عدت مسروراً غانماً راجعاً . وكان بعض رعاة مواشينا في البرية فسطا عليهم خمسة وعشرون فارساً من العربان جيراننا وسلبوا منهم خمسين بعيراً . اتعنى الي انظر وكنيت في القبيلة وحدي وكان فرساننا باجمعهم يعيدون عني فاشتطيت جوادي مستصباً هذا العبد الذي ترونه واقفاً على عتبة هذه القاعة . وما زلنا نتعقب اولئك الفرسان الى ان ادر كناهم وكان قد مر على ذلك ما يناهز من الساعات اربعا وعشرين فاسترجعنا (الحلال) حيث فر اولئك الاندال تاركين المسروق بين ايدينا . وما اناذا الان ارتاح مسروراً بعد ان صرفت ثماني واربعين ساعة على ظهر جوادي

قلت : وهل جرت العادة في هذه البلاد ان تسطو قبيلة عربية على قبيلة اخرى دون ما سابق عداوة او خصام بينها ؟

قال : كلا . انما تتمدى قبيلة على اخرى متى كانتا « دشتمان » اعداء او بينهما نار وكثيراً ما يتفق ان عصابة من اللصوص تسطو على احدى القبائل على غرة كما وقع لنا مؤخراً . وليس بيني وبين امير هؤلاء القوم الذين اعدوا علينا الا العلائق الطيبة الودية على ان اولئك الفرسان اسلوا خفية من رجال قبيلتهم وقصدوا ان يسرقونا بدون ان يوعز اليهم بذلك اميرهم او شيخهم او احد من زعمائهم . والدليل على ذلك عدم مقاومتهم اذ انهم تركوا الملوب حالاً وقعت ابصارهم عليّ . ولو انهم فعلوا ما فعلوا بمشورة اميرهم لجاءهم من قبله من بعضهم ويقاومونا حتى النهاية

قلت : وما اسم هذه القبيلة ؟ قال : البعا . قلت : وهل لكم اعداء باسدي الامير قال : لا نخاف من بعضهم على اننا مرتبطون بالصدقة والاخاء مع اكثر قبائل هذه البقعة انما يجب على البدوي ان يكون في البرية على تمام التأهب لرد كل هجمة يولدها له المستقبل . ولست اخفي عنك انه كثيراً ما تغتحم قبيلة قوية من ضعف قبيلة مجاورة فرصة

للاقتضاض عليها وسلبها ونهبها وهذا ما يدعوننا الى السهر المتواصل على كياننا القومي والى انتقام امير او شيخ (خوش راجل) باسل شجاع ورأينا الامير منزجاً من تعب السفر فودعناه وقد سالنا ساعة الوداع عن مكان نزولنا فقلنا : اننا ناصبون خيامنا في حوش موسى سليمان ابو نعوم . فقال : انني اعرفه وان شاء الله ازورك هناك خرجنا من التزل نستفيد البلدة حيث زرنا مقابر النصارى القديمة ثم عدنا الى مرادقنا ونحن معجبون بشدة بأس ذلك الامير

في محل :

بشاره احمد فته

سوق الطويلة - بيروت

تجدون جميع اصناف الاجواخ والاقنعة المتنوعة لزوم السيدات والسادة . وقد اشتهر بالتفصيل والخطاطة المتقنة من يوم تأسيسه في سنة ١٩٠٨ ومن جرب عرف العنوان التلغرافي : بشاره فته - بيروت

٢٨ اذار

كنا مصممين على قضاء يومنا هذا في القريتين فذهبنا عند الساعة العاشرة صباحاً الى محلة فيها تعرف برأس العين فشاهدنا هناك اثار قلعة رومانية قديمة العهد وعدنا الى خيامنا لتناول طعام الظهر وعند الساعة الرابعة مساءً بينا كنا جالسين على جوالق من القش اذ اقبل علينا عبد شاكى السلاح فحيانا وقال : مولاي في اباب قلنا : فليشرطنا بدخوله

دخل الشيخ محمد الملحم يحيط به عشرة من اركان قبيلته كانوا قد جاؤوا للاقاته عائداً من سفره الذي اشترنا اليه سابقاً فوحيته به قائلاً : اهلاً وسهلاً ومرحباً، على عادة العرب . قال : مرحباً بكم انتم من كرام الضيوف . قدمننا لهم المقاعد فأبوا الا الجلوس نظرونا على جوالق القش، سألتهم كيف يشربون القهوة فاجابونا مجردة من السكر . وقدمت لهم من لافائف التبغ اللبناني من صنع مملكتنا في بيت شباب، فوجدوها الشيخ للذبة وصرح لي اذ ذلك انه يود كثيراً لو يزور لبنان ويحبه وير بلدتنا فيزورنا . ثم طلب النساء ان تزور مضارب قبيلته القائمة على مسافة اربع ساعات من خيانتا فترجمت لرئيسي مقال الشيخ فقبل الدعوة شاكرآ . قال الامير : ساكون عندكم غداً صباحاً ونسير جميعاً الى مضاربنا ، ثم ودعنا وانصرف

٢٩ اذار



الشيخ محمد الملحم شيخ قبيلة الحسني

ما دقت الساعة السابعة صباحاً حتى كان عبد الشيخ محمد الملحم يبشرنا بقدم مولاه وبمئته عشرة من اخصائه . فادخلناهم مرحبين بهم ثم اعددنا عدة السفر . وما كان غير القليل حتى غادرنا القريتين وركبنا الخيل بصحبنا الشيخ الكريم واعوانه وبندها رجالنا والقافلة بجراصة دركي واحد وثلاثة من اخصاء الشيخ محمد وصرنا متكئين عليه تمايلي وجبتنا مضارب القبيلة

وما كنا نبتعد عن القريتين حتى شرع العربات يقومون على ظهر جيادهم بالعاب الفروسية المتنوعة . وكان الشيخ راكباً الى جانبنا يقص على مسامعنا تفصلاً من حوادته الغابرة . واشياء مهمة عن اخلاق وعادات تلك النواحي وكنت لاحظت بان بالشيخ عرجاً فأنفذ عن سبب ذلك فاجابني قائلاً : قتل والدي وكنت صغيراً فاصراً فانتقلت مشيخة قبيلتنا الى عمي ثم اتفق ان قتل عمي فاراد اولاده ان يستأثروا بالمشيخة وكنت اولى بها منهم فتنازعنا وتحاربنا ولكنني تغلبت عليهم في آخر الامر .

وفي خلال المعارك التي دارت بيننا احببت بضربة سيف في رجلتي كانت سبباً لعرجي ولما كانت الوسائل الطبية والصحية بعيدة الدال في هذه الغيايي لم يتسن لي ان اتعالج فبقيت على ما ترى

قلت وما فعلت ببناء عمك بعد انتصارك عليهم ؟ قال . تركتهم وشأنهم حافظاً كرامتهم ساهراً على راحتهم كل السرور والان يعيشون معي لا حقد بيننا ولا ضغينة يعترفون لي بالمشيخة خاضعين لاحكامي ومؤتمرين باوامري نظير كل فرد من افراد القبيلة ولا تعجب اذا قلت انهم من اشد اعواني غيرة علي وحبا لي قلت : الا تحشى غدرهم ؟

قال : حاشا وكلا . لسنا من جماعة الاتراك . انما نحن عرب لا بغدر احدنا بالآخر واذا شاء اعرابي منا ان يحارب اعرابياً مثله حاربه علانية واخطره قبل ذلك مراراً طالباً منه مطالب اذا رفضها وقعت بينهما الواقعة . بناء عليه لا خوف علي اصلاً من هذا القبيل والى الان لم يحدث في قبيلتنا ما يشتم منه رائحة الخيانة وما الخيانة الا دأب الجبناء وليس جبان بين ابناء عمي فانهم باجمعهم بواصل شجعان ذوو نفوس عالية واخلاق ابية وما زال الشيخ يحدثنا الاحاديث اللذيذة الى ان انتبهنا الى مضارب القبيلة وقد استقبلتنا كوكبة من الفرسان بامسا زيج الطرب واتاشيد الفرح قائلين « تشربفكم غالي شير » اعني تشربفكم غالي كثير وكان جميعهم يرددون بالصوت الواحد يا مرجحاً بالذيوف يا مرجحاً يا مرجحاً

وما حي الا هنيئة حتى شرعوا بالعاب رياضية تذهل الالباب وامم ما يذكر حركات الجياد حين تهاجم الفرسان فانك لترى الجواد مسرع من تلقاء ذاته الى الموقع المسلأم

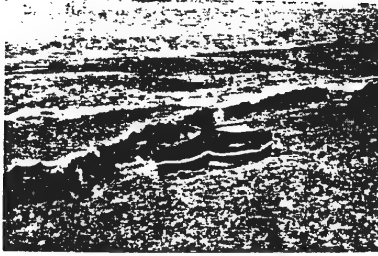


الوصول الى قبيلة الحسني

بوا كبه فكانه يدرك ما يجب عليه لتوفير العناء والمشقة على الفارس

لم أر بين هذا العدد العديدين من الفرسان من يمسك بيده لجاماً او رسماً بل كان كل منهم يلعب فرسه ويديرها بإشارة يعملها سيفه او بندقيته او رمحه لأن كل من القوارص يحمل هذه الأسلحة وعلى صدره كمية كبيرة من الخرطوش السيف على جنبه والبندقية في كتفه والرمح بيده الشمال ممدود عرضاً على السرج ومنهم من يضع البندقية بين اذني الفرس سائداً ايها الى رأسه الفرس يركض ورأسه لا يتحرك ، ومنهم من يضع الرمح على السرج عرضاً متوازناً فلا يقع رغم كثرة الالعب وسرعة الحركات واختلافها كثير منهم يدورون تحت بطن الفرس ثم يعودون الى السرج بينما الفرس تسير بسرعة البرق ، ومنهم من يطرح السيف على الارض والفرس تنهب الارض نهبا ثم يأخذه بقبضته ، ومثل هذه الالعب كثيرة مدهشة اجروها ما لنا اكدت لنا انهم بالحقيقة من امهر الفرسان

وما كدتا نلج الخيام حتى نهض رجال القبيلة واقفين مرحبين بنا واقتادونا الى «بيت الاستقبال» وهو عبارة عن خيمة كبيرة من شعر الماعز الاسود قائمة على اربعة اعمدة ومفروشة بالسجاد المعجمي الفاخر . ودعانا الشيخ محمد الى الجلوس فجلسنا معاً على مقعد



يملأ عن الارض نحواً من نصف ذراع والمقعد عندهم مؤلف من عدد من السجاد توضع السجادة فوق الاخرى الى ان يحصل الارتفاع الذي ذكرنا . ولا يستعملون المقاعد الخشبية لانهم يرون يحملها جريل العناء حين يرومون التنقل

قسم من مضارب قبيلة الحسني

وما كدتا نجلس حتى رث في اذاننا صدى طرق موقع توقييع الانغام الموسيقية . فألنا ما هذا ؟ فقل لنا : طرق اجرات البن واذا شتم تفضلوا وانظروا . خرجنا من الخيمة وقصدنا الى بيت الطيخ كما يسميه اولئك العربان وكان على مسافة بضعة امتار وشاهدنا خمسة عشر رجلاً يدقون البن في خمسة عشر جرنا . وكانت الاجران ومدقاتها من الخشب الجيد ووجدنا في كل جرن كمية زهيدة من البن ويوزعون البن على الاجران المعديدة للسرعة في العمل . وقد اعتادوا ان يحضروا البن عندما يرومون شرب القهوة تركنا بيت الطيخ ودخلنا خيمة مجاورة فاذا هنالك عشر بدويات يدقن ويرقصن حول الاجران رقصاً موقفاً على الدق

ثم دعينا لتناول الطعام فادخلونا خيمة تعرف عندهم بيت الال وهي قائمة على اربعة اعمدة وقد فرشت ارضها بالسجاد فجلسنا بشكل الحلقة وقدم لنا العبد الطمام على الصورة الآتية :

١ صينية من النحاس مملوءة من لحم الغنم وقد جعلوه قطعاً كبيرة . ووضعوا فوق اللحم اربعة رؤوس غنم كاملة وغير مقطعة . وكانت يحمل الصينية اربعة عبيد ومعهم عبيد خامس جالس طاولة صغيرة من الشعر المجدول وضعها تحت الصينية التي اصبحت على علو عشرة سنتيمترات عن الارض في وسط الخيمة

٢ ثلاث طاوولات صغيرة وضعت على مقربة من الصينية الكبيرة ليتمكن الجميع

من تناول الطعام بدون الزعاج

- ٣ ثلاث صينيات صغيرة مملوءة سمناً سمناً وضعت على الطاولة المذكورة آنفاً
- ٤ طاولة كبيرة وضعت في الوسط وعليها صحن كبير جداً مملوء أرزاً أعدوه على شكل هرمي
- ٥ قدور عديدة مملوءة لبناً يشبه الجبن وخبز محمص على حرارة الشمس . اما الحضور فكانوا اربعة عشر : شيخ القبيلة وثلاثة من ابناء عمه وثمانية من اركان قبيلته وانا ورفيقي السائح

أشار اليها الشيخ ان تناول الاكل في مقدمة الجميع فاجبته شاكرآ قائلاً تفضل اولاً يا مولاي

فاخذ قطعة من اللحم وغمسها بالسمن ولاسها . ثم تناول بيده كتلة من الارز وطرحها في اللبن ثم انقلبها يميناً حملاً يسيراً طاسة اللبن وقد وضعها تحت ذقنه ثم أكل كتلة الارز بلباقة غريبة بنوع انه لم يسقط منها حبة على عباؤه

توقفت ورفيقي عن الاكل فظن الشيخ انه لا يسعنا ان نعمل عمله . فامر اذ ذلك احد البعيد ان تأتينا بطبقين نظيفين وشوكتين وملعتين وسكينتين ، فقلت له وهل عندكم يا مولاي من هذه الادوات ؟ قال :

نعم ، على اننا لا نستخدمها ، وقد خصصناها بالضيوف الذين لم يعمودوا تناول الطعام على شاكلتنا

وسالت الشيخ قائلاً :

ما رأيت احداً مد يده الى شيء من هذه الرؤوس الارسية الموضوعة فوق اللحم فما معنى وجودها والحالة هذه ؟ قال :

هي عادة القبائل في كل البادية ويقصد منها احترام الضيف واکرامه ، اننا نقدم اربعة رؤوس اكراماً اضيف تحب من ذوي الطبقة العليا وثلاثة لذوي الطبقة الثانية واثنين لذوي الطبقة الثالثة وتقدم رأساً واحداً للضيوف العاديين الذين يؤمنونا لحاجة كسحار السمن والصوف كما اننا نقدمه لامراء القبائل المجاورة التي تربطنا بها علائق الصداقة والاخاء

ولما انتهينا من الاكل غرض الشيخ وقال احمد الله تفضلوا فنهضنا معه جميعاً ومسرنا



بيت الاستقبال في قبيلة الحسي

الى بيت الاستقبال فرأينا عبداً جالساً في وسط البيت وامامه نار شكها لفت نظري لانها تختلف عن المعتاد . فسألت الشيخ :

ما هذه النار ومن اي شيء تتولد ؟

قال : من بئر الجمال لان القهوة لا تكون طيبة على نار قوبة فبئر الجمال ناره خفيفة وامام النار ثلاثة اباريق نحاسية فيها جميعها ماء تغلي فبعد ما جلسنا وضع العبد البئر في اول ابريق ثم وضعه فوق النار خمس دقائق في اثائها فرغ المياه من الابريقين الآخرين في ابريق كبير اتى به احد البعيد ووضع قرب النار ، ثم بعد خمس دقائق فرغ الابريق الذي فيه البئر في الابريق الثاني ووضع فوق النار ايضاً نحو خمس دقائق ثم فرغه في الثالث ووضع فوق النار نحو خمس دقائق ثم وقف وحمله بيده اليمين وحمل بيده الشمال الفناجين فوق بعضها بعضاً وكان يضع في كل فنجان مقدار جرعة واحدة من القهوة فيقدمه لواحد من الجالسين حتى اخذوا كلهم ثم استأنف إغلاء القهوة في ابريق آخر وسقانا مرة ثانية ثم مرة ثالثة هذه طريقة عمل القهوة عند العرب او « القهوة العربية » تؤخذ ثلاث جرعات ولكنها لذيفة ومسكرة في آن واحد

وازقت الساعة الرابعة مساءً فسمعت اصوات اجراس القافلة فقلت للشيخ :

جاء رجالنا مردوا لهم يمكن ينصبون فيه الخيام فامر قومه بالعمل فاطاعوا ، ثم قال :
اتريدون ان تتفقدوا القبيلة ؟

قلنا نعم

فقال اركبوا جيادكم لان المسافة بعيدة ويشق عليكم ان تسيروا على الاقدام ،
فسرنا والشيخ معنا والى جانبه احد العبيد يحرسه بسيفه . دخلنا المضارب فاذا بيمضها
كبير وبعضها صغير ، منها ما فرش بالسجاد ومنها بالشعر ، من العربان عراة ومنهم من
ارتدى الملابس الفاخرة الشنية ، فاحببنا ان نطلع على احوال القبيلة مفصلا فكانت بيني
وبين الشيخ المحاوره الاتية :

قلت : ما هو نظامكم فيما يتعلق بالفراد العائلة (عائلة امير القبيلة) ؟
قال : ماذا تعني بذلك ؟

قلت : اعني الانظمة التي تسيرون بموجبها حفظا لكرامة العائلة

قال : يتزوج افراد العائلة من بناتها زواجا صحيحا شرعيا

قلت : وهل تهـبرون السبي زواجا صحيحا شرعيا ؟

قال : لا يكون السبي زواجا صحيحا شرعيا ما لم يكن مقيدا بما يأتي :

باعتقاد مجلس عائلي مؤلف من افراد معينين فاذا ثبت للمجلس هذا ان السيدة المسبية
من اصل شريف جدير باعتزاجه بعائلة البدوي الذي سباه كان الزواج شرعيا صحيحا
والا فلا

قلت : ليتنى لشيخ القبيلة او اميرها ان يتزوج بنساء عديدا ؟
قال : نعم

قلت : واولاد اية امرأة يكونون اولى بان يرثوا المشيخة

قال : كانت الشريعة تخص المشيخة باكثر العائلة سنا ولكن الشريعة هذه قد
تلاشت واضمحلت فاصبح الشيخ من احرز المشيخة بسيفه وسطوته

قلت : والحالة هذه يسم رجالا غريبا عن العائلة ان يجرز المشيخة بسيفه وبأسه

قال : ذلك مستطاع ولكنه صعب المال . اجل انك المنازعة على المشيخة يشود
ثارتها بين افراد العائلة ولكمهم يتكاتفون وينضمون لمقاومة اي غريب ودخيل فيتمتدح
على هذا الاخير والحالة هذه ان يغتلب على مجموع العائلة . واعلم ان البدوي لا يخضع الا

لابن النسب وسليل الدم الشريف

والى الان لم يتمكن دخيل من التسلط على القبيلة

قلت : لو قتل شيخ القبيلة ولم يكن له ولد ذكر وكانت له زوجة وبنات فاذا
يكون حظهن بعده ؟

قال : تعود اليهن ثروة الشيخ يرمتها ولا يسم احداً غيرهن ان يستولي على درهم من
تلك الثروة ، ويظل معاشهن معاش افراد العائلة

ولو اتفق ان قبيلة اخرى تغلبت على قبيلتين واخضعتهما لسلطانها بقوة السيف فن
واجب القبيلة الغالبة ان تحافظ على كيانه افراد عائلة القبيلة المغلوبة مقدمة لهم سائرا
يحتاجون اليه من امور المعيشة ، وتكون عائلة القبيلة المغلوبة اسيرة للغالبة ولكنها
اسيرة مكرمة لا ضغط عليها ولا حيف ، فهي سنة بين القبائل على الاطلاق لا يخرقها
الا بعض الشذاذ

قلت : وماذا يكون معاش عائلة الشيخ القليل ؟ هل من امتياز لافرادها ام انهم
خاضعون للنظام العام ؟

قال : يسري عليهم نظام القرابة فلا امتياز لهم في المعاش او في شيء آخر ، وكثيرا
ما يتفق انهم يكونون ذوي ثروة طائلة فلا ينحصر مهمهم بامر معاشهم انما يعنون بامر
حفظ كرامتهم ومزلتهم في الهيئة الاجتماعية

قلت : وهل يمكن البدوي ان يميز بين سيدات العائلة ببقية سيدات القبيلة ؟

قال : نعم ، فان العاريات او حره العائلة يرتدين الملابس التي تميزهن ، زد على هذا
انهن يرتدين المزداج ، بين ان بقية النساء لا يرتدين سوى الخلال (الجسار) ويحيط
بنساء العائلة في سهرمن الحرص والحشم والخدم ، ولكل سيدة منهن اسم خاص ونسب
خاص تعرف به بين القبائل

قلت : وكيف يعرف شيخ القبيلة وهو راكب بين فرسانه العديدين فهل من
علامة فارقة تميزه ؟

قال : نعم ، فهو يسير دائما في مقدمة الجميع وتكون ملابسه انحر من سائر الملابس
ويتقلد سيفه الذي هو سيف اجداده . واعلم يا صاح ان لكل قبيلة سيفها يتوارثه المشايخ
قال هذا واسئل سيف قبيلته وناولنيه فقرأت فيه تاريخنا يعود الى سبعة مئة وقد تمش

عليه امم مؤسس القبيلة هكذا :

شيخ قبيلة الحسي : بقوة ومعاونة نبي الله صلى الله عليه وسلم

سبيل سنة ٧١٢

وقد نقتت الكتابة هذه على نصل السيف بأحرف ذهبية

ارجعت السيف وقلت : ألم يسبر سيدي الشيخ فيما مضى ؟

قال : استغفر الله ، ما اقدمت قط على هذا العمل اللئيم ولا فعل ذلك احد ابناي عائلتنا

قلت : ولماذا ؟ اتعدون ذلك عيباً ؟ نحن نسمع ان العمل هذا عمل شجاعة

قال : لا انكر انه عمل شجاعة ، غير انه لا ينبغي عليكم ان نساءنا بكرهن هذا العمل اذ انهن يعتبرنه دليلاً على عدم اكتفائنا بين فتجد في طلب غيرهن وهذا ما يعكر صفاء الحياة العائلية

قلت : واذا كان البدوي عازباً هل يعاب اذا سبأ ؟

قال : كلا ، اذا سبأ وتزوج لا لوم عليه ولا تريب ولكن السي كثير ما يولد الضغائن بين القبائل فيكون والحالة هذه وخيم المغبة ولذلك نكرمه ولا تقدم عليه الا مرغبين

ثم اتينا الى مركز رجالنا فوجدناهم قد نصبوا الخيام واعدوها بكل ما يلزم فدعونا الشيخ الى شرب الشاي فقبل الدعوة شاكرآ

وعاد الشيخ البنا بعد العشاء فصرقنا السهرة في مرادقتنا ، وفي خلاصنا كلفني رفيقي السائح بالحديث الآتي :

يفتخر المرء في الغرب بثروته ثم يعلمه ومعارفه قبل هذا دأب البدوي ؟ اجاب الامير قائلا :

لا يفتخر البدوي بثروته او بعلمه والعلوم عندنا قاصرة جداً انما افتخاره منحصر بالفرسية والشجاعة فهو يعتقد انه متى كان فارساً شجاعاً تمكن من اكتساب الثروة بسيفه وبأسه ، وليست الثروة في نظر البدوي مدعاة للافتخار ولذلك رأيت وهو بين اقاربه يمدحك عن جواده وسيفه ورحمه وعن النزوات التي كانت في جملة افرادها وما شاكل هذه الامور



بيت في قبيلة الحسي

قلت : وفي اي سن

يتزوج عادة رجالكم ؟

قال : يتزوج البدوي

عادة وقد اصبح بين الخامسة

عشرة والعشرين سنأ وهو

مضطر الى الزواج في مطلع

شبابه اذ لا سبيل له الى

ارضاء الطبيعة بالتجماع الى

الدعارة وبواب الدعارة مخلقة

عندنا

قلت : وهل حوادث الطلاق كثيرة بين القبائل كما هو شأنها في المدن والقرى

العامة ؟

قال : كلا ، فالطلاق عندنا نادر امره اذ لا يعاشر رجالنا سوى نساءهم فلا تفسد

اخلاقهم والحالة هذه من منازل نساء غريبات عنهم

قلت : وكيف احوالكم وعلاقتكم مع الدولة العثمانية ؟

قال : نحن ورجالنا على خلاف دائم ولا سبيل لنا الى التقرب من ولاة امورهم فهم

يعتقدون بنا الحمجية والخيانة والقدور ونحن نحسب الاتراك الداعاء العرب يضررون

لهم الحق والبعضاء

قلت : وهل يفرض عليكم مال لهذه الدولة ؟

قال : اننا ندفع لما ضرورية الاملاك الثابتة غير انها لا تكفي بذلك فبذل كل ما

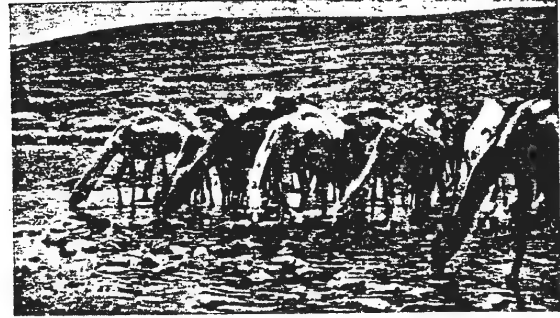
بوسعها لجمع الاعشار وكثيراً ما لا تنجح

قلت : اتؤثرون بقاءها سيدة البلاد العربية ام تفضلون تقاض ظلها عنكم وجلول

غيرها محلياً ؟

قال : اننا لا نحب الدولة العثمانية غير اننا لا نفضل سواها عليها لاننا نجعل ما

شيكون من امر دولة او امة جديدة تستولي على املاكنا . ولا اخفي عنك اننا نؤام



الجمال تشرب قبل الرحيل

مستقلون بادارتنا و حكمنا فلا علاقة بنا لها من هذه الوجوه ولا خطر على كياننا القومي ما زلنا جبينين عن الحضرة ولا نضطر الى ارتياد المدينة الا لبيع غلاتنا وشراء لوازم معيشتنا

قلت : وبأي الطرائق تستجليون اسلحتكم ؟

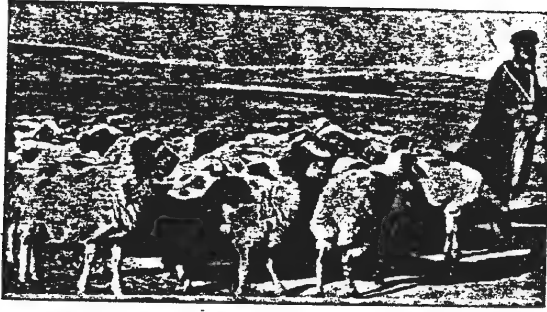
قال : بواسطة البجار الذين يأتوننا بها الى وسط القبيلة ويتفاوضونا عليها ثمنا فاحشا فالبنديقية التي تباع في الشام بست ليرات مثلا نشتريها بأثني عشرة وهكذا قل عن غيرها ثم ما طال بنا الا ان نصرف الامير عائدا الى مضربه . وما كنت انخفض جفني حتى جاءني احد رجالنا يقول لي :

اني اسمع وقع اقدام خيل ، فيبحث به يستطلع الخيل فعاد وقال :

شاهدت ضابطا تركيا يصحبه عشرة من جنوده وقد ذكر لي اسمك وهو يرغب في مقابلتك ، فاوعدت اليه ان يدعوهم الى الخيمة ، فعمل

حياتا الضابط ثم قال :

اننا آتون اليكم من قبل مدير القريتين وذلك محافظة على ارواحكم واموالكم من عند البدو فانهم غونة اسافل لا زمام لهم ولا وجدان



الغنم تشرب قبل الرحيل

اجيبته : ولكننا عمتون لهم كثيرا فقد اكرموا وفادتنا واحسنوا ضيافتنا وعلى كل حال نحن شاكرين لعطف المدير علينا ولاهتمامه بنا وسنبدل الجهد لا ببدء امتناننا يوم نمود الى القريتين . اهلا بكم ومرحبا بقدمكم ووقد الضابط وجماعته ليلتهم عندنا .

٣٠ اذار

كانت القبيلة قد عازمت على الانتقال في ذلك اليوم فمرنا على الانتقال معها اقتباسا لفوائد جديدة لما علاقة بعادات العرب واخلقهم فمر بنا الشيخ حوالى الساعة الخامسة صباحا وقال : هيا بنا الى الرحيل

سرتا معا على الاقدام مسافة قصيرة فوجدنا بدويا في مطلع الشباب واقفا على رابية صغيرة الى جانب بركة طائفة بناء الامطار (والى جانب برك كهذه ينصب العربات خيامهم ارواء لابلهم وبقية مواشيهم)

فنادى الشيخ الغلام قائلا : اسق يا علي

فاخذ علي ينادي الابل والغنم قائلا : راسله ياراحله : وظل يردد كلمته هذه نوحا من عشر دقائق وشرعت الابل تقترب والغنم بعدها من البركة وتشرب وتناولت المواشي شرابها بنظام وترتيب عظيمين وابتعدت عن الماء

ونحو الساعة التاسعة
كانت القبيلة متأهبة للرحيل
فسارت على النمط الآتي :
سارت الجمال أولاً
تحمّل الخيام أو البيوت وسائر
الذخيرة والادوات وسار
قدامها خمسون فارساً بقيادة
شيخ عربي في عقده الخامس
سارت بعدها المواشي
على اختلاف أنواعها ومعها



قبيلة الحبي راحلة

الرعاة وعائلاتهم وكان قدامها أيضاً خمسون فارساً بقيادة شيخ عربي في عقده الرابع
وسار موكب العائلة منتظماً هكذا :

الحرم في خمسة عشر هودجاً وحملن الحرس الخاص بين ويتألف من خمسين فارساً
من نخبة الفرسان . ثم الشيخ أمير القبيلة وإلى جانبه ابنه الصغير وكان وحيداً وابناء عم
الشيخ وكانوا ثلاثة وعبدان مسلحان بحرسان الشيخ ومن حوله
وفي مؤخرة الجميع سار الفرسان فرقا فرقا وقد امتطوا جيادهم وتقلدوا اصلحتهم
وكان عددهم على ما افادنا الشيخ ثلثمائة فارس
مشينا والقبيلة حتى الساعة الثانية بعد الظهر وكنا انتهينا الى بركة ماء في محلة
يُعرف بالوادي واقعة الى الجهة الغربية من قرية (مهن) وهي القرية التي كنا فيها في
الخامس والعشرين من اذار

وفي تلك المحلة نصبنا مرادقنا ونصب العربان خيامهم
وكان ذاك الوادي خصباً كثير المرعى فمرح العربان ماشيتهم في سهوله ثم مشى
اركان القبيلة امام الامير يسألونه ما يجب ان يعملوه في الغد وكانت الشمس قد قاربت
المغرب فاجابهم الامير قائلا : لقد عزم شيوخنا الكرام على مقادرتنا غداً بناء عليه
صنع كسك يومنا هنا لاننا مضطرون الى ارسال قسم من فرساننا يرشدون هؤلاء الضيوف



حرس العماريات

الى الطريق المؤدي بهم الى السلطاني ويحرسونهم اثناء سيرهم
وفي تلك الليلة دعونا الشيخ واركان القبيلة الاربعة لتناول العشاء على مائدتنا
معتذرين لهم عن عدم تمكننا من دعوة غيرهم نظراً لضيق المقام
وقدمنا لهم الاطعمة على الطريقة الادوية فمضوا بذلك كثيراً وطلب اليها الشيخ
ان نطلعه على الطريق التي ازمعنا سلوكها فقلنا له اننا عائدون الى بيروت عن طريق
حلب فجا نبص فيملك
قال : اوصل منكم اذن ان تزوروني في (ديرة) حصص اثناء رجوعكم الى بيروت
لاننا نكون هناك في تلك الاونة وارشدني الشيخ الى طريقة الوصول اليه في (ديرة)
حصص بدون عناء ومشقة

وسألني الشيخ قائلا - وماذا دعا رفيقك السائح الى تحمل مشاق هذه الرحلة ،
فترجعت للسائح كلام الشيخ فاجاب ، دفعتني الى ذلك درس حياة البدو واحوالهم وعاداتهم
واخلاقيهم وامثالهم الخ
وسأل الشيخ ما اذا كانت الرحلة هذه على نفقة حكومة السائح ام على نفقته الخاصة
فاجاب السائح انها على نفقته الخاصة على انه سيقص على حكومة القيصركل ما يهبها من

موز العربان مبيتاً لرجالنا ما لي يتسك من غروب الحفاوة والاكرام وحسن الضيافة
وعندها اعتذر الشيخ قائلًا :

ما زلنا بعيدين عن تادية كل ما يجب علينا نحوكم ولكن لنا عذرنا فنحن في البرية
على انه اذا زرقونا في ديرة حمص نتمكن من سدل الحجاب على قصورنا في هذه الصحراء
ودعنا الشيخ ورجاله عائدین الى خيامهم للاستراحة والنوم وعندها قال لي رفيقي :
سها عن بالناسال عن كيفية الارث عندهم وعما اذا كانوا يتمشون على الشريعة
الاسلامية المعمول بها في الحضرم انهم مصطلعون على انظمة وقواعد خاصة بهم
قلت له :

نأسله غدًا انشاء الله

لوكنمة مينا هوس

بيروت

احسن مركز في المدينة لها مناظر جميلة يوجد فيها جميع الوسائل للراحة مع طعام
مفتخر . (الاسمار مشاودة)

شارع البوسطة نمرة التلفون ٥٨ - ٦١

٣٩ آذار

حوالي الساعة السابعة صباحاً جاءنا الشيخ يزورنا قبل مفادرتنا القبيلة وكان قد
استصحبني في الليلة الغائرة لتفقد شؤون الخيل ، وهي عادته في كل ليلة قبل ان يذهب
للرقاد . فسألني ما اذا كانت جيامهم قد اعجبني ، فاجبت ان اكونيتها من اصل كريم
« وكنت قد شاهدت بينها جواداً حديدي اللون ازرق تحبته من اصل مختلف عن
البقية فوهت للشيخ بذلك » فاجابني فوراً :
« لو كنت تعلم كم الى هذا الجواد في الغزوات المدبدة لغيرت اعتقادك - ثم نادي

احد عبيده وكان اسمه مرجان قائلًا :

أتنا يا مرجان بسمود « وكان اسم ذلك الجواد مسعوداً » فاستنجز البعد امر مولاه ،
ولم يكن من الشيخ الا انه صاح بي قائلًا :

هذا الحصان هدية مني اليك تفضل واركبه وانتهاء مرورك بخص ترجمه الي ان لم
يعجبك فاقدم لك غيره : فقبات هدية الشيخ شاكرًا لالطافه وكرم اخلاقه ، وعذت
فسألته عن العادة المتبعة عندهم فيما يخص بالارث فاجابني :

انهم تابعون للشريعة الاسلامية بمخذاها ، غير ان الابنة المسبية تفقد حق الوراثة
ثم ودعنا قائلًا :

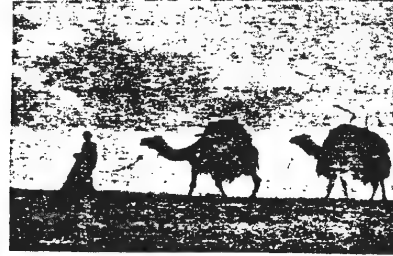
لقد اوعزت الي عشرين فارساً برفاقتكم الى طريق السلطاني وهم مستعدون لخدمتكم
حيثما تشاؤون ، قلت :

شكرًا لك فليس من داع لازعاجكم اذ ان يرفقتنا ضابطًا واثني عشر جنديًا واطنهم
يعرفون الطريق ، فقال :

ليس من يعرف الطرقات هنا سوى العربان الذين درسوها وداوسوها مراراً . ولو
اكدهم الضابط وجنوده انهم يعرفونها لا تصدقهم ويحوز انهم يرشدونكم الى طريق
السلطاني ولكنهم لا ينجزون العمل قبل مرور يومين ان لم يكن اكثر في حين ان
رجالنا يرشدونكم الى ذلك بعد ثلاث ساعات

ودعنا الشيخ شاكرين لاهتمامه بنا ومرنا والفرسان والضابط وجنوده . وما مرت
ساعات ثلاث حتى انتهينا الى طريق السلطاني فاصبحنا بأمن من كل خطر . وعندها
اشار الي رفيقي ان اقدم للفرسان عشرين ذهباً عثمانياً فطلبت كبيرهم وقدمت له المبلغ
المذكور فرفض قبوله قائلًا . نحن نخدم ضيوف اميرنا ولنا مستأجرين . قلت انه المبلغ
زهيد مقدم لكم على سبيل الهدية وليس على سبيل الاجرة . فاقبله من الساعه اذا شئت
فرفض قائلًا . كنت احسبكم تعرفون عادتنا . لا يقبل البدوي الشريف مكافأة على
مروته ، ونفره بروثته . ثم اذا وقف اميرنا على خاستنا عفتا وبعث في وجهنا بناء عليه
لا تلجوا علينا بقول درهم واحد . عندئذ عرضت عليه صندوقاً من لثائف البخر اللبناني
مؤونة لطريقهم فقبله شاكرًا وعاد الفرسان ادراجهم

ورافقتنا الضابط التركي ورجاله حتى القرينين . وكنا هنالك عند المساء . فقصينا



جمال العربان تنقل الصوف

خيامنا في المحل الذي قنا
فيه قبل رحلتنا الى ارض
القبيلة اي في حوش موسى
سليان ابو نعوم وهناك
بقنا ليلتنا

١ نيسان سنة ١٩١٤

نهضنا باكراً وتأهبنا
لزيارة مدير القريتين
نشكركم لاعتنائكم براحتنا

وحراستنا فكان على باب داره حوالي الساعة السابعة صباحاً . استأذنا فدخلنا فاذا بنا امام شاب تركي جميل الطلعة لا يتجاوز الثلاثين من عمره . فاجلنا ثم جلس وقال :
كنت مضطرب البال من نحوكم فاليدوي خائن غدار لا يؤمن بشيء ولذلك بعثت
بمن يحرسونكم ويرافقونكم في رجوعكم .
فقال له رفيقي جئناك الان نشكر لعنايتك هذه وسوف اذكرك ما حييت ولن
انس جملك .

ثم قدموا لنا القهوة فشرناها شاكرين ونهضنا نودع المدير . فمضى رفيقي في اذني
طالباً مني ان استأذن المدير فقدم شيئاً من المال لاولئك الذين قاموا بحراستنا ومرافقتنا
فإني قائلاً : انهم جنود مكلفون بالسر على الامن الماء ولم يفعلوا سوى واجبهم ولا اجر
على الواجب زد على هذا اننا لا نريد ان يتمودوا عادة كهذه .

عدنا الى مضاربنا فوجدنا كل شيء معداً للرحيل فقمنا برجالنا قاصدين الى (قصر
الحير) وكانت الساعة التاسعة صباحاً . فانتهينا الى ذلك المكان عند الساعة الثالثة مساءً
فتناولوا الطعام في ظل الابار القائمة في تلك البقعة

وتعود آثار (قصر الحير) الى عهد زنوبيا ملكة تدمر التي تعرف بمدينة الورد
وبما يروى انه كان في ذلك المحل خزان كبير لاهراز المياه التي جرتها زنوبيا من عين



الفيجة الى تدمر .
وما زالت بين تدمر
وعين الفيجة آثار
القناة الحجرية التي
اصطنعها تلك
الملكة .

ثم سرنا ورجالنا
الى ان ادى بنا
المسير الى مفازة

فسيجة فقصنا الخيام

العربان حول قصر الحير

على حفصة وكانت الساعة السادسة مساءً
وكان الطقس رديئاً والبرد قارساً وهبت في ذلك الليل عاصفة قوية فجاءت ضغناً
على اباللة ولم يغمض لنا جفن وخشينا ان تشد العاصفة فتقتلع خيام الخيام
ومرت ساعتان على انتصاف الليل فأحس الحراس بوقع اقدام خيل في الجهة الغربية
فأسرع ينقل الى الخبر فاعوزت اليه ان يذهب ورفقاءه لمجاوبة ما قد بطراً علينا وذهبت
الى مرادق السائح وايقظته طالباً منه ان يكون على استعداد وحذرفنض وتقلد بتدقيته
ثم مرنا باجمعنا غرباً وكنا تأهبين لكل طارئ . وما اصبحتنا على مسافة خمسين
متراً من مضاربنا حتى شاهدنا مجرى مياه شتوية فكشنا هنالك
ومر على ذلك نحو نصف ساعة فابصرنا على مقربة منا خيالا بشرباً ، فصحت قائلاً :
قف مكانك يا هذا والا اطلقنا عليك انار فقال :

لا تخافوا فما انا الا بصديق لكم قلت :

ومن يكون هذا الصديق ونحن لا نعلم اننا في هذه البقعة صديقاً ، انطلق بالصدق
والا قتلت

قال : لا تطلقوا النار ايها الناس فلست بوخدي ، انما نحن خمسون فارساً ، فاذا
قتلتموني كان ذلك وبالاً عليكم

لا تخافوا وهيا انتفام ولكم من مروءة
العرب اعظم ضامن لسلامتكم، قال هذا
ونزل عن جواده ودنا منا وحيانا بهذه الكلمة:
«السلام عليكم !»
قلنا : وعليك الف سلام ، وما خبرك ؟
وما قصدك ؟

فعاد وقال : السلام على الضيوف قلت :
والسلام على ضيوف اتوا الينا في مثل
هذه الساعة

قال : رأينا الخيام منصوبة فقصدنا اليها
على ان المسافة بعيدة فاضطرونا الى السير
لينا كله ولم نستطع الوصول اليكم قبل هذه
الساعة ولا يخفى عليكم ان تقدير المسافات
صعب في المفاوز والسهول

ثم اتينا به الى الخيام وقد منا له القهوة وكانت الساعة الرابعة بعد منتصف الليل
قسائنا ماذا تطلب منا فقال :

بلغنا ان معكم عرباناً من احدقاتنا فجئنا نسلم عليكم قلت :

ومن اعلمكم بذلك ؟ قال :

علمنا انكم كنتم بضيافة الشيخ محمد الملحم وانه رافقكم الى هنا وان يبعثه احد
ابناء عمه .

قلت : نعم كنا في ضيافته وقد ابدى اذا من كرم الاخلاق ما لا يسعنا ان نساها
على انه لم يصحبنا الى هنا ولا ابن عمه ايضاً . وقد اخطأ من نقل اليكم خبر مجيئه الى
هذه البقعة .

قال : اني اقرأ على جبينكم علام الجار الكريم ، فيحققكم قولوا لي اذا كان
الشيخ محمد الملحم عندكم



البدوي ضيف الليل

قلت لو كان الشيخ محمد معنا لما انكرنا عليكم امره . وما زال هذا الشيخ صديقاً
لكم ماذا يمنعكم من التصريح بما تطلبونه منه ، ارى في المسألة سرّاً
قال : يا ان الشيخ غير مقم ينكم لا حاجة الى البحث بامره
قال هذا وسار الى مربوط الخيل فابصر الجواد الذي قدمه لنا الشيخ محمد . وعندها
عاد فقال : انني لاجب من قولكم ان الشيخ محمد الملحم ليس معكم وقد شاهدت بام
عيني جواده مربوطاً بين جيادكم

قلت لقد قدم لي الشيخ محمد هذا الجواد فاصبح ملكي الخاص . وقد اوشك الفجر
ان يثني فيمكنك اذ ذاك ان تتفقد الخيام وتتفقد ما اذا كان الشيخ معنا ام لا
ثم دعوته ليجلس الى جانبنا ففعل ، وكانت الرياح قد سكنت . فسالته . وماذا
دعاك الى معاناة المشاق في هذه الليلة الباردة ؟ لا بد ان في المسألة سرّاً فهل لك ان
تطلعنا على ذلك ؟

قال : سأطلمكم على السر عند الصباح بشرط ان لا يكون الشيخ عندكم
وعندها انتقلنا الى التحدث عن احوال القبائل العربية المجاورة لتدمر وكنت اترجم
لرفيقي ما دار بيننا من الكلام . وما زلنا نتحدث الى الساعة الخامسة وقد طلع النهار
فافتاد رجالنا البدوي الى الخيام يتفقدونها واحدة واحدة ثم عاد الينا وقال : انتم
بالحقيقة اناس صادقون . لقد احسن الينا الشيخ محمد الملحم صنيعاً فجئنا نسلم عليه ونشكر
لافضاله

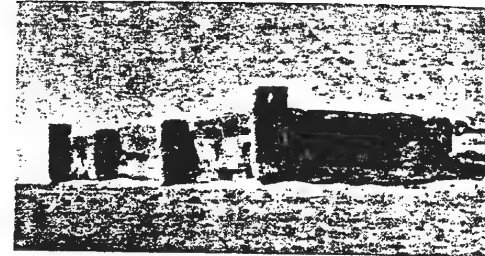
ولربما زعمناكم فاعدرونا . وارجوكم اذا قابلتم الشيخ فيما بعد ان تقولوا له اننا
قصدا ان نبدي له عواطف امتناننا لفضله ومعروته قلت :

وهل لك ان تقول لنا من انت وما اسمك ؟ قال :

اسم اعطيك اسمي ولكن الشيخ يعرف اصدقائه واعدائه حسبكم ما نظرت
وفي غضون ذلك . قبل فارس من رفاق ذلك البدوي وهمس في اذنه كلاماً لم نطلع
عليه ثم عاد ادراجيه . اما البدوي فظل عندنا الى ساعة زحيلنا ، وعندها ودعنا وانصرف

٢ نيسان

ركنا في حيرة من امر ذلك البدوي ولم يسعنا ان نجزم ما اذا كان يقصد السلام على



القلمة البيضاء

الشيخ محمد اللحيم
ام اذينة
وتركن الموضع
عند الساعة
السادسة صباحاً
قاصدين الى
« القلمة البيضاء »
فانتهينا اليها عند
الساعة العاشرة
وجلنا هنالك

تأخذ قسطاً من الراحة

ودعيت البيضاء نسبة الى جدرانها الخجلة باللون الابيض . وهي نقطة عسكرية ومحطة للقوافل التي تتعاطى المبادلات التجارية مع القبائل العربية ومع دمشق وحمص وحماة وغيرها من مدائن الداخلية ، وفي القلمة البيضاء بئر ماء سهل لنا ان نسي دوابنا وعند الساعة الحادية عشرة غادرنا القلمة البيضاء قاصدين الى تدمر فانتهينا اليها حوالي الساعة السادسة مساء . وتصبنا الخيام بين الاثار على كنف بنبوعها المعدني وكان الثعب والسرير في الليل الغابر قد اخذا منا كل مأخذ فتنازلنا الطعام . رقدنا رقاداً عميقاً

٣ نيسان

نهضنا من نومنا - والى الساعة السادسة صباحاً وقد استعدنا قوتنا ونشاطنا ، ساعدنا على ذلك الهواء النقي والمناخ الجيد فذهبتنا تنقذ الاثار . بنايات المدينة وقبورها ومعابدها وحصونها وقلاعها فاذهلنا ما شاهدنا هنالك من الاثار الفائلة على عظمة الاقدمين وعلى الحال الكثير الذي انتفوه في سبيل تلك بنايات المدمة

نظرة في تاريخ تدمر -

هي مدينة قديمة العهد كانت من اعظم المدن الشرقية ومن ارضها شأنا واكثرها عمراناً واوسعها تجارة . وموقعها في الصحراء بين الثرات والماضي على مسافة تناهز المائة



قوس النصر في تدمر

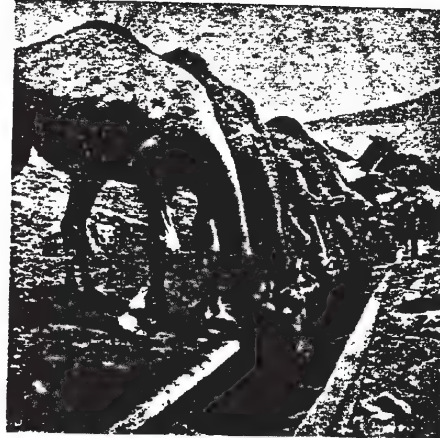
ميلا من حمص شرقاً والمائة والخمسين من دمشق شمالاً
قيل ان بانيها سليمان الحكيم . وقد بلغت ذروة مجدها في زمن الرومانيين وخاصة في عهد الملكة زينب .

لم يبق من عظمة تدمر في ايماننا هذه سوى اثار هيكل واطلال قصور وامحدة وقناطر وبنايات نفحة تفوق الوصف . وهي قبلة السياح وعلاء الاثار والتاريخ مدخلها حرم جيداً وهو واقع بين جبالين طبيعيين ، تزيدا مناعة القلع والمناقل القائمة فيها صف الى ذلك السور الذي يحيط بالمدينة ولم يبق منه الى الان سوى قطع ضخمة دلالة على همية السور الاحلية

على الجبل العالي القائم في غربها قلعة عظيمة تشرف على المدينة . وعلى ما فيها من جليل الاثار وجميل المناظر

اذا دنوت من احد قبورها وجدت النش على جدارته يضاهي المرمر والرخام وانزلت من اشكال تلك الحجارة الوردية اللون وكانت الحجارة هذه باعناً على تسمية المدينة بمدينة الورد .

لا نستطيع ان نشاهد من الهيكل الا قسمه الصغير لان المساكن قد قامت في قسمه الاكبر



أما الماء الجاري من
ينوعا المديني فهو حار
وكثيراً ما يستحب
ليلاً يستعمل في اليوم
التالي . وطعمه غير
لذيذ إنما الاستحمام فيه
جزيل المنفعة
في عهد محمد تدمر
وعظمة الملكة زينب
كان الشعب يستقي من
المياه التي جلبها الملكة
من عين الفيحة القريبة
من دمشق ومن نبع
البوة الواقع في بلاد
بعلبك وقد جرت

جمال العربان تشرب من نبع تدمر

للملكة نفسها مياه هذين النبعين إلى تدمر مصطنعة لمياه الفيحة واللينة اقية حجرية ما
زال آثارها ظاهرة الى يومنا هذا

وموقع تدمر الطبيعي جميل جداً فقد قامت هذه المدينة في وسط اراضٍ فيحة
واسعة ذات تربة جيدة وافرة الكلاء والخضرة وكانت تلك الاراضي تعطي فيما مضى
الغلال العظيمة الكافية لاغاشة الملكة يومئذ

وكانت تدمر في غايه الايام احدى محطات القوافل العظيمة ، ومركزاً تجارياً للحريز
ولكثير من غلال شرقي اسيا والهند التي كانت تستورد لها بلاد الغرب
في سنة ٣٤ مسيحية هاجمها مرقس انطونيوس فرحل عنها سكانها بكونوزهم واموالهم
المقولة ولاذوا بمحبي جيرانهم سكان الجزيرة مما يلي الفرات
وفي القرن الثالث بعد المسيح أصبحت تدمر جمهورية تحت حماية رومة وكانت اذ

ذلك وافرة الثروة

واكبر ملوك تدمر هو اذينة ابن السميدع وقد نادى بنفسه ملكاً وقدم للدولة
الرومانية خدمات جلي في حربها ضد سابور ملك الفرس . ثم نادى بذاته امبراطوراً فلم
يلت ان لقي حتفه على اثر تلك المصاداة تاركاً الملك لزوجه زينب التي اشتهرت بذكائها
وحبها للحروب وبذوقها الجميل

وفي عهدها بلغت تدمر اعلى درجات المجد والرخاء فانفتحت فيها الزراعة وجلبت اليها
النيابيع التي ذكرناها وحسنت ادارة الري ، وكان شعب تدمر لا يزال يتكلم اللغة
الارامية كما تبين من الاثار الخطية التي وجدت فيها ، اما الطبقة العالية من الشعب فكانت
تجيد اللغتين اللاتينية واليونانية

وقد توفقت زينب الى توسيع مملكته فبسطت سلطتها على سوريا وما بين النهرين
وعلى شطر كبير من الاراضي المصرية

غير ان مطامعها كانت سبباً لسقوطها فزحف عليها الامبراطور الروماني اورليانوس
قيصر ونكل بجيشها على مقربة من مدينة حمص وحاصر عاصمتها ففرت هاربة من امامه غير
انها ما لبثت ان اُمرت وسيقت الى رومه وهناك طوفوها في الشوارع يوم احتفال
الامبراطور بانتصاره عليها وكان ذلك سنة ٢٧٢ مسيحية . . . وعلى اثر ذلك اقامت
الدولة الرومانية حاميها في تدمر . غير انه لم يطل الامر حتى ثار الشعب على الرومانيين
فامر الامبراطور اورليانوس قيصر ببدم تدمر وهكذا تلاشى مجد تلك المدينة وسقطت
عظمتها . وفي عهد يوستينيانوس قيصر اعيد بناء الاسوار والميكل وتحصنت المدينة
فتتمت بالرخاء وازدهرت وبقيت على هذه الحال حتى دخول الاسلام اليها

وفي سنة ٧٤٥ مسيحية قامت تدمر الاحوال الشديدة والتحقق بها الاضرار الجسيمة
من جراء التنازع بين الامويين والعباسيين وقد ادى بهم تنازعهم الى حروب طاحنة
طويلة العهد

وفي سنة ١٠٨٩ مسيحية هدم الزلازل اكثر بنايات تدمر وبظهور ان جماعة اليهود
احتلوها في القرن الثاني عشر فاصبحت حينئذ اثرأ بعد عين

المستوصف العام للدركتور انطون شافووه

شارع مار نقولا زقاق مار لوليس - بيروت

اعظم واتقن مستوصف

معالجة بالراديو واشعة رنتجن والكهرباء عمليات جراحية - توليد - مختبر
لأجل الابحاث الكيماوية والميكروبيولوجية
غرف من جميع الطبقات

بنك الرهونات المصري

مركزه وكالة فخري بك - بيروت

شركة مساهمة افرنسية

مرخص بها من الحكومة اللبنانية بموجب مرسوم رقم ١١١ الـ
سلفيات بالقابضة القانونية على رهن المجوهرات والخطى والمجارة الكريمة والفضية
على اختلاف انواع ذلك من قيمة ليرة لبنانية سورية فصاعداً

اوتيل كوفيتفنتال بيروت

كاشفة على البر - حمامات خصوصية - قاعة الطعام متسعة - مطبخ حديث
ماء جارية سخن وبارد تحتوي على جميع اسباب الراحة

الفصل الثاني

من تدمر الى دير الزور بطريق الشولة الشامية

٤ الى ١١ نيسان ١٩١٤

صيد الطيور في ارك والخلاف على اجرة الارض - تحصيل ثمن
الفصيل عتوة - التعدي علينا من رجال قبيلة مكسورة
مقابلة الامير سلطان - حضور موقعة بين قبيلتين كبيرتين
الخوف من قافلة كبيرة - مقابلة متصرف دير
الزور - الاستعداد لعبور الجزيرة - التعرف
على محمد شيوخ ومساعدته لنا

٤ نيسان

تركنا تدمر عند الساعة الثامنة صباحاً وكنا في «ارك» - والى الساعة الاولى
بعد منتصف النهار وارك هذه قرية صغيرة قليلة الخضرة والكلاء وفيها ينبوع ماء بارد
لذيذ نحوم حوله طيور متنوعة بدية المناظر والاشكال وقد تسنى لنا ان نصطاد منها قسماً
فوجدنا لحمها طيباً شهيماً - وكان العاقص يومئذ جميلاً فبتنا ليلتنا هناك لا يزغنا مزعج
ولا يكدرنا مكدر

٥ نيسان

نهضنا باكراً تنأهب للسفر - وانا لكذلك اذ اقبل علينا رجل دلت ملاية على انه



الاشقياء

فواصلنا السير الى ان انتهينا الى « السخنة » وكان ذلك عند الساعة الرابعة مساء فنصينا خيامنا في ساحة واقعة عند مدخل تلك القرية حيث ينبوع التي تتدفق منه المياه الساخنة وكان الحر شديداً وقد انضمت اليه جحافل البرغش والحشرات والحوام فلم نصدق طعم الرقاد في تلك الليلة المشؤمة

٦ نيسان

تمزنا كمادتنا واهتمنا بشترى ما يكفيننا يومين وليلتين فقد كان لا بد لنا من الاستراحة في محطتين هما بير الجديد وكباكب وليس هنالك من زاد او من شيء آخر يسد حاجتنا

ثم توكلنا على الله ومشينا . وكذا علمنا ان الاخطار محدقة بنا في تلك المفاز لان بعض القبائل كانت آنذاك في غزوة قوية . ولم يكن بوسعنا ان نؤجل سفرنا وكانت تقطننا في السخنة عاطلة ولم نوفق الى إيجاد نقطة انسب منها في تلك البقعة

وما انتصف النهار حتى اشتدت وطأة الحر فاثرت على امرجنا تأثيراً شديداً وكثرت سيرة الحموى حملنا على ذلك سير الدواب الى جانبنا . فاعوزنا الى رجالنا ان يتقدمونا



احد فلاحي تلك القرية . دنا منا وحيانا فرددنا عليه التحية ثم افتتح كلامه قائلاً :
« انطونا » اي (اعطونا) اجرة الارض
وثن الكلا الذي اكلته دوابكم اجبته قائلاً :
ان يبدنا اوامر حكومية تجوز لنا نصب
خيامنا في اي موضع شطنا بدون ما يذل على
الاطلاق . وليس ما يمنعنا من تأدية ثمن الكلاء
قل لنا كم يبلغ . قال :
اريد اجرة الارض قبل ثمن الكلاء . فليس
للهكومة من شأن في اراضيها لانها تأخذ
اعشارها .

قلت لا بأس فكم هو مطلوبك ؟

قال . لو انكم استأذنتوني قبل نصب
الفلاح مالك الارض والقصيل في اورك
الحياض وتسرح دوابكم في المرعى انتقاضتكم مبلغاً يسيراً اما الان فاني اطالب بكمية كبيرة
وحبته يريد ان يتقاضانا مالا باهظاً فاذا به بعد الاخذ والرد وطول المخادلة يطلب
ربح مجيدي قبضه وانصرف عنا شاكراً داعياً لنا بسفر ميمون

وما كاد ذلك لرجل يتوارى عن ابصارنا حتى جاءنا فارس على جواده الاحمر . وبعد
التحية طلب منا بكل قعدة ان نعطيه ثمن الطيور التي اصطدناها في تلك البقعة وانكسأ
اربعنا على اعقابنا خاسراً

سمرنا وحملتنا ومن بعثت بهم الحكومة لحراستنا وما مر نصف ساعة على مسيرنا حتى
التينا بجمعة فرسان مدججين بالسلاحهم وقد تزلوا عن ظهور جيادهم حين بصروا
بالقافلة واخذوا الدابة التي كانت تتقدمنا (الباشك) فامرعت اليهم بجوادي وسألتهم
ماذا يريدون . فقالوا : نريد ثمن الطيور التي قصتموها عند البيع . فادر كرت اذ ذاك
ان القوم لموص نهايون فوجهت انظار الجنود خراسنا الى هذا الامر . وكان اولئك
الجنود شعباً بواصل فجردوا الصوف من اسلحتهم وتجزوا على جيادهم واستاقوم معنا

قليلاً ليفتشوا لنا عن مكان يأويونا من حرارة الشمس فمضنا على صخرة كبيرة لجأنا إلى ظلها وما هو غير القليل حتى مر بنا فرسان ثلاثة وكانوا من العربان وقد تقلدوا بأسلحتهم قدنونا منا والقوا علينا سلامهم فرددنا التحية والسلام ودعوناهم للجولس . ثم ابتسرونا اخدمهم وقال :

هل تقيم في طريقكم أميراً عربياً يحيط به رجاله ؟ قلنا :
لم نشاهد أحداً منذ خرجنا من السخنة . ومن هو هذا الأمير الذي تسألون عنه ؟
قال : هو الأمير سلطان قلت .
أأنتم من رجاله أم من خصومه ؟

قال : لا أستطيع أن أثبتك بشيء . من هذا لأن قوانين الغزو تحظر علينا هذا الأمر . فكنتم لهم لقافة تبغ فتأدولوها واشملوها . وسألني اخدمهم قائلاً أين ذاهبون وما معنى سفركم في هذه المفاوز الخطرة ؟

قلت : لا اظن ان علينا خطراً . فقد سبق لنا ان وجدنا بين جماعة من العرب فأكرم أميرها وفادتنا واحسن ضيافتنا وغمرنا بحبيله وكرم اخلاقه . ونحن الآن في بلاد عربية ولقي في العربية فلست بحاجة الى ترجمان للتعامل مع العرب . وافي اعلم حتى العلم ان العربي كرم الاخلاق بنظرة ابني النفس عزيزها وحتى كانت هذه شيمته فلا خوف منه ولا خطر

قال مبتسماً : يظهر انك تعيش منذ الكثير بين القبائل لانك تعرف حق المدرسة كيف تسير في البادية وكيف يخاطبون العربان
ثم سألتني قائلاً : اتحملون قطياً ؟ « ويتدون بالفطيم السكر بطعمونه اللطفال »
قلت : نعم

قال : انطيني « يعني اعطيني »

ومثله قال الثاني فالتألت

فاوعزت الى العشي ان يقدم لهم مطلوبهم من السكر ففعل
ثم سألتني اخدمهم قائلاً : وايش تعرفون وبايش تشترون « اشلم » اكلكم ؟
وهل معكم مجيديات ؟

قلت : معنا اوراق مالية على المصارف نستخدمها في المدن التي نمر بها ونشتري ما

يلزمنا وننقله معنا ولسنا نحمل مجيديات اذ لا فائدة منها فضلاً عن انها ثقيلة الحمل ومزعجة غير اننا لا نخلو احياناً من كمية قليلة منها
قلت هذا وتناولت كلا منهم مجيدياً واحداً وقد شعرت انهم كانوا من الاندال ومن ذوي الغايات السافلة

ثم التفت الي اخدمهم وقال :

هذا لا يكفي ، انطينا شئير مجيديات (يعني اعطنا كثير مجيديات)

قلت : لا نحمل غير ما اعطيناكم

قال : هذا الكافور (يعني السائح) معه شئير

قلت : كلامك يا هذا يعني انكم تريدون ان تسلبونا

اجاب : لازم مجيديات انطينا انطينا



الاشقياء

وكان هؤلاء الثلاثة جالسين الى جانبنا في خلال الصخرة وقد وضعوا يدايهم على الارض فاوعزت الي رجالنا باعتقال الاشقياء

فلم يكن من رئيس المكارين المرافق لنا واسمه خليل شاوول — الا انه هجم على البنادق واستولى عليها وتاولها لرفيقه رشيد غندور ابني عاصي وكان الاثنان من الابطال الشجوان ولا يخشيان مهابة ملاك الموت

ثم التفت خليل شاوول الى اولئك العربان وخاطبهم بلهجة قاسية قائلاً : حبسكم غلاظة تحولوا من هنا والا لومكم على انفسكم

وعندها سأل اخدمهم ما اذا كان عندنا زاد فاوعزت الى احد الخدم ان يعطيهم شيئاً لياً كلوا اعتقاداً انهم يأكلون ثم يعودون من حيث اتوا . على ان اخدمهم عاد فالح علي بطلب المجيديات . فقال له خليل شاوول . اذهب يا هذا وفش عن مرتزق في مكان ابعد من هنا . فهجم البدوي على خليل شاوول بريد صفعه . ولكن خليل لم يكن



حيانا فانقض على البدوي
وجندله - وقام البدوي
يطلب يندقته فلم يحظ
بها وللحال تكاتف
وجالنا وقضوا على
اولئك الاسافل واشبعوم
غريبا ولطأ ثم جردوم
من كل وسائل الدفاع
واستمداد منهم المجديبات
واوثقهم بالخال

خيام القبائل في الشولة الشامية

فلما رأى أولئك العربان انهم مغلوبون على امرهم طلبوا - اذا ان نفعو عنهم وان نطلق
سبيهم مظهرين الندم على ما فعلوا - ولكننا لم تأمن شرهم فلم يسمنا ان نخلي سبيلهم وقد
اصطحبناهم معنا في طريقنا
وما اجتزنا بعض المسافة حتى اخذ احدهم يتوسل الي قائلنا - بمحقتك يا راجل ارحمنا
واتركنا لاننا سنمر بسطان ولا شك انه سيقطع رؤوسنا اذا ما وقعت عينه علينا
قلت : يستحيل علينا ان نطلق مراحكم ، وسنسلمكم الى اول امير عربي يلتقي به
في مسهرنا
قال : بحق المروءة ارحمونا واتركونا والا ينجح لا محالة هالكون لان سلطاننا
سيقطع رؤوسنا
قلت : ولماذا يقتلكم سلطان ؟

قال : لانه غزا قبيلتنا وكسرها ، وقد قررنا من وجهه
قلت : لو سمح لي انفسكم ، فاذا التقينا بسطان سيف طريقنا بلدناكم اليه والا
سلمناكم الى رجال الدرك في بئر الجديد
ولا يسمنا ان تعاملكم معاملة غير هذه لاننا اكرهناكم واطعمناكم فظفناكم انما نخشى
بأسكم فرقمتم علينا عقبكم فستألفون جزاءكم



ومر على مسيرنا
فخو من ساعتين فانتهينا
الى مقارة فسيحة تحيط
بها الجبال من جهاتها
الاربعة نصبت فيها الخيام
الكثيرة لاهلة بالقبائل
العربية

وما طالع بنا
الامر حتى كنا امام
كو كبة من الفرسان

الامير سلطان ورجاله

يتقدمهم شاب في مقبل العمر جميل الطلعة شريف الملامح تدل ملامحه على انه رئيس
تلك الكوكبة

فاستدبرته بالتحية والسلام ، فرد التحية باشا ثم قال :

من القوم ؟

قلنا : سياح

قال : الى اين ذاهبون ؟

قلنا : اننا قاصدون الى قبائل العرب للاصلاح على عاداتها ودرس اخلاقها فلطالما
سمعنا ان العرب مفسدون على الشهامة وعزة النفس وكرم الاخلاق وسائر الحسن

قال : قابلت احداً قبل اليوم من امراء العرب ؟

قلنا : لقد كنا في ضيافة امير قبيلة الحدي الشيخ محمد الملحم وقد غمرنا بحبمه
واهدى الي هذا الجواد الذي اركبه

قال : وهل قابلت غيره من العرب ؟

قلنا : اننا التقينا هؤلاء الثلاثة الذين يسرون موقنين وراء رجالتنا

فلما بصروهم سألني قائلنا :

ما الذي حملك على معاملتهم هكذا ؟

فاخبرته بكل
ما كان من امرهم
فدنا منهم وخطب
احدهم قائلاً :



انت بطل الرواية
يا محمود يا شلب
العرب « يا كلب
العرب » لقد فررت
من امام وجهي اكي
تبعث في الارض

حول بير الجديد

فأدأ وتقطع الطرق وتسلم المارة وتسلم العربي بالعمار والذل والخساسة واهله لاذيقنك
ورفاقك الامرين يا مثلبه « يا مكلبة »
قال هذا والتفت الي سائلا :

اتريد ان تسلم هؤلاء الى سلطان بن ربيعة كي يجازيهم على قبائحهم ؟

قلت : افعل بهم ما تشاء بشرط ان تقيتنا شرهم

قال : لا تخف سلمهم اليها

فاوعزت اذ ذاك الى رجالنا بتسليم اولئك العربان الي ذلك الشاب . ففعلوا

وطلب الشاب جيادهم فاستسلمها ثم طلب اسلحتهم فرجوته انت ببقيا لنا لاننا
نحتاج اليها في سفرنا وسألت عن ثمنها لادفعه . فقال (ما يخالف) ابق لك الاسلحة
ولسنا نريد منك ثمنا

فشكرنا لعمله وودعناه فواصلنا السير الى ان انتهينا الى بير الجديد وكان قد مر
على سفرنا ما يناهز عشر ساعات . دخلنا القلعة وهناك نصبنا مبرادقنا وخيام رجالنا

— بير الجديد —

قلعة ونقطة عسكرية لما يثر ماء يقيم فيها جاويز وستة من رجال الدرك . وهي

ذات باب واحد قوي متين يغلونه ليلاً . وفيها اربعة مدافع صغيرة تقالة بطن انت
الدولة العثمانية ابقتها هناك بعد موقعة مع العرب
نصبنا الخيام في فناء القلعة وكان الدركيون يجاملونا ويعاملونا بالحسنى . ولكن
ما اكثر المقارب والحشرات والبعوض في ذلك المكان ولا سيما في ابان ذلك الحرا الشديد
فلم يغمض لاحدنا جفن ليلتنا كلها

ونحو الساعة الاولى بعد منتصف الليل احسست انت الدركيين كانوا مضطربين
قائي البال وكنت اشاهدهم بظلمون على السطوح ثم ينزلون مكررين عملهم هذا مرتين في
الساعة فعند الساعة الثالثة ذهبت الى الجاويز وسألته عن الاسباب التي تدعوهم الى تلك
الحركة في ذلك الليل . فاجابني لقد بلغنا ان قبيلتين سوف تلتحجان التحاماً وخيم المغيرة
على الفريقين فان نيران العداء والبغضاء والضغينة تتأجج في صدور جميعهم منذ عهد طويل
ورجال القبيلتين اشداء بالأس متصلبون برأيهم لا يحكم بينهم سوى السيف والقوة . وما
اؤزت الساعة الرابعة صباحاً حتى دوى البارود في تلك النواحي فصعدنا مع الدركيين
على السطوح نستطلع الخير . وما هو غير القليل حتى رأينا على مسافة قريبة عدداً كبيراً
من الفرسان وكلهم من جماعة العربان وكانوا ينشدون الاناشيد الحماسية . ثم ما لبثنا ان
شاهدنا فرساناً آخرين قادمين من الجهة المماكسة . وحوالي الساعة السادسة تبادل

الفرقات

اطلاق البنادق

ثم ترجل جميعهم

والتحموا

واعمولوا بالرقاب

— ويوفهم

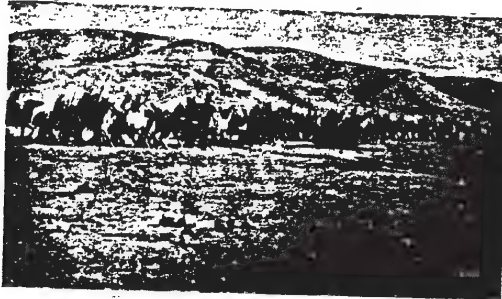
ورماحهم

وعند الساعة

الثامنة صباحاً

اوقف القوم

عراكمهم



الغزو في بير الجديد

٧. نيسان



البدويت يسألن عن القتلى والجرحى

تزلنا عن
السطوح وادعنا
الى رجالنا ان
يعدوا العدة
لرحيل . غير
ان رفيقي
السائح احب ان
يؤثر ساحة
القتال قبل سفرنا

فألت الجايش ما اذا كان من ضرر من زيارتنا هذه . فاجابني : لا ضرر بك ولا ويل عليكم من زيارتكم . فذا شئتم فاني اصحبكم الى هناك . قال هذا ودعا اربعة من رجاله ومسرنا جميعا الى ساحة القتال . وكنا تركنا رجال حملتنا يمدون عدتهم للسفر حالاً نعود من زيارتنا

ووقعت اعيننا على كثيرين من القتلى والجرحى . وكان رجال كل قبيلة يمدون جرحاهم لنقلهم الى مضاربهم . فوجدنا حينذاك انهم لا يدفنون الموتى وهي عادة العرب منذ نشأتهم . فسألت احدهم ما اذا كان يوجد هناك زعيم من زعماء تلك القبيلتين المتحاربين فاجابني قائلاً : ان هنا الامير ربيعة بن حسان وهو لا يبعد الساحة قبل ان يجمع الجرحى من قبيلته ويبحث بهم الى مضاربها حيث يضمون جراحاتهم . وبما جرحهم . فقلنا وهل ينسى لنا ان نقابله ؟ قال . نعم . واثار لنا الى محل اقامته فذهبتا اليه فاستقبلنا بكل بشاشة . ولما استقر بنا المقام سألت الامير عن اسباب هذه المعركة

قال : ان اسبابها عديدة . واحمها الضمائن الموروثة عن ابائنا واجدادنا . وتتجدد هذه الضمائن كلما تقابلنا وتقاتلنا . وكثيراً ما تقابل في هذه البقعة

قلت وما يملككم على القتال في هذه البقعة ؟

قال : تجوزنا الضرورة الى ذلك اذ اننا في مثل هذه الايام تأهب لارتداد الارضي

الكثيرة الكلاء . فنصر بهذه البقعة . وفي بعض الاعوام يتفق ان تتقدمنا هذه القبيلة او تتأخر عنا فلا نتحارب . على انه اذا اتفق مرورنا في آت واحد حدث الحادث الذي شاهدتم .

قلت : ولماذا لا تغيرون موعد مروركم او تتجاوزون طريقاً آخر ؟

قال : لا يغير احدنا الطريق او موعد المرور ائثلاً ينسب اليه الجبن والخوف

قلت : ومن فاز في هذه المعركة ؟

قال : لم يفز احدنا على الاخر فان الامير زيداً بن طحان دخل بين الفريقين واوقف القتال عارضاً علينا المصالحة وبعد يومين تعقد عنده اجتماعاً ربما كان منه مصلحة القبيلتين

قلت : وهل وثقت على عدد القتلى ؟

قال : كلا لكنني لا احسبه يتجاوز المائة من الفريقين

قلت : وهل تجمعون الادوات بعد نهاية المعركة ؟

قال : نجمع منها ما هو ضروري لنا كالاسلحة وخرطوشها فان ذلك عزيز نادر في البادية . اما بقية الادوات كالسروج والملابس فأت عثلات القتلى نجعلها وليس من يعارضها في هذا الامر

قلت : واي الفريقين اشد في القتال ؟

قال : لم يبق في هذه الايام من يبيل الى الفروسية والقوة البدنية فالفائز والاقوى والاشد من احسن الرماية فان حملوك تعود الرماية بقتل بهللاً لا يحسن ادارة بندقيته . وكانت السيوف والرماح تميز فيما عبر بين الشجاع والجبان وبين القوي والضعيف . واننا نرى ان قتالنا في هذه الاونة مضر بمصلحة الجميع ولذا نتحاشى كثيراً العراك ولا نخوضه الا بحرين

وودعنا الامير وعدنا الى القلعة فوجدنا كل شيء معداً للسفر فتوكلنا على الله وقمنا نقطع الغياض والاراضي الجافة اليابسة وكان ذلك عند الساعة العاشرة صباحاً . وما زلنا في مسيرنا الى ان انتهينا الى كباكب وكانت الساعة السادسة مساء فنصبنا الخيام في فناء القلعة .

٨ نيسان

وعند الساعة الاولى بعد منتصف الليل غادرنا كباكب عملاً بشورة الجاويش فمضنا الطريق حوالى الساعة السابعة صباحاً ورأينا على مسافة قريبة قافلة حبيناها قادمة اليها نفشنا العاقبة واستعدنا لمجابهة القوم بالشجاعة والبطولة وأوعزنا الى رجالنا ان يكونوا متأهبين للقتال اذا دعت الحال الى ذلك

وما زلنا سائرين حتى اشتبكنا بأولئك القادمين وكانوا يقودون عدداً عظيماً من الجمال ، فلم نر منهم ما يدل على العداء والتعدي ، فسألناهم من هم ؟ فقالوا : تجار من اهالي دير الزور

وكانوا ينقلون السمن الى حلب على ظهور تلك الجمال

قلت : الا تخشون تعديات العربات المقيمة في هذه الاراضي ؟ فقد علمنا انهم يهبون المارة ويسبونهم اموالهم واشيائهم . اجابوا : صحيح ما سمعتموه عنهم ولكنهم يعملون بالحسن جميع اهالي دير الزور لانهم يبيعون كل غلالهم عندنا ويبتاعون من بلدنا سائر حاجاتهم ونحن وهم على احسن وثأم . وصرت تلك القافلة نعدنا نواصل سيرنا وقد اشتد وطأ المرحل فتمكنت قوامنا وكنا بحاجة الى الراحة لاننا لم نذق لذة النوم في الليل السابق . غير اننا اجهدنا النفس وتابعتنا السير الى ان انتهينا الى دير الزور وكنا ذلك حوالى الساعة الواحدة بعد الظهر . فنصبنا الخيام على ضفة الفرات في ظلال الصفصاف على مقربة من شارع السراي وتناولنا الطعام ثم ارتقمنا على اميرتنا وقد اخذ منا التعب والنعاس كل مأخذ

- دير الزور -

كانت دير الزور في تلك الاونة متصرفية مربوطة رأساً بالاستانة فلم تكن تابعة لاحدي الولايات . وكانت محطة للعربات يبيعون صوفهم وسمتهم وغنمهم في اسواقها ويستلمون من تجارها المال على الحاصلات

٩ نيسان

استيقظت ورفيتي السائح حوالى الساعة الثالثة صباحاً جلنا بثياب النوم على ضفة



ينقلون الجرحى

- كباكب -

في قلعة شبيبة بئر الجديد ونقطة عسكرية يقيم فيها جاويش وثمانية دركيين وفيها بئر تن الرامحة لا يصلح للشرب وعلى مسافة قريبة من القاعة ماء عذب يستقي منه الانسان والحويان . وقد قيل لنا ان هناك ايضاً حفرة صغيرة لحجم زيت الحجري (كاز) فارسلنا من املانا زجاجة لتجرب ذلك السائل والحقيقة كان زيتاً حمريناً لكنه وسخ جداً نصف كينته تقريباً من المواد الغريبة

وبعد ان تمشينا جاهدنا الجاويش المكف بحراسة القلعة ونصحنا بالسفر ليلاً لان القبائل العربية الممجية كانت في تلك الاونة منتشرة في تلك الغياي بين كباكب ودير الزور وقد افادنا انها من القبائل الرديئة السافلة النهاية ، فسألته : ما الفرق بين سفرنا ليلاً او نهاراً ؟

فاجابني : ان اولئك العربان لا يتعمدون عن مضاربيهم في الليالي ، فشكرنا له صنيعه وصعدنا على الرحيل بعد انتصاف الليل . ثم رقدنا باكراً كي نصحو باكراً ونكون على ابهة السفر

قال : انك اني خطأ يا صاح وجرام عليك ان تخاطر بحياتك وحيات الذين سيرافقونك على انه اذا كان لا بد من سفركم الى الجزيرة فاني اطالب بكم قبل ذلك انت توفعوا وثيقة ماأما انكم مسافرون على مسؤوليتكم الخاصة قلت : اكتب ما تشاء فيوقعها رفيقي بخطه

عندها نادى احد كتابه وامره بانشاء الوثيقة فكتبها الكاتب باللغة الافرانسية واخذتها الى رفيقي ليوقعها فوقها بعد ان دار بيني وبينه جدال طويل بشأن الاخطار المزمعين عليها في تلك الجزيرة وهذه ترجمة تلك الوثيقة :

نحن انا الموقع ادناه باسيلوس كورباه من التابعة الروسية اصرح بانني مسافر الى الجزيرة على عهدي الخاصة وقد اقدمت على هذا السفر على الرغم من نصائح المتصرف دير الزور الذي انتباني بكثرة الاخطار المحيطة بي في تلك الجزيرة واشماراً بالواقع كتبت بيدي هذه الوثيقة في اليوم التاسع من شهر نيسان من سنة ١٩١٤

الامضاء : باسيلوس كورباه

ثم طلبت من المتصرف ان يتكرم علينا بدركيين يرشدانا الى الطرقات فوعدي انه يسعى لاجابة مطلبي وقال لي ان اعود اليه في صباح اليوم التالي - ودعت المتصرف وعدت الى مركز خيامنا لاشرع باعداد عدتنا للسفر الى الجزيرة فوجدت قومنا نائمين يا كين وكانوا قد فهموا اننا مزمعون التوغل في الجزيرة معها كلفنا الامر فوضعوا نصب اعينهم الموت وحسبوا انهم لا محالة هالكون ، فاخذت اشجعهم واهديهم ؛ وبعهم بشئ الطرق ، على انني لا انكر اننا كنا انا ورفيقي السائح خائفين خوف رجالنا نظراً لشدة الاخطار والاهوال التي كنا مزمعين ان نتعرض لها

١٠ نيسان

عدت باكراً الى المتصرف لاعرف ما اذا كان اعد لنا الدركيين فقال لي انه لم يتوفق الا الى دركي واحد وكان ذاك الدركي واقفاً على مدخل السراي وناداه المتصرف وكان اسمه احمد الغزاوي - فأسأله ما اذا كان يريد الذهاب بميمنتنا فاجاب بالاجياب ثم سأله ما اذا كان يسمع ان يستصحب رفيقاً ثانياً فقال :

ان لي صديقاً عزيزاً سافعه بمرافقة في قلت على كل حال نحن ننتظر في خيامنا هذا المساء

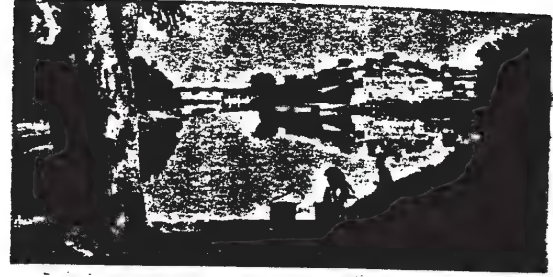


خيمة المطبخ في دير الزور

وطلع ذلك النهار فتناولنا طعام الصباح وارتدينا ملابسنا وذهبنا عند الساعة الثامنة الى السراي تريد مقابلة المتصرف وكان غائباً في مستقبل العمر فوجد بنا كثيراً واستقبلنا بكل بشاشة . وعندها ابتدأ له اننا نفي السفر الى الجزيرة ورجونا منه ان يقدم لنا المساعدة اللازمة . وكنت اعتقد اننا نكتفي بعشرين فارساً مسلحاً فطلبت اليه هذا العدد فابتم وقال : اذا كنتم ترومون اجتياز الجزيرة فيلزمكم على الاقل خمسمائة فارس بأسلحتهم الكاملة ولا سبيل الى اعدادكم بهذا العدد . واني انصح لكم بالمدول عن هذه السفرة فانها مخوفة بالاخطار

قلت : سنذهب الى الجزيرة وليس ما يشبط عزيمتنا

قال بعث الدولة بخمسمائة فارس يجمعون الاعشار فسطا عليهم العربات وقتلوا منهم وجرحوا غير البقية ناجين بانفسهم ووصلوا الينا مذعورين يقصون علينا ما كان من امرهم في تلك الجزيرة فنقلت الخبر الى اولياء الامر في الانشانة . ويجهز الدولة الان حملة قوية لتطويع اولئك القوم وبجازاة الذين تاروا على الفرسان وفتكوا بهم قلت : ولكن ذلك لا يمنعنا من القيام برحلتنا



دير الزور

لأننا عزمنا على السفر في صباح الغد - وودعت المتصرف شاكرًا بعد أن سلمته الوثيقة وكان لا يزال يلح علي بالعدول عن رحلتنا هذه
: عدت إلى الخيام وباشرت أعداد العدة للسفر مجتزأ بما نحتاج إليه شد الحاجة تاركًا
بجانب كل ما كان بوسعنا أن نستغني عنه واضعًا جميع ذلك في صناديق سلمتها إلى تاجر
من دير الزور وقد طلبت إليه أن يرسلها إلى عميله في حلب نستلمها منه بوصولنا إليها -
وإذ كنت بعد ظهر ذلك اليوم أفكر في أمر مسيرتنا وقد اسودت السماء في وجهي إذا
برجل جليل يدخل علي وكانت ملاحه تدل على أنه شيخ إحدى القبائل العربية فرحبت
به ودعوته للجلوس فجلس وقال : أنا محمد شيوخ قبيلة شمر ، وقد بلدني أنكم
ذاهبون إلى الموصل سالكين طريق الجزيرة قلت : نعم ، وكيف عرفت ذلك ؟

قال : خبزكم قد شاع في كل المدينة
قلت : وما رأي الشيخ في هذه الرحلة
قال : رأيي أن تعدلوا عنها لأن في الجزيرة أهوالًا تفوق الوصف وقبائل رديئة للغاية
يلحق الأذى بأي من وقع بين أيديها
قلت : وهل لكم أن تساعدونا للنجاة من شر تلك القبائل ؟
قال : إذا خلصتكم من أيدي العربان كيف تنجون من أيدي اليزيدية ؟

فإن جمال باشا وإلى الموصل اضطر أن يدفع (الخوة) مالا وأفراد لقاء مروره في أرض
أولئك الجماعة وهو يمثل الدولة في تلك البلاد ، وهم خاضعون لسيطرته - وخين اجتماع
تلك الأراضي كان يقوم بحراسته مائتا فارس من أشجع الناس وأسلمهم وأشدهم بأسًا -
ووادي سنجار وأد مخيف يقطنه عبدة الشياطين اليزيدية

قلت : كلما قيل لنا أن سفرنا محفوف بالخطر تشدد رغبتنا في السفر ولذت اجتياز
الجزيرة في أخطارها وغابتنا أن نرى بأم العين ما هو جارٍ في تلك البقاع فلقد سمعنا عنها
أشياء كثيرة ومتنوعة وربما لم تكن كلها حقيقية

قال : يظهر لي أنك شجاع وإنك تحمل الغير على الشجاعة فدعوت هذا السائح إلى
تفقد الجزيرة مبعداً عن مخائنه كل ما يشتم معه رائحة خوف

قلت : لست بأشجع من هذا السائح فهو الذي يتوق إلى هذه الرحلة لأنه لا يسالي
بالموت فهو يعتقد أن المرء مائت عاجلاً أو آجلاً

قال : وهل أنتم مسافرون غداً ؟

قلت : نعم بأذن الله - وأراد الشيخ أن يودعنا وينصرف فالحضت عليه ليتناول
العشاء معنا فقبل دعوتنا وقد استفدنا منه في السهرة أشياء مهمة تتعلق بأحوال الجزيرة -

وشاء أن يساعدنا ببعث معنا بعلامة إلى شيخ قبيلة الجبور وهي القبيلة الكبيرة الأولى التي
كننا مزعمين على المرور بها بعد اجتيازنا نهر الخابور (الذي هو فرع من الفرات)

ثم سأله أين هي قبيلتكم ؟

قال : حوالي الموصل في أرض الجزيرة

قلت : وهل لتقي في الطريق ؟

قال : لا يعني أن أفيدك لأن امرنا مشروط بالحل والترحال فإذا كانت القبيلة لا

تزال هنالك التقينا وإلا فاجتاعنا في الموصل - أما العلامة التي كانت بمثابة توصية بنا
والتي بعث بها إلى شيخ قبيلة الجبور فهي منع ملاحظة أنه يجب علينا عند وصولنا إلى حدود

القبيلة أن نتوقف ونرسل فارساً رافعاً علماً أبيض (علامة الصداقة) إلى قبيلة الجبور ويقابل
الشيخ حمود شيخ القبيلة ويقول له هذه العبارة : أنا محمد شيوخ عرب شمر لا يستطيع

المرور هنالك في أثناء رجوعه لأنه مسافر بطريق البدع وأبو حامضه وهو يقول أن الاسرار
لا توافق الآن : انتظروا شهراً آخر - وكان الشيخ حمود قد كلف الشيخ محمد شيوخ

الفصل الثالث

في الجزيرة بين دجلة والفرات بطريق جبل سنجار

١١ - ٢٥ نيسان ١٩١٤

أختيار الطريق الوعرة - اللصوص في مرقده - عبور نهر الخابور - الجراد
في الجزيرة - ثلاثة ايام عند عرب الجبور - الغزو على عرب
الجبور - السبي والعرس في عرب الجبور - امير اليزيدية
والخوة - وردية - عين الفرال والجيش العثماني فيها
عرب الجعافرة - التعدي علينا من قاطعي الطرق
المضيق الخفيف - استقبال محمدشيوخ - الاقامة
ثلاثة ايام عند عرب شمر - الوصول الى
الموصل

١٢ نيسان

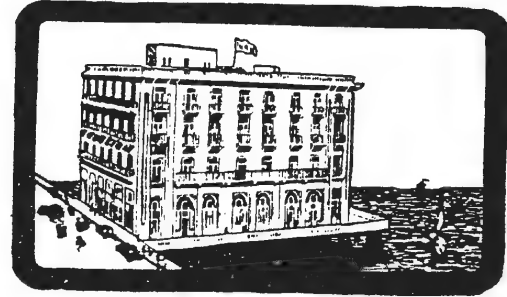
تحرر كنا حوالي الساعة الثامنة صباحاً يتقدمنا الدركي الدليل فقرعت الاجراس
والفلاذات ورفعت الاعلام فوق الاحمال وكان دوي الاجراس مسموماً على مسافة
بعيدة وكان جميع اهالي دير الزور على منافذ مساكنهم وابوابهم وامام المخازن ينظرون
اليينا . اما ترتيب الحملة فكان التالي :
دركي دليل المارقي ثم بقل (الباشنك) وعليه العلم الرومي تتبعه جميع البغال

يستفهم له عن اسعار السمن والصفوف في أثناء مروره
حوالي الساعة الحادية عشرة مساءً طلبنا خارج الخيمة فوجدنا جمع غفير من اهالي
دير الزور حول الخيام يتفرون في الحملة ويتعجبون من رحلتنا في الجزيرة ثم ودعنا
الشيخ وانصرف .

لوكندة راس العين الكبرى

لاصحابها خوام اخوان - بعلبك

لوكندة من الدرجة الاولى ، غرف بمحامات ٦ ماء جارية ، - حديقة واسعة نادورة
السال ، نفس ، جنيتك ، اور كستر (موسيقى) تصب فيها مياه الاجوج المشهورة
الثامنة للكبد والمعدة - مجهزة بجميع وسائل الراحة مطبخها متقن والخدمة فيها ممتازة



فيو رويال اوتيل بيروت

فندق عصري حديث البناء قائم على شاطئ البحر ماء جارية سخن وبارد حمامات
خصوصية مطبخ متقن خدمة نادورة ، ادارة دقيقة

الحملة ورجالها والخدم واخيراً السائح ودركي معي . وكانت الحملة مؤلفة من ستة خيाम كبار اثنان للنوم وواحدة للطعام وواحدة للمطبخ وواحدة للغداء وواحدة للعال . اما الخيام الصغيرة فاثنتان واحدة حمام وواحدة للهندام وبنوع الخييام الكبيرة امرتها وناموسياتها وطاولاتها وكراسيها ومراياها ومجادها . وخيمسة السفرة مع جميع ادوات الاكل من نفضة وصيني الخ . خيمة المطبخ مع عدة المطبخ كاملة وفرن للخبز ووجاق للنار وغيره مما يلزم المطابخ الضرورية . الاثمنة الخارجية هي فانارات للتور وعصي لتعليق الفئارات كرامسي طويلة من القماش الخ .

ونقلت اثمنة الحملة على ١٩ بغلا وخمسة حمير واربع رؤوس خيل للركوب والحصان المتقدم من الشيخ محمد اللحيم

رجال الحملة : السائح : كاتب هذه الرحلة ، العشي ، السرجي ، وشيخ المكاربه ومكاربه وعددهم ستة ، وسياس اثنين ، رجال الدرك اثنان فيكون مجموع رجال الحملة خمسة عشر رجلاً يقصدون اجتياز الجزيرة منذ اليوم والمرور بالقبائل ، وقلة عددنا وضعف تسليحتنا يرهان على اننا متوكلون على الله وعلى قوة العقل لا على القوة البدنية . وبينما نحن سائرون في شارع دير الزور كنت اسمع باذني مثل هذه الكلمات بغوه بها اكثر الناس نساء ورجالا : (الله يساعد اهلهم الله يخلصهم) . ومازلنا سائرين يرباطة جأش حتى انتهينا الى جسر الفرات الذي نعيبره الى الجزيرة . وهناك دفعنا الرزم المفروض من الحكومة ، اعني بشك عن كل جواد ، نصف بشك عن كل بغل ، اربعة متليكات عن كل حمار ومتليكين عن كل رجل . والرزم هذا مفروض على مرور الجسر ليس الا عبرنا ذلك الجسر فبلغنا ارض الجزيرة وواصلنا السير الى الساعة الخامسة مساء في اراض خضراء زراعية أهلة بالبريان سكان بيوت الشعر . وكان اولئك العربان في الحضر يخضعون للدولة ويستقرون في املاكهم لا يرحلون عنها ولا يتقلون . ومازلنا سائرين الى ان ادى بنا المسير الى نهر الخابور فنصبنا الخيام على ضفته في وسط باحة فيسحة تمتد الى جانب قلعة رومانية كبيرة وقد قام في جدار تلك القلعة حانوت صغير فيه بعض ما تحتاج اليه البريان المجاورون . والمحل الذي نزلنا فيه يعرف « بالسور » وهو مركز مديرية ونقطة عسكرية

اما صاحب الحانوت فيأدر الى ضحج مجل صغير لما احس باننا مقيمون في تلك البقعة فاشترينا حاجتنا من اللحم امشائنا في تلك الليلة . وكان الطقس جميلاً والهواء ليلاً وقد ازداد طراوة بامتزاجه بماء الخابور . وكانت مدير الناحية قد علم بنزولنا هناك فجاءنا بصرف السهرة معنا وكان شاباً تركياً يجيد اللغة العربية خدثناه طويلاً طالبين منه بعض الافادات عن احوال الطرق فاستدعى لنا بدويًا حضريًا وفقاً على اسرار الجزيرة بأسرها فسألت البدوي عن طريق الموصل وعن احوال القبائل العربية التي تقم في الجزيرة فقال من هنا الى الموصل طريقان : طريق شرقي على ضفة الخابور الشرقية وطريق غربي على ضفته الغربية والطريق الغربي مطروق وهو صالح لسير المركبات التي تمر بمحليين هما البديع وابو حامض . وقلاً ما اسبوع خال من تعدد على المسافرين ولكن المعتدين يكتفون بلب المارة اشياءهم وامتعتهم ويندر جداً ان يتعدوا على الارواح . والاعراب قليلون على تلك الضفة

اما الطريق الشرقي فلا يصلح لسير المركبات وهو وعراً جداً ومن يسلكه يخاطر في حياته . ومن شدادي الى الموصل كل المصاعب والاهوال : فمن تعديات عرب الجيور الى تعديات عرب الجعافرة فشرم فتمتزه وكل واحدة من هذه القبائل اسوء خلقاً من الاخرى والشر كل الشر من جماعة اليزيديين المقيمين حالياً في وادي سنجار فانهم قوم كفرة يعبدون الشيطان لا رحمة في قلوبهم ولا شفقة ولا ذمة ولا وجدان ولا شرف يغدرون ويسلبون ويفتكسون بالارواح وبقترون كل منكر . بناء عليه انصح لكم الا تسلكوا الطريق الشرقي

ترجمت لرفيقي كل ما قاله ذلك البدوي فاجابني : وما الفائدة من رحلتنا اذا كنا لا نرى داخلية الجزيرة وما فيها من هجينة وتوحش وعيشة طبيعية خالية من التصنع

١٢ نيسان

نهضنا من رقادنا باكراً فاعزت لرجالنا ان يتأهبوا للرحيل ودخلت القلعة مع رفيقي السائح فوجدناها قد تودمت قامت لا تستحق الذكر وقيل لنا آنذاك ان الالمانيين همزومون على مباشرة الحفر فيها وفي الاتار الموجودة على ضفاف الخابور . وتركنا السور الساعة الثامنة صباحاً وصرنا على الشاطئ الغربي نحواً من خمس ساعات ، وكان سيرنا



بين مضارب العرب الحضريين وم من
النلاحين المهتمين بمجاعة الاراضي على
الرغم من جهلهم لاحوال الزراعة واصولها
وكنا الساعة الواحدة بعد الظهر في
نقطة تعرف « بالمرقده » حيث نصبنا
الخيام على شاطئ الخابور . فالتف حولنا
الاهالي يلاطفوننا ويطلبون منا ان نبثاع
شيئا من حاصلاتهم فاشترينا حاجتنا
« مرقده » اسم بلا معنى فيها بيوت
من شعر لجماعة العربان المقيمين فيها وليس
لهؤلاء القوم سوى علف الدواب والحليب
واللحم . ونحن كنا في « السور » حذرنا
من اهالي « مرقده » قائلين لنا انهم
يقتنمون الفرس المسالمة لسرقة الاغراب

بيوت العربان المستحضرة في مرقده

فلحطنا الامر في تلك الليلة واقفنا من رجالنا حراسا يتناوبون الوظيفة . وفي اول الليل
كان الطقس جميلا والجو صافيا والقمر منيرا ، على انه ما ازلت الساعة المباشرة حتى
تلبثت السماء بالغيوم ثم امطرتنا مدرارا فاضطرونا الى سهر الليل خشية من السرقة
وحوالي الساعة الثانية صباحا خرجت من خيمتي تنفذ حالة الحراس فابصرت على
الباب شيئا ولشدة الظلام لم يسخني انت اعرف ما اذا كان شبح احد رجالنا ام شيئا
غريباً . فتاديت بصوت عال قائلاً من انت ؟ فسمع احد حراسنا صوتي وامرعت الي
حاملا مصباحاً . واذا بنا امام بدوي طويل القامة بيده الواحدة رصن دابة وبالاخرى
سكين صغير .

قلت له : اومر السكين من يدك . فرماها واوعزت لي الحارس ان يصغر ففعل
وما عني الا هنيهة حتى كان جميع رجالنا حول ذلك البدوي فاشترت اليهم ان يفتشوه
ففتشوا ولم يجدوا معه سوى جراب صغير ضمنه كمية جزئية من التبغ الناعم . فاونقضاء

وادخلناه الخيمة . وطلبت الى الحراس ان يظلموا على حذر خشية ان يكون وراء
البدوي رفاق . وبعد استنطاقه عرفنا منه ان معه ثلاث رفاق وغللام كانوا قد تفرقوا
حول حملتنا ليراقبوا الحراس ويتمكنوا من سرقة بغل او جواد . وقد استحضرونا
بجملته برأس الجواد وسكيناً يقطع به رصنه

وهنا اخذ البدوي يستعطف ويرجوني لكي اسل وثاقه مبيتا انه لم يقدم على السرقة
الا بدافع الحاجة وانه لولا ظلم الحكومة التي تعلمهم بعنفها وجورها على السرقة لما اقدم عليها
٣ : نيسان

حوالي الساعة السادسة صباحا شرعنا نعد عدتنا للسفر وكان الطقس لا يزال
ردينا . وعند الساعة الثامنة غادرنا حملنا بعد ما اطلقنا مرايح البدوي . وما زلنا سائرين
تارة تحت المطر وطورا في الصحوا الى ان بلغنا « شدادي » و « شدادي » نقطة
عسكرية ومركز مديرية تابعة لمصرفية « دير الزور » وكان فيها يومذاك مديرتري



بيوت المتحضرين في شدادي

وفي « شدادي » ثار قلعة رومانية وحولها حوانيت صغيرة فيها بعض العادات
الرومانية واكثرها تقود يعمرون عليها في الخراب . وكان الطقس قد مال الى التحسن
فنصبنا الخيام على مقربة من مركز المدير وبنا ليلتنا متحفظين للطوارئ

١٤ نيسان

تركنا «شداي» واجتازنا نهر الخابور الى الضفة الشرقية - ويعبرون النهر من
ضفة الى ضفة على زورق صغير الحجم لا يسع أكثر من حصان أو بغل فصرنا في عبوره
ما يربو على ثلاث ساعات
ونهر الخابور خطير لانه ضيق وعميق جداً وتياره قوي وشديد لانه منحدر ومحصور
ضمن ضفتين قريبتين الواحدة من الاخرى فالحكمة قضت ان نعبه كما يعبه الغير نلافيا
للحوادث .

وما زلنا سائرين حتى انتهينا الى « فوزية » وكانت الساعة الواحدة بعد الظهر



فوزية الخيفة

فأصبحت في نقطة لا سيطرة عليها
الدولة العثمانية وفي اعني بالسيطرة عجز
المولة عن اخضاع القبائل المقيمة في
تلك البقعة
وقيل لنا ان الجراد ينتاب هاتيك
الاصقاع منذ ثلاثين سنة فأكثر ولا
يهم الريان بمكافحته على الاطلاق
الذباب الأزرق : هذا النوع من
الذباب يعيش بالخللات التي تطول فيها
اقامة الجراد فاستمدت له فليسا قفازات
ونظارات وعملنا كل الطرق حتى ما عاد
يمكن الذباب الأزرق ان يلمس علامن
اجسامنا لان الذباب الأزرق عقيم اذا
لسع قتل وكنت ترى رؤوس الدواب

شاهدنا على قمة جبل خياماً عديدة تحولنا بغيرنا اليها . وما كنا ندنو من تلك الخيام
حتى ادركنا ان هنالك قبيلة كبيرة . وما كنا نتوقع لمزور قبيلة كهذه قبل وصولنا
الى عرب الجبور

وحين انتهينا الى حدود تلك القبيلة توقفنا عن متابعة السير وارسلنا دركياً حاملاً
عصاً في اعلاه منديل كبير (علم) ابيض اللون وقد كتبنا له العلامة التي اعطانها محمد
شيوخ ومع هذه العلامة بعثت بعثة حريصة هدبة لشيخ القبيلة (الخوة) . ومرت
ساعة على انتظارنا وما سيكون من امر رسولنا مع الشيخ واذا بالرسول عائد الينا مع
ابن الشيخ بواكبها خمسون فارساً بعث بهم لاستقبالنا ومرافقتنا الى مضارب قبيلته .



الأمير الصغير علي

ولدى وصولهم الينا دنا مني
ابن الشيخ - وكان شاباً
في مقتبل العمر - وقال :
يا مرحباً بالضيوف يا مرحباً
بالكرام لقد امرني والدي
باستقبالكم ومرافقتكم الى
منزله . فعندما قدمت الشاب
للسائح مترجماً له مقالته فشكره
ووالده على عطفهما هذا
واطمأنت خيائنا بعد
شديد اضطرابها وسرنا
وابن الشيخ وفرسانه الى ان
انتهينا الى مضارب القبيلة ولم
يتجاوز سيرنا نصف الساعة
حتى ادخلونا مرادق الضيوف
« بيت الاستقبال » حيث

تتظرون هدية . ثم أقبل علينا

الشيخ حمود سلطان امير القبيلة وش لنا وحش وحيانا مرحبا بنا أمراً لنا بالجلوس فيالقهوة
فدقت اجران البن على عادة نواتك العربان بانغامها اللذيذة ثم قدمت لنا القهوة ثلاثاً . وما
استقر بنا المقام حتى رجوت من الامير ان يعد لنا مكاناً لجلوسنا فامر رجاله بالمحل
وما هو غير القليل - حتى كانت خيامنا منصوبة - ثم سألت الامير قائلاً :
ومن اين لكم بالماء الكافي لقبيلتكم ومواشيكم ؟
فقال : ان لنا ماء غزيراً على مقربة منا وسأذهب بكم الى محله . واخذنا قسطننا من

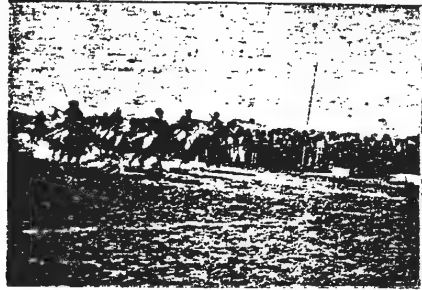


الوصول الى قبيلة الجبور

الراحة بعد ان شرنا القهوة فنمض بنا الامير وسرنا جميعاً الى مكان الماء . وكان على مسافة
قرية من مضر به . فاذا بنا امام صخر طويل عريض حفره الاندسون وجعلوا منه بحيرة
تجتمع فيها مياه الامطار في كل عام
وعدنا الى القبيلة فاعلمنا الامير بحفلة زواج احد فرسانه . ذلك الماء ودعانا الى
حضورها فقبلنا الدعوة شاكرين . وفي الاجل المضروب لتلك الحفلة ذهبنا جميعه الامير الى
باحة فسيحة كانت في وسط المضارب وقد نصبوا هناك خيمة صغيرة معدة لاقامة العروس

قبل الزفاف . ثم ما لبثنا ان عرفنا ان احد فرسان الجبور سياتى ابنه من احدى القبائل
المجاورة . وهو العريس وهي العروس . وما طالب الامر حتى جاء شيخ الدين وكتب
كتاب الزوجين . ثم اخرجوهما الى الساحة حيث كانوا اعدوا عدة الالعاب الرياضية التي
يقوم بها العربان في الخفلات الزوجية بعد ان وضعوا العروسين في خيمة نظموها كجالي :
اوقفوا اربعة من الرماح ولفوا من حول هذه الرماح بلباس اسود من شعر المساعن
فاصبحت بقياس نحو ثلاثة امتار مربعة . وانجزوا في بادي . الامر سباقاً مصحوباً بلعب
الرمح والسيف وعقب ذلك غناء النساء والبنات (المماريات) ثم جاء دور لعب الجربيد
فاطلاق الرصاص

وبعد انتهاء ما تقدم رأينا الامير يضم في الساحة ثلاث قطع خشبية مختلفة الحجم
ثم افرز قطعة منها ونادى قومه قائلاً : من استطاع ان يقطع هذه الخشبة بضربة سيفه



كافأته بخمسة نعجات .
وكان طول الخشبة يبلغ
نحواً من اربعة امتار ،
فتقدم عشرة من العربان
لاجراء العمل فتسأى
سنة منهم بالاجادة وقتل
اربعة . وعندها قالت
الامير للسنة الفائزين :
اجمعوا معاً قطعتين من
الخشبة واربطوها بحبل

من الشعر ثم حكوا فيها
سيوفكم . فعملوا . غير ان واحداً منهم تمكن من قطعها بضربة واحدة فأخذ النعجات
الخمس ومضى . ثم جاء الامير بخشبة ثانية وكانت جائزتها اربعة خرفان ونادى قومه
قائلاً : هااتو سيوفكم وحكموها في هذه الخشبة ، فتقدم ستة من العربان وانجزوا العمل
فلم يفرز منهم غير اثنين ، وعندها امر الامير بجمع قطعتين من تلك الخشبة داعياً ذينك

إلى الجمين إلى العمل فتسابقا بالاجادة ونال كل منهما خروفين . ثم جاء الأمير بالخشبة الثالثة وكانت جائزتها جملًا صغيرًا (حلال صغير) ودعا قومه كما مر فلم يتقدم منهم سوى فارسين حكما فيها سيفهما وقطعاها بضربة واحدة . ثم فعل الأمير فعله بالخشبتين السابقتين ففاز واحد منهما بالجائزة

وانتهت الألعاب الرياضية فدعانا الأمير لتناول العشاء في مضر به فسرنا في خدمته وماكدنا ندخل الخيمة حتى وقع نظرنا على رسول يحمل كتابا إلى الأمير فقرأه ثم كتب الجواب وحرف الرسول . وسألت الأمير ما مضى من ذلك الكتاب فقال :

ان قبيلة تطلب محاربتنا غداً صباحاً في وادي العدس .

قلت : وما يب ذلك ؟

قال : الامة التي احتفلنا الاث يزافنا وقدسها الفارس الذي اقترن بها قلت : أليس السبي مألوفاً عند العرب ؟

قلت : بلى ولكن يحق للقبيلة المتعدى عليها ان تنتقم اذاشامت وبظير ان القبيلة التي تطلب الحرب غير راضية عن عمل فارسنا . لان الابنة التي سبها كانت مزوجة ان تزوج فارساً من مشاهير فرسان قبيلتها ومن اهمهم واقربهم من الأمير

قلت : وما كان جوابكم ؟

قال : اننا مستعدون للموقعة في

العروس

وادي العدس صباح غد ان شاء الله . وتناولنا عشاءنا على مائدة الشيخ حمود وكانت صورة طبق الاصل للطعام الذي تناولناه على مائدة الشيخ محمد اللحام انما الطاولة وطريقة



الجلوس تختلف حيث جمعوا خربة الجبال بعوا تسعين سنتيمتراً تقريباً ونظموها بشكل طاولة ووضعوا حولها سجاداً من الجنس الجيد جميلة النقش فاصبحت الطاولة كأنها سجاداً مدورة وضعت عليها صدور الاكل ، وكان حول الطاولة مقعد مدور على هيئة الطاولة مفرد من سجاد ووضعت الواحدة منها فوق الثانية حتى بلغ المقعد العلو المطلوب كانك جالس على كرسي الى طاولة ولا طاولة ولا كرسي . وقد لاحظنا الأمير كل الملاحظة وماكدنا ننهي من الاكل حتى ناول عبد الأمير كتاباً جاء فيه ما يلي :

علمنا من رسولنا ان عندكم اليوم ضيوفاً وكراماً لهؤلاء الضيوف اجلنا الحرب الى ما بعد سفرهم لاننا رأينا العيب والعار ان نساكم وانتم منهمكون باكرام ضيوفكم ، ثم نعتبر ان هؤلاء الضيوف هم ضيوف الجزيرة فهم ضيوفنا كما هم ضيوفكم وكانت الكتابة هذه وارادة اليه من امير القبيلة التي كانت تطلبه للتزالي في صباح اليوم التالي فاجاب الأمير على الكتابة شاكرًا :

وعندها سألت الأمير ما اذا كانت الموقعة على طريقة ما وما اذا كان بلحقنا منها الاذى فاجابني قائلاً ، ستكون الموقعة على طريقكم وتكون حينئذ حالة القبيلة حالة فوضى فلا يسع اميرها منع الاعتداءات والردع عن النهب والسلب والتفطيم فيحتمل ان اولئك العربان يلتقونكم في طريقكم ويحصل ما لا تحمد عقباه لان بين العرب اسافل

لو كمنة الصبية

لصاحبها ابراهيم ووديع حريز

زحله - لبنان

فندق جميل قائم فوق الصخرة على كنف الوادي وبين منزهات عروسها فوه حلية في عنق زحله

اثاثه حديث ومتقن ، طعامه مفتخر ، الخدمة فيه عائلية ، حمامات وقاعات عديدة ومزار بالكهرباء ، واسعاره مثقلة ومن جرب عرف

وارذل نظير غيهم من الامم والشعوب . الافضل ان تسلكوا طريق الوعر والجبال ولا اضن عليكم بدليل من قبيلتنا يرافقكم حتى الطريق السلطاني وهو على مسافة اربع ساعات من وادي العدس . وهناك تصبحون بآمن من كل خطر
قلنا : شكرآ لكم يا مولاي وامتنانآ على عطفكم وحسن التفاتكم فيمكن اذا ان نسافر غداً

قال : لا اسمح لكم بمغادرتنا غداً فانكم ستبقون في ضيافتنا يوماً آخر واذا شئتم السفر بعد غد فلا بأس بذلك

واراد الامير ان يتفقد احوال القبيلة فدعانا الى مرافقته . وجدنا منازل الشيخ قائمة خارجاً عن منازل القبيلة وعددها عشرة ولكل منزل منها بابان احدهما شرقي والثاني غربي وهي تمتد بالصف الاول من مضارب القبيلة وتنتهي في آخر صف منها . اما صفوف مضارب القبيلة تمتد من الشمال الى القبلة ، فاذا شئت ان تخرج من القبيلة في اي صف كانت تجد بيتاً من بيوت الشيخ بوجهك ، تلك هي وضعية القبيلة ، موقعها على القمة وتشرف على الوادي والى ورائها من الجهة الشرقية يقوم جبل وعرة المسالك

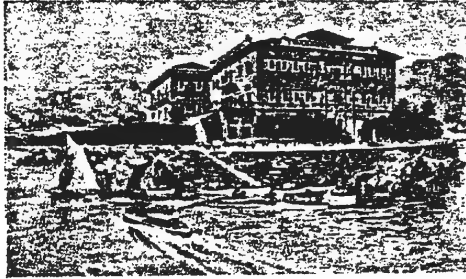
جاء بنا الامير في بادئ الامر الى مضرب من مضارب اغنياء القبيلة دخلنا فرحب بنا صاحبه واجلسنا على مقعد من السجاد وما هو غير القليل حتى اقبلت ربة المنزل والجواهر والخلي على معصمها وفي اذنيها وحول عنقها وفي شعرها ، فابتدعت قائلة للامير امرك مولاي ؟ اجابها الامير : لا شيء انما نحن مارون من هنا كي نري ضيوفنا بيوتركم التفت الى الشيخ سائلاً وماذا تعني الامراة بكلامها وزوجها واقف بجانبها ؟

قال : العادة عندنا انه لا يدخل امير القبيلة بيتاً من بيوتها يصبح رب البيت تابعاً لا متبوعاً ويطلب الامير ما يشاء لان العرب يعتبرون اميرهم رب سائر البيوت . وقد ارادت الامراة ان تستفهم مني ما اذا كنا نرغب ان نشرب القهوة ام ان تقتناول عندها شيئاً آخر (كالشينة او حليب النوق) وكان ذلك المضرب مظلاً لا نور فيه فسألت الامير قائلاً الا تستخدمون المصابيح في منازلكم ؟

قال : لا تستخدم القبائل المصابيح والانوار فهي تصرف الليالي في الظلام او على ضوء القمر . على ان الاسراء والمشايخ يستخدمون الانوار عند استقبال ضيوفهم سألت كيف يمشي بيتكم هذا ؟

قال : هذا بيت غني له ثروته من حلال . غنم وبخيل . وهنا سألت رب البيت قائلاً كم عددك من الجمال والنوق ؟
قال : اربعون جملاً وخمسون ناقة ، وقد انتجت النوق في هذا العام اربعة واربعين ذكوراً واثنتاً .

قلت : وهل من تفاوت في النوق والجمال ام كلها متساوية ؟
قال : النوق والجمال مثل الخيل ، منها ما هو اصله كريم ومنها ما هو عادي قلت : ما فائدة الباقة الكريمة الاصل ؟



لوكندة الشرق الكبرى

اولو كندة بسول - بيروت

لوكندة من الطبقة الاولى موقعها جميل يشرف على البحر فرشها جديد متقن غرفها كبيرة ماء جارياً سخى وبارد حمامات خصوصية مطبخ ممتاز

تلفون ٢٤ - ٦٣



بوت الماشية في عرب الحبيور

قال : يباع نتاجها بضمن اغلى من عادية الاصل فتكون ثمرتها والحالة هذه اكثر .
غير انه لا يسمنا ان نتوصل دائماً الى النوق الكريمة الاصل فتضطر الى ابتياعها من
مختلف الاجناس .

قلت : وكم عندك من الخيل ؟

قال : عندي اثني واحدة وجودان منها وكلها من الرسن الغني المعروف بمجودته
قلت : وكم عندك من الغنم ؟

قال : عندي الف نعجة حلوب وضعت كلها في هذا العام وموسم السمن في هذه
السنة قبل خيراً عندي ، اما الكبوش فانا نبيعها ولا نحفظ منها بسوى اجودها وهو
ما يصلح للنزول بناء عليه لا يوجد عندي سوى مائة كبش

قلت : وما هي غلة النعجة على وجه التقريب ؟

قال : لا اعلم . فانا سألون على بركة الله ، لا كيل لنا ولا ميزان ، وعندنا
قال الامير : نراوح غلة النعجة في العام بين الخمسين والستين من الفروش التركية
الذهبية . واني اعني الغلة بالسمن والصوف . وهنا عدت فسالته الشيخ ما هو ما كقول
هذه الطبقة ؟

قال : يأكلون اللبن ويشربون الشنينة (اي ما ترقى من اللبن بعد خضه ورفع
السمن منه) يأكلون الارز والبرغل واللحوم من وقت الى آخر ولكن اكلمهم اليوم
اللبن والسمن والخبز ، هذا ما كقول الطبقة الغنية اما الطبقات الاخرى فتختلف كثيراً
وجاء بنا الامير الى بيت قتل صاحبه تاركاً ارملة وفتاتين وكاث من البيوت
المتوسطة الحال . وما كدنا ندخل حتى انتصبت بدوية في عقدها الرابع ورحبت بنا
كل الترحيب .

فقلت لها : لاشك انك في ضحك من العيش لانه لا رجل لك يمينك على مشاعب
الحياة . قالت : ان البدوية التي تفقد زوجها وقد اعدمها الله من الذكور تعمي حزينة
منغصة العيش وتضطر ان تهتم بناتائها لامر معيشتها وعيشة بناتها .

قلت : أليس لزوجك من اخوة يهتمون بأمرك ؟

قالت : اميرنا هو ابونا واخوانا وعضدنا ومقيلنا من كل عشرة . وما زال الامير يجير

فنحن بجير .

قلت : وهل لك من الماشية ما يقوم

باودك واود ابنتيك ؟

قالت : عندنا من النوق والجمال

عدد لا يستهان به عشرون ناقة وخمسة

جمال وعندنا ثمانية نعجة حلوب وخمسون

كبشاً للنزول .

قلت : وهل عندك خيل ؟

قالت : كلامي يركب الخيل عندنا ؟

وكانت ملاين المرأة وابنتها من الخريز

الناعم الشمين وكانت الحلي والجواهر

تزين معاصمهن وأذانهن واعناقهن وشعرهن

وكانت تبدو عليهن علامات النعمة والعيش

البذخ . وقيل مفادرتنا الخيمة ورغبت



البدوية تحمل ابنتها اليتمية

في الاستسلام عن مقتل البدوي زوج تلك المرأة فقبل ان يذبحه قتل دفعتا عن شرف
ابنته الكبرى فقد كان سبها مرعومة احد رجال قبيلة بدوية فلقن به والدها وخلصها
فكن له الرجل وقتله على مقربة من المضارب
ثم ذهب بنا الامير الى بيت من بيوت فقراء القبيلة . سئبلنا رجل في المقعد الخامس
واجلسنا على مقعد من الشعر . وكان للرجل امرأة واولة اربعة : فافهمني الامير ان
الجماعة هذه من اقر القبيلة

المبردات اللذيذة الطعم ،

المساعدة على الهضم والمحافظة على

الشهاتد الصحية المديدة

فاشربوها



المبردات المختلفة المصنوعة

على أحدث الطرق الفنية في

معمل «نعوم الخوري اخوان»

طريق النهر ١٠٨ - هي



نعوم الخوري اخوانه بيروت

سألت البدوي : هل عندكم شيء من الحلال ؟

قال : عندنا من كرم الباري عشر نوق وجمالان

قلت : وهل عندكم شيء من الغنم ؟

قال : عندنا خمسون نعجة وعشرة خرفان

قلت : وهل يقوم ذلك باوذك ؟

قال : نعم وما زال اميرنا بخير فذبح بخير . واذا كذا سائر من دارت بيني وبين الشيخ

المحاوره الآتية :

قلت كيف تتألف القبيلة ؟

قال : تتألف القبيلة عندنا من اقسام اربعة :

١ العائلة والعبيد

٢ حرس العاربات

٣ الجيش المسؤول عن حماية القبيلة جمعا (الفرسان)

٤ الرعاة وهم المكلفون برعاية الحلال (المواشي)

قلت : وهل يريده سيدي الشيخ ان يتكرم علينا بزيادة الايضاح ؟

قال : القسم الاول يعني العائلة والعبيد . فالعائلة هي البيت الذي يتحول حق السيادة

على القبيلة وللعائلة نظام خاص تديره بوجه . ومن دأب هذا النظام ان يتحولوا حقوقا

يتمتع بها الجميع . وتؤخذ نفقاتها من واردات القبيلة وتجبى مع سائر الضرائب اما حصص

افرادها فتوزع عليهم بنسبة درجات قرابتهم من الشخص المسؤول وهو شيخ القبيلة او

اميرها . فحصة اولاد عمي فوق حصة ابناء خالي وحصة اولادي فوق حصة ابناء عمي

قلت : وهل لابناء خالك حصة ؟ وهل تعتبر منهم من العائلة بمجرد انسابهم اليكم او

ماذا ؟ قال : ان ابناء خالي من العائلة لان والدتي من عصبنا ومن دنا ومن عائلتنا . على

انها لو كانت غريبة لما حق لاختيا وابنائهم شيء . عندنا ان المال خاص بالعائلة دون

سواها .

قلت : وهل لسيدي الشيخ ان يفهمنا عن مقدار ما يتقاضاه كل من افراد العائلة ؟

قال يعني ان اوقفكم على القاعدة التي تتخذها اساسا للتعديل في جمع المال وتوزيعه

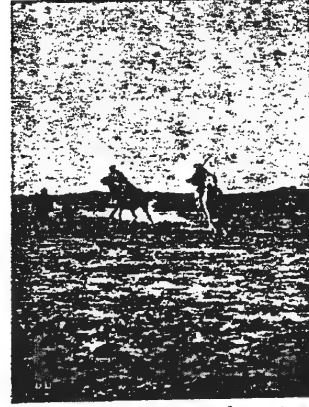
على الافراد . وهي القاعدة المعمول بها عند سائر القبائل وقد بقيت على اساس ثابت

مقرر لا يقبل التغير والتحويل في بادي الامر كانت كل قبيلة تقدر بمائة بيت وكان المال يوزع على هذه البيوت بنسبة الواردات فان ازدادت البيوت ازدادت معها الواردات وكبرت الحصص بالنسبة اليها واذا نقصت البيوت نقصت معها الواردات بالنسبة الى ذلك النقص

قلت: لم افهم قولكم فاذا شتمت تفضلوا بزيادة الايضاح

قال: من المادة ان يكون لكل بيت عشرة جمال على الاقل وعشرون نعجة حلوب فيتمكن بذلك من العيش في البادية ويفرض على كل بدوي من اصحاب

البيوت ان يدفع للإدارة مبلغاً معيناً عن كل جمل ومثله عن كل نعجة وتعرف هذه الضريبة بضرية الحماية ، وخلا ما تقدم فان على كل بدوي صاحب بيت فرضاً على الغلال وعلى تساج الحيوانات وعلى واردات الصوف والسمن وما شاكل ذلك فعلى هذا التعديل يدفع البدوي ثلاثين بالمائة من وارداته . ثم يدفع عن كل فرد مبلغ معين بدلاً من حماية الارواح وتمديد هذا كله ثلاثون بالمائة من الدخل . وبعد ما تقدم لا عهدة اصلاً على البدوي المذكور قلت : ما معنى هذه العهدة ؟



من فرسان الجبور

قال بعداها اننا نحن المسؤولون عن حمايته وحماية عرضه وحلاله بسيوفنا ورماحنا وفرساننا وقوتنا المادية والمعنوية . فيعود اليها البدوي في اموره كلها قلت: فليشكروم علي سيدي الشيخ بشرح حال العبيد قال: ان اهمية العبيد في القبيلة قدر اهمية العائلة . والعبيد الذين رأيتهم هم ابناء العبيد الذين خدموا ابائنا واجدادنا . وسيخدم ابناؤهم ابنائنا

قلت : وهل لهؤلاء العبيد من حقوق محفوظة ؟

قال : على سيد كل قبيلة ان يصون العبيد وعائلاتهم محافظاً على كياناتهم كل المحافظة . واذا اتفق ان عبداً خان سيده وتأمر على قتله جاء الامير خليفة سالفه وقتل العبيد وقضى على ذريته عن بكرة أبيها . وقد كانت التوفيق اليقنا وحليفنا فيما يتعلق بالعبيد فقد كانوا ابداء دماً مخلصين . ويعيش نساؤهم مع حرمان كما ان رجالهم يعيشون بين رجائنا . نجيبهم حباً عظيماً وليس في القبيلة من له منزلتهم من الدالة على العائلة فهم محتاطون بنا ليل نهار وهم الكل في الكل

قلت : وهل للعبيد من معاش ؟

قال : كلا . وليس للعبيد ان يملك حلالاً انما ملك مولاه ملكه على انه اذا رام



سيد العبيد ان يطرده من خدمته حق لذلك شيء كما هو معروف في انظمة القبائل . قلت : وهل للقبائل بهذا المعنى انظمة مكتوبة تمشي بموجبها ؟ قال : ليس للقبائل

انظمة مكتوبة ولكن المتقدمين سنأ مطلبون عليها فنتشدهم باسمها

قلت : وهل تفرض هذه الانظمة مماشاً للعبيد اذا طرده سيده من خدمته ؟

قال : لا بد حينئذ من فرض معاش للعبيد يختلف باختلاف افراد عائلته حتى يتمكن من الحياة . وكثيراً ما يفرضون المشكل هذا بالحسن فيأخذ العبيد عدداً من الحلال متخلياً عن كل معاش في المستقبل هذا اذا كان العبيد قد طرد من الخدمة بدون ما ذنب جدير بالذكر . اما اذا كان طرده مولاه لجريمة اقترافها فلا يحق له شيء ولا

يعطى شيئاً .

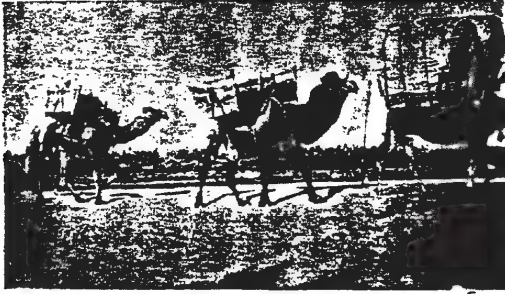
قلت : واي ذنب يستوجب طرد العبد وعائلته مجرداً من كل تعويض بكفيل معاشه وهو لا يملك شيئاً ؟
قال الخيانة . ولكنها تنوع . اذ ليست على اطلاقها مما يستوجب اعدام العبد وابادة ذريته .

قلت : والى من يعود جواد العبد ؟

قال : الى سيده اذ ان العبد فرد من العائلة يعيش في مطبخها ويرتدي من ملابسها ويدخن من تبغها . وليس سوى المقام ما يفرق بين الامير وعبيده
قلت : وما هي طريقة معيشة العبيد والجواري الفردية بالعائلة ؟
قال : اقمتمك سابقاً انهم يعيشون مع العائلة بلا قيد ولا شرط
قلت : احب ان اعرف طريقة زواجهم وتربية اولادهم ومعيشتهم العائلية حال كونهم مقيدون بالخدمة ؟

قال : ان العبيد على ثلاثة اقسام ، فالقسم الاول مخصص لحراسة كبير العائلة او امير القبيلة ، والثاني مخصص بخدمة المنزل ، والثالث لسياسة الخليل الخصوصية .
كذلك الجواري على ثلاثة اقسام . الاول لخدمة الحرم الخدمة الخصوصية ولرافقتهم في الحل والترحال . الثاني لاعداد طعام العائلة وما يختص بانواع الاكل . الثالث لفسل ملابس العائلة وتنظيفها وترتيبها . واعلم ان لكل عبد ساعات معينة في اليوم يصرفها في منزله الخاص .
قلت : وهل للعبيد منازل خاصة بهم ؟

قال : افدئك ان العبد لا يملك شيئاً لنفسه . غير انه متى اصبح العبد رب عائلة تقدم له منزلاً لا يوايه ونوشه له الاثاث اللازم فيجتمع فيه الى امرأته واولاده حين فراغه من الخدمة . قلت : واذا ولدت الجارية ؟
قال : متى حملت الجارية نوقتها عن الخدمة الى ان تلد ويكبر ولدها ويصبح في وسعها ان تتركه بدون ما تزعاج . وفي تلك الاثناء تأكل وتشرب كمادتها وهي في بيتها لا يكرهها احد على الحبي الينا .



الموادج او ركائب العاربات في القبائل

قلت : وقد يجبلن معاً فمن يخدم العائلة اذ ذاك ضحك وقال . زواجهم منوط بنا والذي يتزوج منهم قليل فاننا لا نريد ان نجعل قبيلة من عبيد وجوار فيلزمهم اذ ذاك نفقات كثيرة . في القبيلة كلها الان يوجد اثنتان بمزوجات وما بقي من الجواري كبرن فلا يصلحن للزواج . وكذلك الرجال ، والحالة هذه لا يوجد عندنا الاجارية واحدة معاملة عن الشغل .

وشعرت بانني ربما ازعجت الامير بكثرة الاسئلة فلزمت الصحة هنيئة . غير انه عاد فقال : لا تظنن انك ازعجتني . كلا فسل ما نشاء .

قلت : وهل كل ما في القبيلة من حلال ملك العائلة ؟

قال : كلا . بل لكل بيت حلاله وللعائلة حلالها الخاص .

قلت : وكيف يملك البدوي حلاله ؟

قال : ان اهل البادية باجمعهم يملكون في الاصل حلالاً . ومتى غزت قبيلة غيرها وتغلبت عليها تقسم الغنيمة نسبياً بين الغزاة .

قلت : اذا شاء سيدي فليردني ايضاً بشأن تقسيم الغنائم .

قال : تقسيم الغنيمة هكذا :

يخصص منها خمسون بالمائة للإدارة وتوزع الخمسون الأخرى بنسبة الدرجات
قلت : ما معنى هذه الدرجات ؟

قال : سبقت فقلت لك ان القبيلة اقسام . فكل هذه الانقسام توزع القيمة ...
ياخذ حرس العاربات ثلاثة وعشرين من الخمسين التي تفضل عن الإدارة وبأخذ
الفرسان سبعة عشر والرعاة عشرة . ويتفق احياناً ان يخصص امير القبيلة شيئاً ببعض
الرؤساء وذلك تابع لظروف الزمان : لمكان فليس منه شيء محدود .

وحرس العاربات أقوى وافضل فرسان القبيلة : فقد مرت عليهم غزوات وحروب
عديدة فهم والحالة هذه اشد فرسان القبيلة بأساً . ولا يخفى عليك ان حماية العرض اهم
شيء في نظرنا لاسيما وقد تفشت تلك العادة القبيحة الدميمة عادة السيي قلت : ارجو
من سيدي ان يزيدني شرحاً عن حرس العاربات وغيرهم من القبيلة .

قال : ان هؤلاء الابطال ذو ثرة خصوصية ولهم رئيسهم او مديرهم . وهو يراقب
حالة المجاورين متنبهاً لظروف الزمان ويمكن . وهو المسؤول عن حماية العرض بمعاونة
ابطاله . ومن هؤلاء الابطال مختار قواد الفرق التي تسميها الفرسان . والفرسان او
الجيش المسؤول عن حماية القبيلة . منظمون فرقا ولكل فرقة رئيسها او مديرها ولهم
جيادهم وسلاحهم على حساب ادارة القبيلة .

اما قسم الرعاة فهم الذين يخدمون الماشية مهتمين بتاجها وسائر ما يتعلق بها من
جز صوفها واعداد سمها وما شا كل .

لو كندة عاليه الكبرى

د. صعبا برها جديلي اخوان

لو كندة ممتازة في بنائها وخدماتها ومطبخها تحتوي على جميع وسائل

راحة المصطاف « الشيك » وهي انهم لو كندة في لبنان

قلت : وكيف يكون هذا البدوي
فارساً واخر راعياً واخر عترة فارقة اخرى
اذلك عائد الى مجرد ارادتك ام ماذا ؟
قال : لا ارادة لي بهذا الامر ، انما
هي ارادة البدوي مجردة من كل ضنط
وقسر . والبدوي راع في الاصل غير ان
يسعه ان يتقدم باجتباؤه وشجاعته .
والعدل عندنا موجود .

عندما يبلغ البدوي الرابعة عشرة من
عمره يذهب الى الرماية اما يرتقي او يرفقة
من اعينه ويقضي كل يوم ثلاث ساعات
يتحرف فيها على الرماية ويدوم التحرفين
هكذا تسعة اشهر وهي المدة التي تصرفها
مقيم في المحلات . وتصرف الاشهر



فارس جبوري وعائلته

الباقية في الحل والترحال وهي زمن العطلة والفراغ . فاذا انقضت الاشهر التسعة واصبح
البدوي يحسن الرماية فيصيب الهدف ثمانين مرة من كل مائة رمية يجعلناه فارساً والا يبقى
راعياً . ثم متى بلغ سن العشرين يعاد تمرينه على الرماية شهراً واحداً . فاذا نجح ترقى
الى رتبة فارس . والا بقي راعياً . وفي الخامسة والعشرين يمرن ثلاثة اشهر واحداً وهو
اخر تمرين فاذا نجح صار فارساً والا فانه يصرف حياته راعياً .

قلت : وهل هو نظامكم منذ الاصل ام كان لكم نظام قبله ؟

قال : كانوا قديماً يمرنون البدوي على ضرب السيف فيفرضون عليه ان يقطع
يمده وبضربة واحدة اشياء اعدوها لهذه الغاية ثم جاءت الرماية فحلت محل ضرب
السيف .

قلت : وكيف يترقى الفارس الى درجة حرس الحرم ؟

قال : تختار الفرسان الذين ابلوا في المواقع وتغلبوا على الخصوم وكانوا من العاملين

في سبيل صالح القبيلة ورتبهم إلى الدرجة التي اشترت اليها اذ على الحارص ان يبرهن على مقدرته الثابتة من سائر الوجوه وان يكون بالتالي «خوش راجل» اعني رجلاً بكل معنى الكلمة .

قلت : وما هي واجبات البدوي للعائلة سيده القبيلة ؟

قال : على كل بدوي يلجأ اليها أن يدفع مبلغاً معيناً في السنة وتعتبر هذا المبلغ فريضة على الحماية . وتختلف هذه الفريضة باختلاف السنين .

قلت : وماذا يدفع في هذه السنة ؟

قال : ريالاً محجيداً وشله امرأته وكل من ابنائه .

قلت : وهل يلتزم بدفع الفريضة عن ابنائه وهم اطفال ؟

قال : نعم يلتزم بذلك منذ ولادتهم .

قلت : وماذا يدفع البدوي خلا ما ذكر ؟

قال : يدفع كما افدتم سابقاً ثلاثين بالمئة من غلة الصوف والسمن والجلد وتحتاج الحلال . جبايتها على العدد اعني كذا عن زق السمن وكذا عن حمل الصوف الخ فيقدر المبلغ الذي يدفعه البدوي ثلاثين بالمائة من وارداته السنوية .

قلت : الا ترون ذلك باهظاً ؟

قال : كلا . اذ لو كان البدوي يشتري من جيبه الخصاص جواده وخرطوشه ويندقيه ليتعلم الرماية لفاتت النفقة الفريضة المذكورة . فهو لا يدفع شيئاً ما تقدم . والنفقات هذه يرمتها ندمها من مال (الصر) الخزينة .

قلت : وكيف يسكنكم احصاء هذه الغلات ؟

قال : ذلك امر هين . تجمع الادارة الغلال المراد يدها ثم تعقد اتفاقاً مع التجار الذين يقدمون على مشتراكها . وتباع الغلال صفقة واحدة وتقبض الادارة المال وتدفع لكل بيت ما يصيبه منه بعد حسمها حصتها .

قلت : وما هي اهم المواسم التي تعتمدون عليها ؟

قال : السن والصوف ، يجيء بعدها الجلد والغايش من نتاج الحيوانات .

قلت : وكيف تديرون هذه الاعمال ؟ هل تستخدمون الكتابة ؟

قال : ان هذه الاعمال سجلات مختلفة ودوائر ومجالس

قلت : وما هي دوائركم ؟

قال : لنا دائرة المحاكم الشرعية . ومن اختصاصها الزواج والوفاة وصهر الارث والموايد والعلاق وجميع الامور الشرعية والدينية .

ولنا دائرة المحاكم المدنية ومن اختصاصها اجراء العدالة بين المتنازعين والمتخاصمين ولنا دائرة المالية . ومن اختصاصها جباية الضرائب وتقسيم الغنائم وبيع الغلال وتوزيع وارداتها واستبدال البض منها .

قلت : وماذا تعنون باستبدال البض منها ؟

قال : يقوم الاستبدال بان ياخذ كل بيت حاجته من الخنطة والذرة التي تزرعها القبيلة فيف املأها الخاصة لاجل مؤنتها . وبدلاً من ذلك يقدم للادارة من غلاله ما يعادل قيمة ما اخذه .

قلت : وماذا تعملون بالضرائب التي تجبونها ؟

قال : ان الامر حقاً بان يتصرف بها كيف شاء ولكنه يأبى الا اتفاقاً في سبيل خير القبيلة فسن لها نظاماً يسير بموجبه كل من يخافه وبلخص هذا النظام بما يلي . اولاً : ينفق الامر على العائلة اتفاقاً لاتفاقاً بمزراً شأنها من شئ الوجوه .

ثانياً : ينفق من هذه الضرائب في سبيل مشتري الجياد اللازمة للقبيلة ومشتري سائر حاجيات هذه الحيات .

ثالثاً : ينفق منها في سبيل مشتري سائر الاسلحة اللازمة لكيان القبيلة وصيانتها .

رابعاً : ينفق منها في سبيل مشتري ادوات وقطاعية دوائر القبيلة .

اونبل قهر الصنوبر ريفون

لصاحبه مبارك صغير

الذي يشتهر بمناظره الخلابة لانه يشرف على جبال صنين والبحر ويحيط به اشجار الصنوبر . تجري قربه مياه نبع العمل . المطبخ والخدمة فيه عائلية — مياه جارية بالغرف . ومنار بالكهرباء .

خامسا : وتقدم منها جوائز الرجال الذين احسنوا الى القبيلة باعمالهم الحيدة .
سادسا : بالمال الذي يفضل عما تقدم يشتري لاميير املاكا ثابتة ينحصرها بصالح
القبيلة جمعا .
واذ كنا سائرين والشيخ يقص علينا الاخبار انتهينا الى خيمة جملها دائرة
للمحاكم الشرعية . دخلنا فوجدنا هناك دبا جالسا على الارض الى جانبه كريمة
من الدفاتر والاقلام الرصاصية المتعددة الالوان .

سألت : ولماذا هذه الاقلام .
الرصاصية الملونة فاجبت انها
لتميز القيود الواحد من الاخر
وهذه طريقة تسهل الاعمال
وتسرع بانجازها . فالزواج مثلا
يقيد باللون الاحمر . فلو جاء
احدهم وطلب الاستفادة عن
يوم زواجه فقتل المسجل عن
ذلك في اللون الاحمر . والقيود
عندنا متتابعة فانك ترى سيرة
الصفحة الواحدة الواحدة محتلفة
دلالة على اختلاف القيود . وقد
اصطلحنا على تخصيص اللون
الاحمر بالزواج ، والاسود
بالموت والاخضر بالولادة وعلم جرا



بقيود بدوية من غرب الجبوز

سألت : وابن يتعلم البدوي
القراءة والكتابة قليل لي : هنا في القبيلة .

قلت : وهل في القبيلة مدرسة ؟

قال : ان في قبيلتنا « مدرسة خوش مدرسة » اعني مدرسة عظيمة .

قلت : وهل يستقل هذا البدوي بقيد ما يلزم في هذه الدفاتر ؟

قال : كلا . فان شيخ القبيلة يؤلف جمعا منه ومن معاونين اثنين فيقيد هذا
البدوي كل ما يقره اعضاء المجلس . على ان المسائل المتوقعة بالزواج والطلاق فينجزها
شرعيا احد مشايخ الدين .

قلت : ومن اين لكم شيوخ الدين وانتم في البادية ؟

قال : هم دائما معنا واليهيهم نعلم تعليم الاولاد القراءة والكتابة والصلاة في
القرآن الشريف .

قلت : اهي خطة جديدة سلمكم بوجوبها ام ذلك قدم العهد عندكم ؟

قال : هي خطتنا منذ نشأنا وقد ورثناها عن اباينا واجدادنا ولا جديد عندنا سوى
استبدال الملود بلورق واستبدال حبر الحشائش بالخبر الجديد والقلم الرصاص والمواشي
بالمعدل وكان ايضا في زاوية من الخيمة بدوي ثاين الى جانبه دفاتره واقلامه الرصاصية
وهو المولج يتدوين الاعمال المختصة بالمحاكم المدنية . وتواف دائرة هذه المحاكم من
رئيس وعضوين يختارهم الامير من اعيان القبيلة . وليس للمحاكم المدنية من
نظام ينشئ عليه العريان انما لهم عادات يتمسكون بها منذ الاجيال القديمة وليس
يبتغيهم من يهينها . والاحكام عند العرب عرفية على نوع ما غير ان العدل موجود فيها
بينهم فلا حيف هنالك ولا ظلم .

وجاء بنا الشيخ الى خيمة اخرى فوجدنا هناك رجلا ثلاثة الى جوانبهم الدفاتر
العديدة وكانت هذه الخيمة دائرة « الصر » او خزينة القبيلة او محل الضرائب والجباية
حسب اصطلحهم وقد نظموا اعمالها على النمط الاتي :

اولا - دفتر لقيد اسماء افراد القبيلة . فعملوا لكل بيت صفحتين يقيدون في
احديهما اسماء الافراد الاحياء مضمينين اليها اسم كل مولود جديد في خلال السنة
ويقيدون في الصفحة الثانية اسماء الذين يموتون من ابناء ذلك البيت وهكذا يحصون
افراد القبيلة .

ثانيا - دفتر لقيد المواشي وفيه لكل بيت صفحتان يقيد في احديهما عدد ماشيته
وحلاله ومواليدها ويقيد في الصفحة الثانية عدد المفقود منها والمباع ويحسم في آخر السنة
صافي تلك الحيوانات فتزودي الضريبة المفروضة عليه

ثالثا - دفتر للغلال التي تملكها الادارة من كل بيت يقيدون فيه الكمية المسلمة



واسعار يبعها مضيعين الى ذلك كل ما
يتعلق بالاحتبدال والمواسم وما شاكلها
رابعا - دفتر التسليف فلوامات
حلال البدوي ولم يكن عنده من المال
ما يكفيه لشراء حلال جديد اعطته
الخزينة ما يشتري به الحلال اذ لا يبيع
البدوي ان يبيع بدون حلال . ثم
تسوي في الخزينة ما لها من ذلك البدوي
في خلال اعوام معلومة معين تبعا
للظروف . ووجدت في تلك الدائرة
دفاتر خصصت بالفزوات تقيد فيها الارباح
والخسائر وتقسم على مختلف الدرجات
البدوية . وقد جعلوا ايضا في تلك
الدائرة اربعة دفاتر مخصصة كما يلي :

صاحب الرحلة في الجزيرة

من ما ومناع

ثانيا لقيد سائر نفقات الامير

ثالثا لقيد واردات القبيلة وهو مجموع ما يدخل عليها من سائر الفلال والمواسم
والنتاج وهلم جرا .

رابعا لقيد نفقات القبيلة في سبيل اتباع الاسلحة والخياد والذخيرة وهلم جرا
ودخلنا خيمة اخرى وقد خصت بالذخيرة . يقوم بحراستها اربعة رجال بأسلحتهم .

وقد وضعوا في تلك الخيمة الصناديق العديدة وكلها ملاءى بانواع الاسلحة .

دنوت من مدير تلك الخيمة وسألته . كم عندك من الدفاتر ؟

قال : اثنان فقط ، احدهما للوارد والثاني للصادر .

قلت : وماذا تعني بذلك ؟



الشيخ حمود شيخ قبيلة الجبور في مجلسه اليومي

قال : تقيد الوارد هكذا . ورد الينا في يوم كذا بواسطة فلان بذخيرة عدد كذا
خرطوش عدد كذا وهلم جرا . وتقيد الصادر هكذا . بتاريخ كذا سلمنا بامر مولانا
فلانا بذخيرة غربيها كذا وخرطوشا عدد كذا . والمقصود من ذلك ان يستطيع الامير
معرفة ما عنده في البيت من سلاح وذخيرة بدون ما عناء ولا تعب .

قلت : وهل لك ان تقيدني عما عندكم من البنادق في الاونة الحاضرة ؟

تروقف عن الجواب فاطمرا الى الشيخ كأنه يستأذنه ، فاعزز اليه الشيخ ان يجيب
على اسئلتنا ، فكشف دفتره واجابني فوراً . تسعاية في المخزن .

قلت وكم هي سيوفكم ؟

قال : ثلثاية

قلت : ومسدساتكم ؟

قال : اربعاة

قلت : وهل تتجرون بالاسلحة ؟

قال : ان الجواب على هذا السؤال منوط بولاي الامير . وعندهما قال الشيخ لنا
بأنه لا يبيع الاسلحة على الاطلاق ولكنه : نتأهب للطوارئ والمفاجئات . اذ يشتري اثنان نفزو

فنخسر سلاحنا ولا سبيل لنا إذ ذلك استجلاب ما يغطي خسارتنا قبل مرور أشهر سنة . وهذا على أقل تعديل وهيئات إن تسلم من مصادرة الدولة (يعني الدولة العثمانية وكانت حينذاك سلطنة تلك الفياقي) بناء عليه يجب أن يكون في حوزتنا وبصورة دائمة ثلاث بدلات لثلاثمائة رجل ولذلك نرى عهدنا الآن تسماية بندقية . وهي أفضل وسيلة للعيش بأمن من كل خطر .

قلت للشيخ : لماذا لا تسمعون إذا بالدخول الى بيت الذخيرة ل ترى ما فيه ؟

وقف الشيخ حمود هنيهة ثم قال : (ما يخالف) تفضلوا

فقلنا إذا كان ثمة مانع يمنع دخولنا الى البيت فنحن نمتنع عن ذلك لاننا لا نريد خرق انظمتكم .

فضحك ثم قال : القبائل لا تنفض اسرار سلاحها وذخيرتها ولكن انتم كرام وسوف لا تقولون شيئاً ما ترون .

فقلت له : كن على يقين اننا لا نلتفظ بكلمة واحدة يمكننا ان نضر بكم ندخلنا البيت ووجدنا صناديق على الجانبين منضدة بعضها فوق بعض حتى سقف المضرب وفي وسطه بيوت جديدة من الجلد لاجل نقل الطرطوش وبندقيات من الطراز الجديد ومسدسات وسيوف وقرب للمياه ورماح

واذى بنا السير الى المدرسة فاذا هي خيمة طويلة عريضة فيها الاستاذ وثلاثون طالباً وقد جلس جميعهم على الحضيض وما ان دخلنا حتى وقفوا على اقدامهم منسدين بالصوت لواحد « ليعش مولانا وحامي حمانا »

وكان الاستاذ بدويًا من افراد القبيلة وقد اقتبس علمه في دمشق ومنها اخذ لقب « شيخ علم » . سألت الاستاذ قائلاً :

ماذا تعلم هؤلاء الاحداث ؟

قال : القراءة العربية وكتابتها وصلاة القرآن الشريف . وكاث في الخيمة لوح اسود لتعليم الكتابة وهو شبيه بالالواح السوداء التي نستخدمها في معاهدنا . تركنا المدرسة عائدین الى مركز رجال حملتنا وفي اثناء سيرنا مررنا بخيمة خست بالحرم وقد فرشت بالسجاد المجعي الفاخر ووضعوا في كل زاوية منها فراش . من صوف الماعز الداعم . فلم نشأ ان نمرض كثيراً لامر النساء لاعتقادنا ان العرب يستعملون

البحث عن ذلك فواصلنا لمسير الى خيامنا

١٥ نيسان

نهضنا من رقادنا حوالي الساعة الخامسة صباحاً . وكنا نتناول القهوة حين دخل علينا الشيخ حمود يدعونا لحضور الاستعراض وكان الطقس جميلاً للغاية

فسألته : وماذا تعني بالاستعراض ؟

اجاب : استعراض الفرسان الذين نعدكم للمنازلة لان الحرب واقعة بيننا وبين القبيلة المبهودة بعد مغادرتم اراضيها

قلت : عفواً مولاي اعطنا بضمة دقائق فرصة لنجهز آلة التصوير

قال : ارجوكم ان لا تصوروا الاستعراض ، رغمنا عن كل ثقتنا بكم لا يمكننا السماح لكم بذلك .

وحوالي الساعة الثامنة كنا والشيخ خارج المضارب وقد صحب الشيخ عشرة من



عرف توفيق رزوق

بيروت

اشرب عرق رزوق حتى تحافظ على صحتك
فهو احسن والد عرق

اركان قبيلته ونصف القوة الموجودة في القبيلة .

قلت لهؤلاء كل رجالك ؟

قال : لا يبعثنا ان نجرد القبيلة من كل قوة . فاننا نأخذ النصف وتترك النصف الآخر حين الحاجة .

قلت : وكيف هو عدد النصف ؟

قال : مائتان وخمسة وسبعون فارساً . فاننا سنموت هؤلاء قبل الظهر لنموت النصف الباقي بعد الظهر . مشيتا مسافة نصف ساعة فانتهينا الى ساحة فيجة وكانت الشيخ راكباً جواده . فاستل سيفه وشرع يتنادي فرقه هكذا :

١ . فرقة الواضي . وهي الفرقة المخصصة بضرب السيف وكان عددها خمسين فارساً واخذ الامير يمتحنها بالهجوم والدفاع وبضرب السيف والرمح ثم امتحن الجياد واطاعتها للحركات وما شاكل .

٢ . فرقة الفرسان . وهي فرقة الفرسان المالحين وكان عددها خمسين فارساً .

٣ . فرقة الخرس : وهي فرقة السوارى لحرس العائلة وكان عددها خمسين فارساً .

٤ . فرقة الابطال . اي نخبة القبيلة وعدد رجالها خمسون فارساً .

٥ . فرقة المواصلات . اي الفرقة المحافضة على خط الاتصال بين القبيلة وساحة القتال . وعدد رجالها خمسون فارساً .

٦ . رجال الشيخ اي الفرقة التي يبق رجالها حول الشيخ بصورة دائمة تنفيذاً

لاوامره وابلاغها الى الفرق الاخرى . وعدد رجال هذه الفرقة خمسة وعشرون

فارساً . وقد سمر الامير لادن شاهد قومة على اتم الاستعداد للزوال ، وعند الساعة

الواحدة بعد الظهر عدنا جميعاً الى المضارب وكان العربان ينشدون الاغاني الحامية

اكراماً لاميرهم . وما زلت اذكر منها ما يلي .

يا شيخنا يا شيخ حمود رجالك (رجالك) شلها (كلها) اسود

بالحرب لا نخشى الوعود والضيفكم تحفظ عهود

.....

١ . بوادي المدس (باشر) (ياكر) تشوف خيولنا صفوف صفوف

٢ . ورماحتنا مع السيوف ورماحتنا باشر تشوف



وكننا دعونا الامير لتناول طعام الظهر على مائدتنا فقبل الدعوة شاكرآ . وبعد الغداء ذهبنا معه لاستعراض البقية من فرسانه وكانوا موزعين نظير الذين تقدموم .

وانتهى الاستعراض عند الساعة السادسة مساء فرجعنا جميعاً الى المضارب . وعندها دعانا الشيخ الى العشاء وما دقت الساعة الثامنة مساء حتى دخلنا بيت الاكل فاذا هو خيمة منارة ، مع ان العرب لا يستعملون النور فاردنا ان نمزق ما هو شكل النور المستعمل في تلك الخيمة فلم نر شيئاً من ادوات النور ظاهرة

قسم من الحملة في الوعر

للعيان سألت الشيخ : ما هذا النور فدخلنا وراء الستار وجدنا مصابيح معلقة ومن حولها العميد تراقبها خوفاً من الحريق . تناولنا العشاء على مائدة شيخ القبيلة (وكان عشاءنا حلالاً صغيراً لذبح جذاً) وقد نصح لنا ان نساغر ليلاً ملائمة للطوارئ .

ورقدنا في تلك الليلة نحواً من ساعتين نهضنا بعدها نعد عدتنا للرحيل . وعند الساعة الواحدة صباحاً اقبل الشيخ حمود لوداعنا وقد تلطف فقدم لنا اربعة من رجاله البواسل يرشدونا الى الطريق السلطاني . فصاروا على طريق خاص وعمر وكان الجو صافياً والقمر منيراً فساعدنا ذلك على السير سريعاً ، وكانت السكينة سائدة لا نسمع سوى وقع خوافر الدواب لاننا كنا نزعنا الاجراس والقلائد من رقاب البغال ومنعنا المكاربة من الفناء .

٦ : نيسان

ما دقت الساعة السابعة صباحاً حتى كنا قطعنا الجبال وانحدروا الى الوادي حيث سلكتنا الطريق السلطاني . وواصلنا السير نحواً من اربع ساعات فانتهينا الى «ام الديبان» فوقتنا هناك تأخذ قطعنا من الراحة .

وام الديبان هذه قلعة من القلاع الكبيرة في الجزيرة وهي بوابة جبل سنجار وبلاذ

اليزيدية • فيها خمسون دركياً سوارياً ويوزباشي وجاويشان وثلاثة من صفار الضباط • وهي نظيفة البناء ، نظيفة الغرف وقد فرشت على الطريقة البدوية • تناولنا الغداء في إحدى غرفها وكان معنا على المائدة أحد الجاويشين وبعد شرب القهوة سألنا الجاويش عن حالة الطريق السائرين عليه فقال • طريقكم عاقل جداً ويعرف هذا الوادي بوادي اليزيدية وهم قوم كفرة تجسم اللؤم فيهم ، لا ذمة لهم ولا وجدان دأبهم السلب والنهب والتفطيع والتفتيل لا يخشون سطوة الحكومة ولا تردعهم هيبتها عن اقتراف الجرائم وقد اعتدوا مؤخراً على جمال باشا أثناء ذهابه إلى الموصل •

قلت : وكيف كان اعتداؤهم هذا ؟ اليس للحكومة قوة كافية لكبح جماحهم والضرب على أيديهم ؟

قال : إن للدولة كل القوة على ذلك غير أنه لا يسمها أن تبقى هنالك رجالها يحاربون اليزيدية • وقد اضطرت إلى إعطائهم نوعاً من الحرية والاستقلال الإداري معينة لهم حاكماً منهم معترف لهم بحقوق خاصة يتمتعون بها • ولم يكن تصرف الدولة هذا مع شعب آخر من شعوب الجزيرة وعين جمال باشا والياً على الموصل • ولما كانت هذه البقعة داخلة في ولايته شاء أن يتفقدوها ويدرس أحوالها وقد استصحب خمسين فارساً مع ضباطهم ارتاحوا هنيئة في هذه القلعة ثم مشوا عند الساعة الثالثة صباحاً • ولما انتهوا إلى قلب القبيلة اليزيدية أوقفهم أميرها ولا شك أنه سيوقفكم •

قلت : وهل كنت مع جمال باشا ؟

قال : نعم وقد رافقته حتى « عين الغزال »

أذهب أيها المريض إلى المستوصف العام

للدكتور انطون سافور

شارع مار تقولا زقاق مار لويس - بيروت

اعظم واتقن مستوصف

قلت : أرجوك أن تزيدني أيضاً •

قال : ما كدنا نصل إلى وسط القبيلة حتى رأينا أميرها راكباً جواده يحيط به عدد كبير من رجاله • فدنوت منه وقلت • أيها الأمير إن القادم اليكم هو جمال باشا والي الموصل الجديد •

قال : يمكنه أن يؤدي لنا مبلغاً وافراً من مال الخزينة •

قلت : ذلك مما يصعب عليكم • وإذا ما تصلبتم برأيكم حسبت الدولة عملكم هذا عصياناً عليها وتمرداً •

قال : ولماذا تعتبرون ذلك عصياناً ؟ اليس الأرض أرضنا ؟ إنا نحن أحرار فيها نسمح بمرورها لمن نشاء ونمنع من ذلك من نشاء ؟

وعيناً حاولت اقناعه بالعدول عن مطلبه قبل أن يدرك الوالي الأمر • فاضطرت أن أعلم الباشا بما كان بيني وبين ذلك الأمير • حينئذ دنا منه جمال باشا وقال • ماذا تطلب أيها الأمير ؟

قال : الخطوة (رسم المروز)

قال الباشا : اليس هذه البلاد خاضعة للدولة العلية ؟

اجاب الأمير : بلى ، ولكن خضوعنا هذا لا يجوز دون طلبنا رسماً على مرور أراضينا •

وعندها أخذ الباشا يلاحظه ويقنعه بالعدول عن مطلبه مبتدئاً له أن عمله هذا يجر الويل طيه وعلى قبيلته • ثم قال له • اننا لا نعمل دراهم ولكننا سنرسل اليكم الرسم بعد رجوعنا إلى الموصل • فاطلق الأمير سبيلنا وتابعتا المسير إلى عين الغزال ورجعت إلى القلعة في اليوم التالي •

قلت : وماذا جرى بعد هذا الحادث ؟ هل صرفت الدولة نظرها عن هذا الاعتداء ؟ قال : كلا • فإن جمالاً كتب إلى الاستانة يخبر أولياء الأمر بما وقع فعردت الدولة حملة بعثت بها إلى اليزيدية • وقد مضى على وصول الحملة نحو من ثمانية أشهر • وما زال رجال الدولة في حرب مع اليزيدية لم يتمكنوا من تدميرهم واخضاعهم لأنهم عصيات وجب لهم تساعدهم على المقاومة • ثم أردف الجاويش قائلاً •

سبيل سنجار وعرة للغاية وهي ملأى بالقلع الطبيعية وما زالت الدولة تحارب

اليزيدية . وقد فهمنا انهم اوقفوا القتال منذ عشرين يوماً فان الدولة الروسية تدخلت
تروم وضع حد لهذه الحالة . وسبب ذلك ان اليزيديين جماعة عديدة منهم يعيشون
بين الروسين على حدود روسيا .

وقد طلب اليزيديون ان يؤدوا للدولة التركية فريضة معينة في كل سنة بشرط
ان يكونوا احراراً في بلادهم يستولون لانفسهم الانظمة والقوانين . وما زالت المفاوضات
بين اليزيديين والحكومة كما ان عسكر الدولة ما زالت محبسة في عين الغزال ولسوف
تشاهدونها هناك

قلت : ان رفيقي سامح رومي ، فيحتمل والحالة هذه ان يراعي اليزيديون حرمة
قال : على كل حال ينبغي لكم ان تنصرفوا بكل حكم مع هؤلاء الجماعة وايامكم
والعنف والكلام الجارح
قلت : على الله الاتكال

تركنا القلعة وممرنا ، وبعد ساعتين او اقل كنا في مدخل الوادي فشاهدنا على
مقربة منا خياماً سوداء قامت على شكل هندسي يخالف جداً تنظيم مضارب العربان فسالنا
لمن هذه الخيام ؟ فقولنا : هي خيام اليزيدية الذين يقطنون السهل في ايام المواسم ثم
يعودون في الصيف الى جبلهم « منجار » وكانت لا تقل الخيام عن الالفين عدداً وقد
قسمت الى اثنين احدهما عن يمين الطريق والثاني عن شماله ، فكان لا بد لنا والحالة هذه
من المرور في الوسط . مردنا واذا بنا امام وجوه وهيئات تختلف جداً عن كل ما رأينا في
الجزيرة ، الجمال باد على جميعهم رجالا ونساء لون وجوههم ابيض مائل الى الاحمر البنية

الخطبة الوطنية بيلت شباب

لصاحبها : اميل ملحم جبر

مجهزة بافضل الآلات الحديثة وانفتحها مفتوحة الابواب في كل يوم — خلا الاحاد —
لطنج جميع انواع المبوب بعد غرايتها وتنظيفها باسعار لا تجارى
فيها جميع انواع الخطبة الفاخرة واسمارها لا تراحم . والتجربة اكبر يوهان



عندهم قوية حسنة
عدد اليزيدية في
جبل منجار نحو مئتين
الف نسمة ما عدا
المشتتين في الجوار وعلى
الحدود الروسية
وما مشينا بين تلك
الخيام ما يناهز نصف
الساعة حتى التقينا جماعة
من الفرسان يتقدمهم
شاب جميل الطلعة على

امير اليزيدية وفرسانه

قبعة ريشة بدعية الشكل

فما كان من ذلك الشاب الا انه استهل كلامه قائلاً :

انا امير اليزيدية وصاحب هذه البلاد وسيدها وليس لاحد ان يمر من هنا قبل ان
يؤدي رسم المرور (الخوة)

امير اليزيدية : يطلق اليزيديون هذا الاسم على زعيمهم باعتبار انهم قبيلة ولها امير
اسوة بالقبائل العربية ولكنهم ليسوا من البدو فهم سكان قرى ولهم اهل اكهم في السهول
المجاورة للقبائل العربية وقد حذوا حذو البدو عندما يكونون في تلك السهول فيتخذون
لهم اميراً وفرساناً وحرماً الخ

قلنا : ان الامير ابتدنا بطلب (الخوة) رسم المرور فاجبته :

نحن مستعدون يا مولاي للاطاعة فما هو هذا الرسم ؟

قال : لسنا نعين على الكرم مبلغاً

حسن ولكن البست لكم عادات تتمشون عليها ؟

قال : بلى ، ولكننا نتوقع منكم رسماً يناسب سامي مقامكم

قلت : اننا ندفع رسماً معيناً عن كل رجل وعن كل دابة اذا شئتم او افيدونا ما هي

الطريقة المتبعة لدفع الخوة ؟

قال : عليكم ان تدفعوا مائتي ليرة عثمانية

قلت : سما وطاعة . غير اننا بعثنا بالمال الذي كنا نحملة الى وردية عن طريق الوعر لان العرب اظهروا لنا بصورة تخشى صولها فاضطرونا الى تهريب المال . ولو كنا حينئذ كما هكذا ليبي الجانب لما فعلنا ذلك . فيسعدك الان ان تختار رجلا يصحبنا في سفرنا فنؤدي له المبلغ تمامًا وكالا

قال : وهل يسوءكم ان اصحبكم بذاتي ؟

قلت : يسرنا جداً ان نتشرف بمواكبتك وهذا مما يزيدنا تشجيعاً على اجتياز هذه الاراضي مطمئنين البال بعيدين عن المخاطر والتساعب واذا منحت الفرصة زرناكم يا مولاي في جيلكم . قال على الرحب والسعة . وسرنا والامير في مقدمتنا راكب جواداً من اكرم الخيل وقد وضع الى جانبه الاين بنديفة من الطراز الحديث والى الجانب الايسر سيفاً جليلاً وفوق كتفيه عباءة عربية ظريفة مفتوحة على صدره يظهر في شقها على الشمال زوج مسدسات ، واخرطوش على صدره بشكل صليب ، من حوله خمسون فارساً سيوفهم مسلطة مستكلمي السلاح والذخيرة ، جياهم من اكرم الخيل ومروجها جميلة المنظر ونظيفة وعلى رؤوسها الرثمات والاعنة الملونة وكان جواد الامير يحمل حول رأسه وفوق انفه رشفة من الفضة العربية الصنع وعلى صدره كيات من الفضة المشغولة بانقان

وسارت الفرسان حتى نهاية القبيلة وبعدها صرغهم اميرهم فعادوا وبقي هو وحده معنا وما هو غير القليل على مسيرنا حتى عدت فسلأت الامير قائلاً : كيف تعدلون الخوة هل ان لكم قاعدة تسيرون عليها فنعينون مبلغة على الرجل وآخر على العادة ؟

قال : لاقاعدة لنا ولا خطة ، انما ذلك عائد الى الظروف . فنفرض رسوماً تختلف باختلاف القدرة المالية

ثم سألني الامير قائلاً

من هذا السائح وما هي امته ؟

قلت : انه كبير من كبار الامة الروسية وقد جاء الى هذه البلاد متنكراً وهو يبني ان يدرس حالة اليزيدية ليشمكن من العمل في سبيل مصالحتهم مع الدولة العثمانية قال اصحبح ما تقول ؟



عائلة يزيدية

قلت : نعم مولاي وقد احببت ان ابوح لك بهذا الهرم كي تحسن معاملته فيحفظ جيلك ويحمل الدولة على ان تعقد معكم صلحاً بناسيكم ، وقد قيل له انكم تعتدون على المارة وتتقاضونهم رسوماً باهظة

قال : ارغب في البحث معه بشؤوننا فترجم له قولي ، فاوقفت رفيقي على عزم الامير فطاب نفساً ، ثم افتتح الامير الكلام فقال :

يا سيدي انك من الامة الروسية ، فهل اتيت الى هنا للتزود والسياحة ام لغرض آخر ؟

اجاب السائح : اتيت سائحاً ومتزهداً وقاصداً اموراً لها علاقتها بدولتي

قال الامير : وهل بعثنا شي من ذلك ؟

قال السائح : نعم سيدي ، فقد عهد الي ان افد على ما هو جار عندكم لان الدولة العثمانية تتمسك بتمسك كبير صفو الامن العام في هذه الربوع وبالاعتداء على المارة الذين تتقاضونهم رسوماً باهظة غير مراعين في هذا الامر رجالها الاخصاء المولجين ادارة احكامها ، ولم تكن لنصدق ذلك لو لم نتحققه بذاتنا وها انك ترفقنا الان لتقبض هذا الرسم .

قال الامير : عذراً يا سيدي وعفواً فاني قد تحليت لكم عن الرسم وارجو منكم ان

تعتبروني رفيق سفر يصحبكم حتى «وردية» فلربما اوج الاسر الى خدمتكم او مساعدتكم . وخدمتكم واجبة فان دولتكم المحبوبة ما تثبت تحافظ علينا منتصرة انا في سائر مشاكنا مع الدولة العثمانية

قال السائح : ولماذا تتقاضون المارة رسماً ؟

قال الامير : انا نتقاضاهم رسماً اسوة بالقبائل المجاورة التي تتقاضى المارة رسوما مختلفة وكما مر احدنا باراضها دفع لها الخوة نظير كل غريب

قال السائح : علمنا انكم منذ بضعة اشهر وقفت في وجه والي الموصل انشاء ممره باراضيك وطلبتم منه رسماً باهظاً فاثار عملكم هذا سخط الدولة التي بعثت برجالها لمحاربتكم فلماذا سلكتهم هكذا مع ذلك الوالي ؟

قال الامير : يا مولاي كانت الدولة العثمانية قد فرضت علينا ضريبة فاحشة ولم تكن ندفع شيئاً من مثلها فيما مضى فكان قصدنا من سلوكتنا المجهود مع والي الموصل ان نقوِّز بالرسم فتدفع الضريبة الجديدة . على ان ذلك الوالي كان كذاباً مكارراً وهنا انقطع الحديث بين السائح والامير

والتفت الي رفيقي وهو يتسم ابتسامة تمي انا اصبحنا بمأمن من ذلك القوم وعندها خاطبني الامير قائلاً

يم يا ترى نجعل هذا السائح يشهد فينا شهادة حسنة عند رجوعه الى بلاده فننצל الدولة الروسية فننتصر لنا ونحمينا من شر بني عثمان ؟

قلت : عليكم يا مولاي بملاطفته ومجاملته . وليس ما يتعمد من اهدائك اليه ما تستحسنون فاننا ما نكون في الموصل زمناً غير يسير . وفور وصوله الى وزدي بقدم لك الرزم الذي تريد

وما كدت اذكر لفظه رزم حتى صاح بي ذاك الامير قائلاً :

حاشاي ان اخذ فلساً واحداً وساهم في ارضائه بهدية ثمينة فما رأيك في امر هذه الهدية ؟

قلت : يمكنكم يا مولاي ان تقدموا له ذكراً او انثى من الخيل السكرية الاصل ، او سيفاً قديماً من السيوف الموصعة

وعدت فقلت : والله سنزور الشيخ عدي مرجعكم الديني بعد مدة

وندرس مدققاً حالة شعبكم فذلك مما يهم السائح في الدرجة الاولى لانه جاء الى هنا لاجنكم خصيصاً

قال : انت مؤكد بانكم ستزوروا الشيخ عدي ؟

قلت : نعم هذه الزيارة من ضمن البرنامج

فكان ممروره عظيمًا عندما تاكد من زيارتنا للشيخ عدي

ومازلنا نتحدث الى ان انتهينا الى وردية وكانت الساعة السابعة مساء فذهبنا نوا الى منزل شيخ البلد وكان يدعى الشيخ محمود وحين وصولنا الى المدخل طلبنا مقابلة الشيخ فامسرع الى استقبالنا فحيته مسلماً ثم قلت :

نحن سباح ومعنا سائر ما يلزمنا فهل ترشدونا الى محل امين ننصب فيه خيامنا ونكون هناك تحت حمايتكم ؟

اجاب : لا امان الا داخل الدار . وفي اكون مسروراً جداً بنشر بفسكم . قال هذا ودعانا الى الدخول فدخلنا الى باحة فيحة ودخل معنا رجالنا ودوابنا باحمالها وامير اليزيديين ، وكان الحر شديداً فصعدنا على السطوح حيث تناولنا العشاء وما كدنا نشرب القهوة حتى اقبل الشيخ محمود شيخ وردية وزعيمها وكبير قومه وكان من جماعة المسلمين . وشرع يرحب بنا ويتأهل ملاطفاً ومجاملاً ثم سألني قائلاً :

لماذا استصحبتم هذا اليزيدي ؟

قلت : انه قابلنا في وسط الوادي ومعه قوة مسلحة لا يستهان بها وقد طلب منا رسم المرور في اراضيه (الخوة) فوعدنا به بدفع ذلك في وردية اذ لم يكن معنا مال في تلك الاراضي . فاحب ان يصحبنا كي يقبض الرسم

وقد سمعنا بكم قبل وصولنا الى هذه البقعة فان الكثيرين بثبوت على مروتكم وشهاتكم وكرم اخلاقكم وما قالوه لنا : اذا وقع خلاف بينكم وبين اليزيديين اخبروا الشيخ محمود بالامر فيوفى ببتكم ويساعدكم كل المساعدة فاستأذنا الى ذلك جئناكم الان ومعنا هذا الامير

قال الشيخ : وهل انتم عائدون على هذا الطريق ؟

قلت : كلا لاننا قادمون على فصل الصيف فلا يسمن احتمال الحر في الجزيرة فنفضل ان نسلك طريقاً آخر

قال الشيخ : اذا كان الامر هكذا اوعزوا الى هذا اليزيدي بالرجوع ولا تقدموا له شيئاً - وليس بإمكانه ان ابقيه في ضيافتي خوفاً من ابناء جنسي فأت اليزيديين الد اعدائنا . وكان الواجب عليه ان يعاملهم في بلاده معاملة ضيوف كرام ولكنه امرؤ لئيم . واعلم ان اليزيديين اغنى شعوب الجزيرة وهم يملكون اراضي جبل سنجار برمتها ولا يسع أحداً غيرهم ان يملك هناك شبراً من الارض والسهول التي مرورهم بها خصبة للغاية تنتج الغلال العظيمة . ولليزيديين مواشي مختلفة وكلها من احسن الاجناس . والضراب المفروضة عليهم من الدولة العثمانية لا تكاد تذكر وما ذلك الا لان الدولة تخشى ضرورهم لانهم قوم عصاة متمردون وكفرة يعبدون الشيطان . وقد ادت بهم القصة التي طلب رسم المرور (الخوة) من جمال باشا والي الموصل فأتهم هذا غضب الدولة التي بعثت بعضا كرها لمعاقتهم فكان ذلك باعثاً على الاصرار بنا لان اراضيها امت ساحة قتال فتمطت مواشيتنا ووضعت العساكر يدها على دوابنا فاستخدمتها في سبيل مصلحتها

قلت : وهل انتهت الحرب ؟

قال : كلا ، انما تهادن الفريقان منذ شهر لان الدولة الروسية قد تدخلت في الامر عليها توفق بينهما

قلت : وهل ادى جمال باشا الخوة ؟

قال : لا استطيع الجزم في هذا الامر

قلت : اليوزباشي المين في ام الديان يقول ان جمالا لم يدفع شيئاً فقد اكتفى بان يعد اليزيديين بدفع الخوة فور وصوله الى الموصل

قال : عرفت ان الصركاكت قد أرسل من حلب بطريق دير الزور ، ولما درى مأموره المالية بان جمالا يسلك طريق الجزيرة رأوا من المناسب استرجاع الصر وارساله يرفقته فيكون المال والحالة هذه بأمن من كل خطر وكانت القيمة خمسة آلاف ليرة عثمانية وقد استولى عليها اليزيديون ، ولكنهم ينكرون الان ذلك ويقولون ان جمالا اخذ ذلك المبلغ واتهم اليزيديين بالاستيلاء عليه كي تنقم الدولة له من اعتدائهم عليه في اراضيهم ، وقد حاربهم الدولة من اجل هذه المسألة ثمانية اشهر فقتلت منهم عدداً وسجنت جملة اشخاص وقتل من رجال الدولة اضعاف الاضعاف واخيراً توسطت دولة

روسيا بالامر فاروقف القتال ولم تزل المخابرات جارية حتى الان

قلت : وهل تعرفون ماذا تشترط الدولة على اليزيديين ؟

اجاب : يقال ان الدولة تطلب تشييد سراي كبير في الوادي الذي مرورهم به وتضع فيه قوة عظيمة وتكون اكلاف السراي من مال اليزيديين وتطلب الدولة تجريد اليزيديين من كل سلاح واخضاعهم لاسر انظمتها وقوانينها اسوة باهالي ولاية الموصل قلت : وماذا يطلب اليزيديون ؟

قال : لا يرفض اليزيديون شيئاً من مطالب الدولة ، ولكنهم يشترطون ان يكون حاكم منطقتهم يزدياً وان تتألف حكومتهم من رجالهم دون غيرهم وان يكون لهم في بلادهم شرائع خاصة بهم وان يكونوا مستقلين عن الدولة يتشئون على عادتهم القديمة ويؤدون للدولة ضريبة سنوية يجيئونها من بلادهم بدون تدخل اجنبي ويمشون بها الى الحكومة العثمانية

قلت : وهل اليزيديون متفقون باجمهم على ذلك

قال : نعم

قلت : وهل من يزديين في منطقة غير هذه ؟

قال : ان اليزيديين كثير عددهم في شرقي دجلة ولهم رئيس ديني في « الشيخ عدي »

قلت : وهل لهذا الرئيس علاقة بشورتهم ؟

قال : كلا ، ليس له ادنى علاقة بشورة قومه فهو لا يتدخل بالاشياء الزمنية ، والدولة تحترمه وتحبه لانها متحققة من تحايده التمام ، واذا ذهب الى « الشيخ عدي » قابوا الامير فتجدوني صادقاً بكلامي

قلت : وما رأيك الان بهذا اليزيدي ؟

قال : اصرفه ولا تكثرت له اصلا فلقد خرجت من منطقتة ولا يسمعه ان يلحق بكم ادنى اذى

وعندها ناديت امير اليزيديين وقلت له : ان رفيقي الرومي مستعد لتأدية الخوة فمر لنا باشعار باستلامك المبلغ وضع الى جانب توقيعك توقيع شاهدين

قال : اما قلت لك يا سيدي اني لا اريد شيئاً انما اطلب منك ان تقنع رفيقك

ليساعدنا لدى ارباب دولته لاننا مظلومون كل الظلم من قبل الدولة التركية التي تكرهنا لاننا لا ندين بالاسلام وجميع القبائل في هذه البلاد من الاسلام
قلت : الا يوجد مسيحيون في هذه الامصار ؟

قال : ان عددهم قليل جداً وهم مظلومون نظيرتنا بل اكثر ونحن على نوع من الانواع ندافع عن كرامتنا اما المسيحيون فهم عبيد ارقاء للاكراد والمسلمين ومنتحقون ذلك في الموصل حيث المسيحي مستعبد ايضاً

قلت : سابدل جهدي لانتاع زفيتي على مساعدتكم . وعلى الله الانكال . وكان الشيخ حمود يسمع الحديث فالتفت الى امير اليزيديين وقال :

يا هذا انت تنتم الدولة بالعصب الديني ولكنها لا تظلمكم بشي انما هي تريد صيانة الامن العام وانتم تعكرون صفوه ومي استتبت السكينة في بلادكم عاملتكم الدولة بالحسنى ثم نك تقول ان المسيحيين عبيد ارقاء في هذه الربوع فقولك هذا في غير محله . وعلى فرض انه كان صحيحاً لا يلقى بك انت تصرح بذلك على مسمع من هؤلاء الضيوف وهم من جماعة المسيحيين . . . ارغب منك يا صاح ان ترجع الى بلادك

فنهض اليزيدي لوداعنا وقد سألتني آنذاك اين يستطيع ان يقابلنا في الموصل فاجبته انه يتمكن من معرفة مقرنا بواسطة قنصلية دولة روسيا فودعنا وانصرف

١٧ نيسان

نهضنا باكراً جداً حوالي الساعة الخامسة صباحاً وشكرنا الشيخ محمود على ضيافته وودعناه وسرنا قاصدين الى عين الغزال فكانا هناك عند الظهر وعين الغزال نقطة عسكرية كبيرة الى جانب قرية صغيرة فيها خاف على ضفة جدول يسمنه عين الغزال وهو عذب الماء

وكان آنذاك في القرية عدد من العساكر العثمانية المعدة لتدويع اليزيديين نصنا الخيام داخل الخان وبنا هناك ليلتنا . الطريق بين وردية وعين الغزال تختلف عن جميع الطرق التي سلكناها في اراضي الجزيرة فهي مأهولة بالسكان على جانبي الطريق حيث يهتمون بالزراعة ، الماشية عديدة ومشيئة

١٨ نيسان

حوالي الساعة السادسة صباحاً جاءنا دركي وطلب مني ان اذهب بمعيته لمقابلة قائد الجند العثماني فبادرت الى تلبية الطلب . وكان القائد بكباشياً لطيفاً مهذباً وقصد دعائي للجلوس الى جانبه وقدم لي انفاة تبغ وفتجاناً من القهوة الفاخرة ، ثم سألتني قائلاً :

بين التقيتم في مسيركم في وادي سنجار ؟

قلت : التقينا اناساً عديدين ولكن اهمهم كان امير اليزيديين

قال : ابو ريشه ؟ وماذا كان من امركم معه ؟

قلت : انه طلب منا (الخوبة) رسم المرور في اراضيه فاجبتناه اننا لا نعمل مالا فان شئت اصحبنا الى وردية فنعطيك مطلوبك . غير اننا تملصنا منه بحيلة لطيفة
قال : لا حق له بذلك والدولة نائمة عليه وعلى شعبه بسبت اعتداتهم على المارة واعاد البكباشي ما كان من امر اليزيديين مع الدولة اذ قال . ان دولة روسيا تداخلت بالامر واوقف القتال قبل ان يلقي القبض على « ابو ريشه »

قلت : الحمد لله كان مرورنا بوادي سنجار سلمي لانه لو شاء « ابو ريشه » ضررنا كان يمكنه بكل سهولة حيث لديه قوة مسلحة كبيرة ونحن عندنا قليل بالنسبة . ياخذنا لو تضع الدولة قوة في وسط الوادي لينتحي الخابرات ولو الشجأت لا يوثقها في الخيام فتتجنس الحالة لان وسط الوادي خطر ولا قوة للدولة فيه وبين ام الديبان وعين الغزال حيث توجد القوات الان عشر ساعات مهما جرى في الوادي يبقى مجهولاً
قال : رفعت تقريراً بهذا الخصوص على اثر توقيف القتال وحتى الان لم يرد علي الجواب .

ثم قال : اين ذهوبون اليوم ؟

اجبت : الى (تلغفر) لاننا متوجهون الى الموصل

قال : كونوا على حذر من القبائل . وكان ذلك البكباشي يجيد اللغة العربية التي خاطبني بها . فشكرت له عطفه وودعته عائداً الى مركز الحلة . وكان رجالنا مستعدين للسفر فمشينا عند الساعة الثامنة صباحاً . وحوالي الساعة الاولى بعد الظهر انتهينا الى سهل فسبح قاحل لا عشب فيه ولا غصنة هب فيه اعصار قوي حار كاد يرقطنا عن ظهور

جياندا . ثم ما لبثنا ان شاهدنا على بعض المسافة عدداً وفراً من الخيام السوداء . سألت
الدرى جارسنا : ما هذا ؟ اجابني : هذه خيام الجعافرة وهم قبيلة كبيرة سيئة الاخلاق .
وانا لكذلك اذ اقبل علينا فارس في مقبل العمر تبدو على وجهه مخايل الشهامة
والباس وكان وراءه جمهور من الفرسان
ولما صار على مقربة منا بادروا بالتحية والسلام والانس يتدفق من محياه ، رددنا عليه
سلامه وتحيته

سألنا : من انتم واين وجهتكم ؟
قلنا : نحن سياح غرباء ذاهبون الى الموصل
قال : كيف اجتزتم الجزيرة ؟
قلنا بالهدوء والسكينة لم يزعج سفرنا شيء .
قال : وكيف عاملكم اليزيديون ؟
قلنا بكل جمالة

قال : وماذا تقاضوكم رسماً على مروركم بارضهم ؟ (الخوة)
قلنا : ما تقاضونا شيئاً ، بل ان اميرهم عنوان اللطف وكرم الاخلاق وقد رافقنا
حتى « وردية »

فتعجب الفارس وقال : هي المرة الاولى التي نسمع فيها ان اليزيديين كرماء
الاخلاق فقد اشتهروا بالاثوم والنذالة واعمال اللصوصية وقتلوا راعوا ضيفاً او ماراً بارضهم
ثم التفت الى الفارس وقال : وهل تعلمون اين انتم الان ؟

قلت : نحن الان على حدود الجعافرة
قال : وهل انتم عازمون على المرور في وسط القبيلة ؟
قلت : سنؤدي الواجب علينا فان شئخوا لنا بذلك فعلنا والا فلا
قال : وماذا تعني بالواجب ؟

قلت : حين تنتهي الى مدخل القبيلة نبعث الى اميرها برسول يستأذنه بدخولنا
ونقف منتظرين جوابه

قال : واني اسير معكم الى مدخل القبيلة
قلت : الف شكر لك يا سيدي



شيخ الجعافرة واركان قبيلته

وسرنا جميعاً الى ان انتهينا الى مدخل القبيلة وهناك توقفنا المسير وبهتنا الى الامير
برسالة مع فارس يستأذنه بمرورنا في ارض القبيلة ومكثنا ننظر جواب الامير وحماسنا
الرسول عباءة ثمينة من الحرير هدية الامير . وما مرت ساعة من الانتظار حتى عاد
رسولنا بجمهور من الفرسان يتقدمه شاب امرد ربعة القامة

وحين انتهوا اليها ترجلوا جميعاً ودنا منا الشاب الامرد ورحب بنا باشاً وقال :

بعث بي والدي استقبلكم هنا واكرن بخدمتكم حتى ينزله هلموا بنا
سرنا جميعاً بين الخيام التي لا تحصى فكنا نشاهد طعاماً الموشى المتنوعة مائدة
تلك المروج والوديان

ولما بلغنا مرادق الشيخ والد ذلك الشاب الامرد استقبلنا على الباب رجل في عقده
الرابع على وجهه علامه الهيبة والوقار وكرم الاصل وكان الى جانبيه كنبر من الحشم
والعبيد ، فابتدر كلامه قائلاً : مرحباً بالضيوف الكرام ! مرحباً ! تفضلوا وادخلوا
واجلسنا الشيخ على مقعد من السجاد المجوي الفاخر . وكان الشيخ هذا يدعى
الشيخ قدرى وهو امير تلك القبيلة

والتفت الى الامير وقال : أملنا انكم تبيتون عندنا ليلتكم هذه

قلت : لا يسعنا ان نبيت ليلتنا هنا لاننا عازمون على متابعة السفر الى تلغفر .
قال : انها قرية يقطنها جماعة من مهاجري الاثراك واضنكم لا تستحسنون . مشرم .
خير لكم ان تظلوا الليلة في ضيافتنا ونكون لكم من الشاكرين
قلت : وقتنا قصير لا يمكننا من تلبية طلبكم يا سيدي الامير وعلى كل حال نحن
شاكرون للطافكم وكرم اخلاقكم
ونحننا نودع الامير فارسل بمعينتنا بعضاً من رجاله وقد رافقونا الى الطريق السلطاني
حيث كنا تركنا الحلة تسير اماننا الى تلغفر فانتهينا اليها حوالي الساعة السادسة مساء
ونصبنا الخيام في مركز ملائم . وما كدنا نأخذ بعض الراحة حتى جاءنا مدير الناحية
وكان شاباً تركياً لطيفاً . فقال لنا : انا مدير الناحية واني سعيد لتأدية كل ما يؤول
الى راحتكم . شكرناه على عاطفته وبقينا ليلتنا بهناه

اونيل فكه نوربا عين زحلتا - لينان لصاحبه : الياس نجوم



ويقوم في وسط حرش الصنوبر
هوائه ناشف بحجز بجميع وسائل
الراحة مطبخه متنق محاط
بالمناظر الطبيعية الجميلة

١٩ نيسان

خرجنا من تلغفر الساعة السادسة صباحاً وجهتنا « طيشه » وحوالي الساعة الحادية

عشرة كذا على مدخل واد مخيف تحيط به الجبال العالية وكانت الحر شديداً جداً ولا
ماء لنا هناك . وكنا قد تعبنا من السفر تحت شمس محرقة فكشنا نستظل بصخرة
كانها مغارة . وجدنا مبيتنا فكنا بعد مسافة قصيرة امام منعطف من الطريق حيث
شاهدنا رجالاً ثلاثة باسلحتهم فابتدروا اقدمم بالتجيرة والسلام فرددنا عليه تحيته وسلامه
ثم سألنا : اين ذاهبون ؟

قلت : الى « طيشه »

— ومن اين آتون ؟

— من عدد الجعافرة ومن تلغفر

— اي متى كنتم عدد الجعافرة ؟

— امس مساء غير اننا رقدنا الليلة الماضية في تلغفر

— وهل معكم المال الكافي لرحلة كهذه ؟

— لا نحمل قوداً رقانة بل حوالات مالية على المصارف نقبضها في المدن ونشتري

ما يلزمنا

— اذآ لا تحملون مجيديات ؟

— معنا منها شيء قليل فنضطر اليه في بعض الاحيان

— وها شقد (كم) معكم ؟

— نحو عشرين مجديداً

— اتريدون ان تساعدنا ببعضها ؟

— وهل انتم فقراء ؟

— نعم

— عجب ! لقد اجتزنا الجزيرة من اولها الى آخرها ولم نشتم فيها رائحة الفقر بل رأينا

الرخاء ضارباً اظبايه من اقصاها الى اقصاها الى اي قبيلة تنسبون ؟

— لسنا من القبائل

— وهل في الجزيرة قوم لا ينسبون الى قبيلة ؟

— لسنا من البدو وبلدنا « طيشه »

— وماذا يدعوكم الى الاقامة في هذه النقطة الا تؤثرن العمل في قريتكم على

طلب الصدقة من المارة وليس المارة هنا بالكثيرين فيما اظن (لم يخف علي ان اولئك الرجال كانوا من قطاع الطريق على الرغم من تظاهرهم باللين فانهم يبدأون هكذا وينتهون بالهذف)

قال احدهم : يا هذا ليس ما يدعو الى اطالة هذا الكلام . نحن هنا نطلب المساعدة من جميع المارة فاذا ساعدونا مختارين شكرنا لهم معروفيهم واطلقنا سبيلهم والا اضطررنا الى الضغط والقوة

وبينا كنت اجادهم كان خليل الشاؤول يتفقد المكان الهوى ما اذا كان اولئك الرجال قد استصحبوا غيرهم من الاشقياء . ولما تحقق تجردهم من كل عضد عاد مطمئناً والتفت الى ذلك الذي كان يخاطبني وقال :

اذا رفضنا مساعدتك فماذا يكون ؟

قال الرجل . فخيركم على دفع المال بقوة السيف .

قال شاؤول : نحن مصممون على عدم مساعدتك فانعل ما تشاء .

وعندها بادر الرجل الى سيفه يريد اخراجه من غمده فما كانت من حليل الا انه اقتض عليه كالبرق وطرحه على الارض بعد ان جرده من سيفه وبندقيته . وكان سائر رجالنا قد استعدوا للزال . ثم التفت خليل شاؤول الى رفقاء الرجل وقال . وانتم ماذا تريدون ؟ احرباً ام ماذا ؟ فلما شاهد هؤلاء ما حل يرفيقهم ارتخت عزيمتهم وطلبوا النجاة بنفوسهم . واثمرت الى خليل شاؤول ان يعيد الى الرجل ببندقيته وسيفه ففعل . ثم عدنا الى متابعة السير فانتهينا الى طيشه حوالي الساعة الرابعة مساء فنزلنا على مقربة من بحيرة كبيرة تتجمع مياهها من الامطار

طيشه قرية صغيرة من املاك غني من اغنياء الموصل . فيها ينبوع ماء صغير وماؤه عذب لذيد . لا سوق في القرية ولا حوانيت تستحق الذكر وغاتها قليل من الخنطة والشعير . والحر هناك شديد جداً وقد عرفت طيشه بكثرة العرائق في اراضيها ويتنعم الاهالي من بيض هذا الطائر وهو افضل مواشهم

هذا هو الطائر الذي قيل عنه (ضرره على مصر وخيره للعراق) يسافر هذا الطير كل سنة الى القطر المصري في ايام الوباء ثم يعود الى بلاده يبيض فيها

٣٠ نيسان

غادرنا طيشه الساعة السادسة صباحاً وكان الدركي دليلاً يتقدم الحملة . ومضى على مسيرنا وقت يدهز ساعات اربعاً فاذا بنا عند مدخل ممر ضيق لا يكاد يعبر فالتفت الى الدركي وقال : هذا مضيق خطر للغاية يحيط به قطاع الطرق من قبيلة عرب شمر فلا جرأة لي على اجتيازهم في مقدمتهم لاني اخشى الغدر ولذلك اود ان اكون الاخير في عبوره . قلت : ان كان الامر هكذا دعني اعبره قبل الجميع . ففعلت وتبعني رفيقي السائح ثم رجائنا لواحد نلو الاخر ثم الدركيين ولم تقع اعيننا على احد من قطاع الطرق . وبعد سير نصف الساعة انتهينا الى موقع عريض نوعاً ما في وسط الممر ذي كهفين احدهما عن اليمين والثاني عن الشمال . وبفتة ظهر امامنا فارس مقبل من الجهة الشمالية وكان متوسط القامة تتم ملايسه عن اصل كريم ولم يكن يحمل من الاسلحة سوى السيف فدننا مني وقال : مرحباً يا ولد

قلت : ولماذا تدعوني ولماذا وانا في عنفوان الشباب ؟

قال خاحكاً : لفظه ولد تمني عند العرب (خوش راجل) ثم عاد فقال :

لا تخف فاني صديق جئت ارافقكم الى حيث تقصدون ، واذا كننا سائرين معاً سأني قائلاً : ألم يعلمكم احد بمخاطر المضيق الذي عبرتموه منذ نصف ساعة ؟

قلت : بلى لقد اخبرونا انه ملجأ للصوم وقطاع الطرق ولكننا تمودنا الاخطار فلم نعد نبالي بها وما مرنا مسافة قصيرة حتى خرجنا من المضيق وانتهينا الى سهل فيصح ظهر امامنا فيه نحواً من خمسين فارس اصطفوا على الجانبين . وكان ذلك الفارس يسير

هاكيم بهوس اوتيل

طرابلس

قديماً نيروبال اوتيل

احسن لو كندة في طرابلس بناية ارايسك من الداخل حديثة البناء والفرش -
الخدمة والمطبخ فيها على الطريقة الحديثة اسماها ممتدلة

في مقدمة حملتنا . فما كاد يؤدي به المسير الى اولئك القوم حتى نادوا بالصوت الواحد عاشر مولانا الامير ، واقترب من الامير عبدان حملا ثم وضماء على ظهر فرس من اجود الكجمايل العربية واجملها . سرجها منقش مزركش بالقصب اللامع والشراريب الخريزبة على رأسها ريشة فضية متقنة الصنع على صدرها سبند من الفضة مشغول على طريقة الرشمة ولما التف الفرسان حول الامير ادشننا هذا الموكب الفخم وبينما نحن تفكر ما تراه يكون سبب اجتماع هؤلاء الفرسان في تلك البقعة ، التف الى الفارس وقال . نحن هنا لاجل حمايتكم وقد مر على وجودنا في هذه البقعة اربعة ايام بلياليها فان اخي محمد شيوخ امير قبيلتنا الذي احسنتم ضيافته في دير الزور كان يتوقع وصولكم الى المضيق في السادس عشر من الشهر الحالي . فامرنا بحراستكم لانه يعلم ان هناك قوما اساقيل يعتدون على المارة وبتهبونهم وكثيراً ما يتكلمون بهم

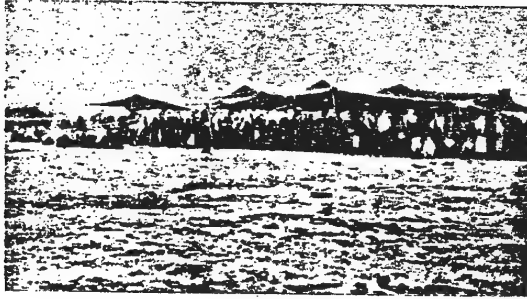
قلت : بارك الله فيك وفي اخيك وفي سائر قومه . لقد غمرنا بحميلة ثم مرنا بحرسنا اولئك الفرسان . وبعد هبة انتهينا الى مفرق مسالك عديدة يؤدي احدها الى مضارب قبيلة محمد شيوخ . وكان هذا الامير ينتظرنا عند ذلك المفرق . فلما رأنا ترجل وصاح باعلى صوته : مرحباً بالكرام ! مرحباً ! اهلاً وسهلاً وتوجلتا جميعاً ودنوت ورفقي السائح من الامير ند ايدينا للتحية فابتدرنا الامير قائلاً . كيف عبرتم الجزيرة ؟

قلت : بحولة تعالى وانظركم عبرناها بدون ما كدر وقد لقينا هناك كل اكرام وحفاوة .

قال : كيف استقبلكم عرب الجيور ؟

قلت : ان اميرهم صديقك الشيخ حمود احسن ضيافتنا وغمرنا باحسانه وعمل كل ما يوسع في سبيل راحتنا وبعث ابن ارشدنا الى العارقي الامين قال : وانتم الان قادمون على قبيلة شمر ، ومعه اكبر واقوى قبيلة في الجزيرة ، وسترون هناك اموراً ما رأيتموها عند بقية القبائل

قلت : لنا اعظم نفع واكبر شرف بزيارتكم يا سيدي الامير . ومرنا والامير الى القبيلة وكانت مضاربها منصوبة في وسط سهل فسيح تجعله الغضرة وقد امتلأت ارضه بقطعان المواشي المتنوعة



الوصول الى شمر

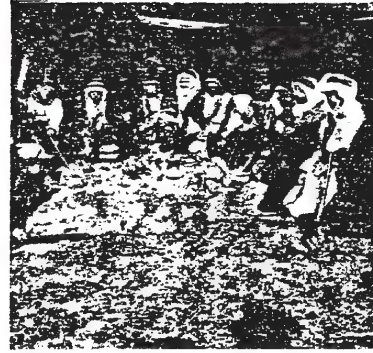
وكان بيت الامير قائماً على ستة اعمدة في اعلى كل منها رمانة من النحاس الاصفر وقد علق على تلك الرمانات عدد من السيوف العربية المرصعة بالخرقة الكريمة واجلسنا الامير في خيمته وامرنا بالقهوة ثم خفق بكم والبشر يتدفق من وجهه اللطيف

وبما قال : كنت خائفاً جداً على حياتكم واموالكم . ولذا بعثت الى ذلك المضيق الخطر باخي وبفرسانه يحرسونكم ويحمونكم من قطاع الطرق فقلت شاكرآ : لا يسعنا يا مولاي ان نغير لكم عما في قلوبنا من شواغر الامتنان لعطفكم علينا ولكرم اخلاقكم كما وانه لا يسعنا ان نكافosكم على جميلكم هذا . الله وحده قدير على ذلك

وكانت الساعة الوحيدة بعد الظهر فاستأذنت الامير بالخروج لتناول الطعام فأبى علي ذلك وقال : انكم تأكلون عندي ما زلت في ارض قبيلتي ولا يسمح لكم قط بان تأكلوا على مائدتكم . فلم يسعنا الا الطاعة

وطلبت من الامير ان يأمر لنا باعداد مكان نصب فيه خيامنا فاجابني : كنت مطمئن البال ، لقد اعددتا كل شيء . وكان ذلك الامير الكريم الاصل قد امر بنصب

خيامنا على مقربة من بيته
دخلنا «بيت الاكل»
خيمة كبيرة قائمة على ستة
اعمدة مفروشة بالسجاد
الفاخر المصنوع منه كرسي
فردية يجلس واحد على كل
منها ، والمائدة معمولة من
مرح الجبال الخشبية
يضعونها بعضها فوق بعض
وفوقها سجاد وخرجة على
الجانبين وكان منظرها
جديلاً للعادة



بيت الاستقبال في شمر

وكان على المائدة امير القبيلة وابنة من اركانها وبعض شيوخها ونا ورفيقي السائح
و كنت قد اعددت لذلك الامير هدية تليق به فقدمته له على مرأى من الجمهور وكانت
مؤلفة كما يلي :

- (١) صيف عربي جميل
- (٢) عباءة حريرية مطرزة نظرياً بديها
- (٣) جزام حريري فاخر
- (٤) كمية كبيرة من لفافات التبغ البنياني من ممانا في بيت شباب . فقابلها

الامير مسروراً شاكراً

وبعد شرب القهوة التفت الي الامير وقال :

ماذا رأيتم في الجزيرة ؟

قلت : اشياء كثيرة

قال : وهل اسمعكم انتم الراباة والقصب ؟

قلت : كلا

قال : اذن اكراماً لكم ستكون ليلتنا الالية ليلة طرب نسعكم فيها الانقسام

الشجبة

قلت : شكراً لكم يا سيدي الامير

ثم خرجنا من عند الامير نبعي الاستراحة في خيامنا .

وعند الاصيل دعونا الامير واهاه لتناول الشاي فقبلا دعوتنا مرتاحين شاكرين .
ولما جاء وقت العشاء دعوناها للعشاء عندنا فرفضاً قال محمد شيوخ عندنا هذا امر
مفروض وكل شيء جاهز واول عشاء تأكلونه في الجزيرة من نوعه
قلت : ما هر ؟

قال : جذاء الواحد عمره شهر واحد لا يزال على الحليب ذبجنا عشرة لكل واحد
جذدي يبيتونه على الطريقة العربية اعني انهم يةونه كاملاً بدون تقطيع اظن انكم
تحبون هذه الاكلة لانها لذينة جداً فرفضنا . ولما جاء وقت العشاء جئنا الى بيت الامير
فسار بنسا الى الخيمة المدة للاكل (بيت الاكل) فقدموا لنا الجذاء مرتبة بعضها فوق
بعض وكانت امام كل مدعو صدر صغير لاشي عليه فاخذ احد الحاضرين يوزع
الجذاء على الصدر فكانت اكلة لذينة حقة

قلت : كيف يطبخون هذا الجذاء ؟

قال : على بعر الجمال

بنار خفيفة وبطينة حتى

يستوي على مبل ويحفظ

الادام حوله كما ترونها

وبعد العشاء سرنا جميعاً

الى خيمة الطرب حيث

اجلسونا على مقاعد من انفر

السجاد المعجي . وشرع

المغنون يطربون الازان

بمختلف اناشيدهم وطاقاتهم

الموقعة على اصوات الربابة



عشي الامير يسلم الجذاء



رقص الدبكة في شر

والقصب وكان العازفون على اربابة خمسة ومثلهم العازفون على القصب وقد اتموا تلك الليلة برقص الدبكة وكانوا بين الساعة والاخرى يقدمون لنا القهوة . ودامت تلك السهرة الى ما بعد نصف الليل . وفي آخر الامر استأذنا الامير وعدنا الى خيامنا نرتاح بقية ليلتنا .

٣١ نيسان

هضنا من رقادنا متأخرين فجاءنا احد رجالنا يفتنا بقدم امير القبيلة اليها وكانت الساعة التاسعة صباحاً فاسرعت الى استقباله طالباً منه ان يشرب القهوة عندنا فاستجابني بكل لطف ودعة ثم قال . لقد جئتكم يا كراً لاذهب بكم الى التنزه قبل طعام الظهر فنفضل واعلم رفيقك بالامر كي يتجيباً للخروج فقات للسائح مقلد الامير فارتدى الاثواب اللاتفة ومرنا والامير الى الجهة الشمالية . وما كدنا نجتاز المضارب حتى كنا على ارض مشقة ترتفع من شقوقها السنة الحيات والافاعي الحمرها فها لنسا منظرها فقلت للامير :

اما تخافون شر هذه الافاعي ؟ اما تلحق الاذى بمواشيكم ؟

قال : عندما نؤم هذه البقعة نوزع اجربة فيها حبة نقسم الافاعي رائحة الحبة فنفر

هاربة ونصب اذ ذلك الخيام

قلت : وكيف تجمعون الماشية من اذها ؟

قال : عندما نسر الحاشية للدرعى نسير قدامها الجبال واعليها الجبابر فنهرب الافاعي والحيات . وهذه الطريقة تدفع عن الماشية اضرارها ولذغائبا . على انه لا بد من بعض الحوادث في السنة ونستعمل النار لداواة السم فاننا نجرح المكان الملوغ ونكويه بالنار فيبراً للعال

وتابعنا السير فانتهينا الى سهل فسيح حملته الطبيعة بخفرتها واذا بنا امام عشرين بدويًا يروضون مائة ميرة تتراوح اعمارها بين السنة والخمسة عشر شهراً . وكان بيد كل من المروضين حربة طويلة من جلد وشعر . سألت الامير ما هذا ؟ فاجابني :

اظنكم ما رأيتم شيئاً من مثل هذا في بقية القبائل فقبيلتنا هي الوحيدة التي تعتمد قبل كل امر على ثوبه يرض الخيل وتاميمها فنحربها صغيرة على اللعب مجردة من اللجام والمقود قلت : لا شك ان المروضين يتعبون كثيراً

قال : ولكنهم يرجون كثيراً

قلت : وكيف يرجون ؟

قال يأخذون فرساً مكفاة على ثوبه يرض عشرين . نعطهم مائة وخمسة رؤوس

فيرجعون لنا مائة

قلت : ومن يجاز الفرس ؟

قال : هم يجازون الفرس الذي يريدون ، ولا فرق عندنا بذلك لان خيلنا كلها

من اصل كريم مشهور

وصرفنا الوقت هنالك ثم عدنا عند الظهر الى المضارب وعندها دعانا الامير للغداء

عنده قائلاً : اليوم غداء كم عندي شيء جديد لم تأكلوه بعد

قلت : ما هو هذا الغداء الجديد ؟

قال : خروف صغير

فاجبته ضاحكاً : لم تأكل غير هذه الاكلة كل مدة وجودنا في الجزيرة

قال : لم تأكلوا مثلها ابداً هذا يسمى (خروف بحيره) يسمونه الشوام (قوزه)

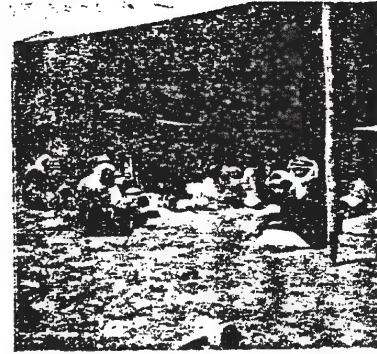
قلت : كيف تهيئونه ؟

اجاب: نلف الحروف بجوده
دوت تقطيع ونطيعه تحت
التراب على نار خفيفة تحيط به
وبعد الفداء اخبروني ما اذا
كان اكلتم مثلها قبل الان

تناولنا الطعام على مائدة
الامير وكان الاكل لذيق اللامية
وعند الساعة الرابعة جاءنا
الامير يشرب معنا الشاي ومكث
عندنا الى الساعة الثامنة مساء
ثم مرنا برقته الى خيمة الطعام
وتعشنا على مائدته واحيا لنا

ليلة طرب ثانية

٢٢ نيسان



بيت السهرة في شر

كنا غارسين على الرحيل في صباح ذلك اليوم ولكن الامير حال دون سفرنا
مدعيا ان عادة الضيافة عندهم ثلاثة ايام كاملة
وكان الامير عندنا حوالي الساعة التاسعة صباحا فشربنا القهوة معا وحوالي الساعة
العاشرة اقبل عبدان يقود كل منهما جوادين ، فقال الامير :
اركبوا جيادكم وعلو بنا ، ففعلنا وركب الامير جواده ومرنا وياه والعبدان
وكانت وجهتنا الناحية الغربية من القبيلة
وانتهينا الى محل فسيح شاهدا جموعا من الناس يحيطون بعدد عظيم من الفرسان ،
وكان ذلك المكان ميدانا للسباق وقد اعدته القبيلة لترويض جيادها
وعندها التفت الي الامير وقال : اننا نخذو حذو جماعة الحضر فيما يختص بسباق
الحيل ولذا ترونا جيزنا هذه الساحة على الطراز الحديث الممحول به في المدن العامرة



يشفون الجبن فوق بيت الشعر

وجميع هذه الجياد التي
ترونها في هذا الميدان تباع
في الهند لجماعة الانكيز

قلت : وهل تذهبون
الى الهند تباعونها ؟

قال : كلا ، ولكن
قوما متمدين يشتريها
ياخذونها منا ويحفظونها في
الموصل ياتي اناس من الهند
يتاعونها وحين وصولكم
الى الموصل تشاهدوا

الاخورات الكبيرة وفيها سائر اجناس الخيل .

وشهدنا السباق فاذا هو صورة طبق الاصل للسباق في الاسكندرية او في القاهرة
وعدنا من الميدان الى المضارب وكان الظهر قد فات فقال الشيخ اني محضر لكم غداء
جديدا لم تأكلوا مثله في الجزيرة . فذهبت الى خيمة الاكل وكانت الساعة الثانية
بعد الظهر واكلتسا على مائدة الامير عصافير قدموها في صواني صغيرة صينية لكل من
المدعوين وعلى كل صينية كمية من العصافير مجهزة بالسمن

قلت : ما هذه العصافير ؟

قال : عادية

قلت : كيف تلتقطونها بهذه الكيات :

قال : بعد الظهر اربكم كيف نجتمعها

ثم بعد الغذاء ذهبنا الى خيامنا تاخذ قسطنا من الراحة .

وعند الساعة الرابعة اقبل الامير لتناول الشاي كعادتنا ثم سار بنا الى الجهة الجنوبية
من القبيلة ، وما انتهينا الى مهبل فسيح حتى شاهدنا بعض نواطير القبيلة ينصبون شراكا
يصطادون فيها العصافير الصغيرة ، وما مر نصف ساعة على عملهم هذا حتى التقطوا نجوا

من النفي عصفور ، وقد اسر الامير ان توسل هذه المصافير لنا لنأخذها زاداً الى الموصل
فأخذنا قسماً منها وشكروناه على ذلك

وعند الساعة السادسة مساءً رجعنا الى المضارب فطلبنا من الشيخ ان يمتشى عندنا
فقبل دعوتنا . وفي الاجل المضروب دخل علينا يواكب بعض مشايخ القبيلة واركانها
وبعد العشاء امر باحضار المغنين والراقصين فغافوا وحيوا ليلة طرب نالفة دامت الى
منتصف الليل

٢٣ نيسان



حوالي الساعة السادسة
صباحاً اقبل الشيخ محمد وكنا
قد تأهبنا للرحيل وبعد ان
شربنا القهوة قال الشيخ
لقد اعددت خمسين من
فرساني لمرافقتكم الى الموصل
قلت : لا تزيد التثقيب
عليكم يا سيدي الامير
وليس ما يدعوا الى ارسال

الرقص بالسيوف في شمر

هؤلاء الفرسان لمرافقتنا . على انه يكون لنا اكبر شرف اذا تبازلتم ورافقتونا بذاتكم
قال حسناً . فاني ارافقكم بذاتي

ثم امر فاحضروا له فرساً كريماً . ولما تهيأنا للسر التفت الي وقال : رويداً . لقد
قدمت لي هدية فقبلتها شاكراً . واني اريد ان اقدم لك هدية تحفظها تذكاراً لهذه
الزيارة . وما انجز قوله هذا حتى رأيت عبداً يقود فرساً جميلاً وقد دنا مني وسلمني مقود
الفرس فقبلت هدية الامير بمنتهى لمروفه

وركبت الفرس الجديد وسرت ورفيقي والامير والى جانب عبيدان من اشجع الفرسان
ووراءهما خمسون فارساً من قبيلة الامير . وكانت الساعة الثامنة صباحاً . وعند الظهر كنا

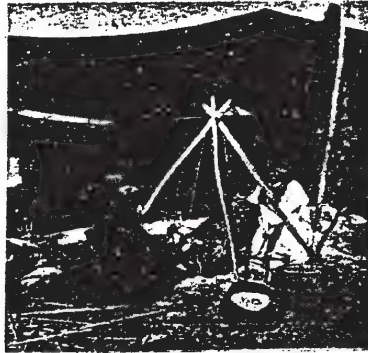


بدوي يرقص بالسيوف في شمر

على مقربة من ينبوع ماء عذب غزير يتدفق
في وسط غابة كثيفة فترجلنا تناول طماننا
في تلك الروضة الجميلة . ثم عدنا الى المسير
فاتتبنا الى الموصل عند الساعة الخامسة مساءً
فصننا خيامنا على ضفة دجلة الشرقية امام
« نينوى » وقد قضينا ليلتنا مضطربين
لاننا علمنا بعد نصب الخيام ان في دجلة
مداً وجذراً غشيناً ان يأتينا النهر عبداً
فيخمر خيامنا واشياءنا

واحب السائح ان يطلع على بعض
عادات تملق بالعربان فاوعز الي ان استفهم
من الشيخ عما يلي :

اذا وقع خلاف بين قبيلتين كيف يحسمونه . واذا قتل بدوي بدوياً من غير
قبيلة كيف يكون القضاء ؟



يخوضون السمن في شمر

اجاب الشيخ : المعدل
عندنا اساس كل عمل . غير
ان رأس الشريف برأسين
عند العرب جميعهم .

ولعرب البادية طرائق
في المحاكمة وتقاليدها يحترمها
الجميع الى يومنا هذا فاذا
وقع الخصام بين قبيلتين
تنتهيان الى ملك واحد من
ملوك العرب فصل الخصام
في ديوان الملك الخاص .

اما القبائل المنتشرة في ارضي الجزيرة فهي لا تنتمي الى ملك من الملوك وطريقة احكامها هكذا - تنتخب كل من القبيلتين المتخاصمتين اثني عشر رجلا منها لاثبات دعواها فيكون مجموع الفريقين اربعة وعشرين رجلا ينقسمون الى ثلاث فئات - كل ثمانية رجال يؤلفون فئة ويكون اربعة منهم من كل فريق وقد اطلقوا على الفئة الاولى اسم « الجزامين » وعلى الثانية اسم « المخبرين » وعلى الثالثة اسم « المساوين » ويقسم الجميع بالقرآن الشريف انهم يحكون بالعدل والانصاف ثم يجزم الجزامون في نوع القضية ، ويشهد المخبرون بما يعلمون من اثرها ثم يصدر للمساوين حكمهم الذي لا يقبل اعتراضاً او استئنافاً او تميزاً

اوتيل بالمير بملك

لصاحبه ميشال الوف

لوكندة من الدرجة الاولى ، غرف بمحامات ماء جارية ، نظارة جميلة من قلعة بملك المعجبة - فيها جميع لوازم المسافر - الخدمة فيها عائلية والمطبخ ممتاز

كران نيواوتيل بملك

لصاحبه فواد عريد

لوكندة من الدرجة الاولى - حمامات خصوصية ، ماء جارية من حولها حديقة جميلة ، النظارة منها بديعة من ضمنها اثار بملك العظيمة تحتوي على جميع وسائل الراحة مطبخها متقن ، والخدمة فيها ممتازة

الفصل الرابع

الموصل وجوارها

٢٤ نيسان - ١٢ ايار سنة ١٩١٤

نبذة تاريخية عن الموصل ونيوى - نهر دجلة - دار القنصلية - مناخ الموصل - السرداب - الخيول - الحى من مياه دجلة - الاخوارات - دلالة الدواب والماشية - مقالع الرخام - مسيحيو الموصل - الاكليروس - الامن العام - قلعة النمرود - التعارف على رجال اليزيدية - زيارة الشيخ عدي - اليزيدية والشيطان

٢٤ نيسان

نهضنا باكراً جداً قرأنا الشيخ محمد شيوخ يتأهب للرجوع الى قبيلته فرجونا منه ان يقضي نهاره عندنا فابى معتذراً بوفرة اشغال تدعوه الى الرجوع بدون ما ابطاء فلم يسعنا اذ ذلك ان نلح عليه للبقاء عندنا ، وقال لنا قبل الوداع : اني مستعد لخدمتكم بكل طاقتي وانتمى ان اراكم مرة اخرى في الجزيرة اجبت : اننا راجعون على طريق الجبال العالية ولربما التقينا حوالي الجزيرة على ضفة الفرات الشرقية

قال : ربما كان ذلك لاننا لا نغير الفرات كقبيلة اما كافراد (ما يخالف) وعندما دنا من الفرس وقبله باكيه وقال : اعطني بهذا الفرس فهو يستحق كل عناية وكل اهتمام وودعنا وهو يقول : « الى الملتقى ! الى الملتقى ! »

نبذة تاريخية عن نينوى والموصل

تقع الموصل على ضفة دجلة الفريسة وهي مركز الولاية المعروفة باسمها . أكثر سكانها من المسلمين وأقليتهم من طوائف مختلفة . فيها بناييع يتروى كثيرة عزت شأنها في عهد الخلفاء فكانت تضمناً استقلالها . استولى عليها بنو حمدان سنة ٩٣٤ ثم أخذها منهم العقيليون السواربون سنة ٩٩٠ . ثم سقطت في أيدي السجوقيين في القرن الحادي عشر ومر عليها عصر الاتابك زنكي وازدهرت في القرن الثاني عشر لكنها لم تقو على مقاومة صلاح الدين الذي دوحها سنة ١١٨٢ أسوة بغيرها من المدائن السورية والعراقية وبعد صلاح الدين تملك عليها الاتراك ثم استولى عليها الانجرام سنة ١٦٢٣ واسترجعها بعد قليل السلطان مراد الرابع واستأنف الانجرام كرمهم عليها سنة ١٧٤٣ ولكنهم فشلوا وعادوا خامسين فظلت تحت سيطرة الاتراك حتى نهاية الحرب السكونية وقد استقلت اليوم وعينت جميعه الاسم الدولة الانكليزية مندبة عليها

ونينوى لفظه اشورية وقد دصاها اليونانيون نينوس والعرب يسمونها نينوى حسب اصلها . وكانت فيها عبر اعظم المدائن الاشورية ومطامع مجدها وعظمتها يمدد الى عهد سنجاروب . ويستدل من الكتابات التي عثروا عليها ان المدينة بنيت على انقاض مدينة سابقة فنظمها سنجاروب مجدداً ببناءها وبناء اسوارها فاصبحت في ايامه عاصمة مملكة اشور وظلت نينوى على ازدهارها وعظمتها الى ان اضمحلت مملكة اشور بين سنة ٦٢٦ وسنة ٦٠٦ قبل المسيح . وجاء في التوراة في سفر يونان ان مساحة نينوى تبلغ اياماً ثلاثة ^(١) ويظهر ان الكتاب الكريم يعني المدينة وضواحيها الواقعة بين دجلة والزاب بما فيها قلعة النمرود وخور شباد .

وفي نينوى الى اليوم بناء من عهد القرن الثاني عشر وهو البناء الذي نزل فيه ابن جبير حين استولى على المدينة

(١) الفصل الثالث من سفر يونان .

وكانت كلمة الرب الى يونان ثانية قائلاً لهم وانطلق الى نينوى المدينة العظيمة وناد عليها المائدة التي انا مكللك بها (فان شرها قد صمد الى امامي) قام يونان وانطلق الى نينوى بحسب كلمة الرب وكانت نينوى مدينة عظيمة لله مسيرة ثلاثة ايام

اما دائرة السور فهي على التقريب اثنا عشر ميلاً وعلوه يبلغ اربعين قدماً ونصف القدم وام ما بني هنالك من الاثار قلعتان قائمتان على دجلة قلعة قديمة وتعرف الان بقلع النبي يونس وقلعة شمالية تدعى تل قوينج وتصل هذه الاخيرة بقصور الملكيين سنجاروب واشور بانيبال ٤ وفي داخل قصر اشور بانيبال اكتشف السرجوني ليارد سنة ١٨٤٠ مكتبة نينوى الملكية وكان قد انشأها مرجون في القرن السابع قبل المسيح وتصل اليوم قلعة النبي يونس بقرية تركان وفيها قصر سنجاروب ٤ ويقال ان النبي يونان مدفون هنالك تحت الجامع المشيد في تلك البناية ٤ ولهذا سمي بالنبي يونس

وفي هذا الجامع سجاد فاخر وقد حفظ من عهد تدشين الكنيسة التي تحولت الى جامع تفقدنا الاثار المذكورة اعلاه وغيرها من الاثار التي تستحق الذكر وعدنا الى خيامنا نتناول طعام الظهر

وحوالي الساعة الرابعة مساء جاءنا ترجمان قنصلية روسيا يزورنا ويتفقد احوالنا وكان حينذاك وكيلاً للقنصلية ٤ وقد دعانا للاقامة في الدار القنصلية قائلاً انها فارغة لان القنصل كان قد نقل الى بغداد وكان لا ينتظر مجيئه خليفته قبل مرور شهرين على الاقل ٤ فقبلنا دعوته شاكرين

اما نهر دجلة فانه يختلف تكويناً عن سائر الانهر الكبيرة . فسانه من ينبوعه الى مصبه يرتفع عن الاراضي التي يمر بها بنوع ان رجلاً بيده مجرفة يستطيع ان يحول منه ما شاء من مياه ويسقي بها الاراضي التي يريد ان يسقيها فلا يحتاج والحالة هذه الى استخدام الآلات المحركة . . . ومياه دجلة عاطلة جداً فلا تصلح للشرب والويل لغريب ذاتها لازل مرة . اما سكان تلك البلاد فقد تعودوا شربها منذ الصغر فهي لا تؤذيهم ومع ذلك فانهم يروقونها ويصفونها في آنية فخارية

وفي الموصل وكلاء قناصل لساائر الدول الاجنبية الكبرى التي لها صالحيها في البلاد الشرقية . والمزروعات هنالك قصبان . الاول وهو الاكبر يزرع تحت مناظرة الاكثريوس المسيحي فلا يدع رجاله شيراً واحداً من الاراضي بدون زراعة

والقسم الثاني — وهو قليل جداً — في حوزة الفلاحين من اليهود والمسيحيين . اما الاهالي اصحاب الاملاك الواسعة فانهم لا يكتفونون بالزراعة لانهم ينصرفون الى اشغال غيرها . واكثر زراعة تلك البلاد الحنطة . ويزرعون الارز في اراض قليلة

وهو كبير الحجم ذهبي اللون رخيص الثمن يساوي الرطل الموصل الى ثلاث آفات ثلاثة غروش تركية . والخضرة والبقول قليلة جداً رغم السهول الخصبة ووفرة المياه . ذلك ناجم عن كسل الاهالي وعدم ميلهم الى الزراعة فانهم يفضلون اكل اللحوم على اكل الخضار والبقول . وفي ايام الخضر يكون الحر شديداً جداً في تلك المنطقة فيعيش الاهالي آنذاك في السرايب . والسرداب هناك كناية عن بئر في وسط البيت وقاما خلا بيت منه . ينزلون اليه من سلم . يتراوح عمقه بين المترين والاربعة وشكله شكل غرفة مربعة . وفي هذه السرايب يقضي الاهالي نهارهم من الساعة العاشرة صباحاً الى الرابعة مساءً . واذا زارهم زائر في ذلك الوقت استقبلوه في السرداب وهو مفروش بالرياش الفاخر . ومناخ الموصل معتدل لا يمكن تسميته جيداً او رديئاً . ويرد الى تلك المدينة كثير من الخيول العربية المتنوعة التي تباعها القبائل بأسعار تافهة . ويجوزون الخبز على التور (مرقوق) الرطل الموصل منه ببساع يتليكين اي نصف غرش تركي وهو ايضاً نظيف من حنطة خالصة وطعم لذيذ جداً

٢٥ نيسان

اهتم رجالنا بتنظيف الدار القصلية ، وهذه الدار كائنة في الناحية الغربية من المدينة وهي كناية عن دار فسيحة مربعة ارضها مبلطة بالرخام الابيض . ويتألف جانبيها الشرقي من طابقين اما البقية من طابق واحد وطولها خمسة وستون متراً بعرض خمسين . وفيها غرف عديدة تشبه غرف منازل بيروت الجميلة وشعرت في ذلك المساء بدور من الحمى الزهني الفراش وعدم الحركة وارتفعت الحمى في اثناء الليل الى ٤١ في قياس ستيفراد ، وبقي خليل شاوول سهوان بقرني يقدم الي المساعداً اللازمة طيلة الليل كله

٢٦ نيسان

كنت لا زال متعرج الصحة لا استطيع الخروج الى المدينة فلم يثأر فيني السائح ان يخرج لوحده فلزم الدار في ذلك اليوم وبعد الظهر جاءنا الترجمان يزورنا فوجدني نائماً فقال ان الحمى ناجمة عن شربي ماء دجلة ، وما قاله لي : الحمد لله فان مسألتك بسيطة جداً لانت كثيرين من الاجانب

لأذوقون كأس الموت لشربهم ذلك الماء بدون ترويقه . ولما تم الترجمان ان يودعنا رجوت منه ان يأتينا في الغد ليرافق السائح الى المدينة فلربما حال المرض دون خروجه من الدار فوعدي خيراً وانصرف

٢٧ نيسان

جاءنا الترجمان حوالي الساعة الثامنة صباحاً فوجدني متأهلاً للخروج الى المدينة فسر لسامتي وقلت له : اني اراني مرتاحاً ولذا فاني ارغب في مرافقتكم وذلك خير لي من الازدحام في غرفتي

وعند الساعة التاسعة ركبنا وذهبنا تواراً الى الاخورات التي ذكرها لنا الشيخ محمد شيوخ ، انتهينا الى الاخور الاول فقيل لنا ان فيه اربعمائة فرس وراء كل منها مهر او مبرة . ومدخل الاخور عال منسج والى جانبيه من الداخل غرفتان كبيرتان جداً بقم في الشبالية منهما مدير الاخور وهو المسؤول عن ادارة الاخور وتنظيمه وسياسة خيله . وفي الغرفة اليسرى بقم صاحب المال او المتعهد وهي مفروشة فرشاً لا تتقلاً لاستقبال الزائرين . ولا يتعاطى المتعهد سوى مشتري الخيل وبيعها

وفي داخل الاخور فسحة كبيرة جداً قامت في وسطها القناطر الكثيرة وكلها مقفولة بالخشب والاجر والى جدران تلك الفسحة قامت المعايف والى جانب كل معلف حوض الماء من الحجر النظيف . والليل كلها قوية صحبة البنية وفي غاية النظافة وقصدنا الى آخور آخر فوجدناه منظماً تنظيماً الاول ولم يكن فيه سوى ثلاثمائة فرس تتراوح اعمارها بين ثلاث واربع سنوات

ثم مررنا بآخر من الف متر فانتبهنا الى آخور معد للتوليد فلا بيع هنالك ولا شراء وفي الاخور هذا ثلاثمائة من اغر الجياد . ومن كان عنده انثى ورام انسالها نسلها كرتياً ذهب بها الى ذلك الاخور واستحصل على شهادة تؤذن بان انثاه علفت من احد جياد الاخور .

ثم ذهبنا الى آخور رابع فقيل لنا انه مختص بتربية الخيل من يوم فطام الفلج الى ان يصبح حالها للركوب . وقد فرضوا الرسوم المختلفة على تربية الخيل ويتم قطعاً اخراج الاناث من البلاد على انه لا يتخلو الامر من تهريب شيء منها اما

الدكور فانها تباع باكثريتها في الهند

بعد زيارة الاخورات عدنا والترحان الى الدار لتناول طعام الظهر . اكلنا ثم اخذنا قسطنا من الراحة . وعند الساعة الثالثة قصدنا الى سوق الدلالة ويسمونه « الشط » لقيامه على مقربة من النهر وهو مكان فيسح منبسط ضم اليه جميع اجناس الماشية من خيل وبغال وحمر وجمال وبقر وجاموس وغنم وماعز الخ ولكل من هذه الاجناس سوقه بكل لوازمه وادواته

دلالة الخيل : لا يعرض منها للبيع في الدلالة الا ما رفض قبوله في آخورات المتعبدین يصبح الدلال منادياً : حصان لونه كذا عمره كذا من الرسن الفلاني تربي في القبيلة الفلانية امه فلانة ابوه فلان موجود الان في الحل الفلاني مدفوع فيه كذا . وهنا يتبدى المزايدة العنيفة

دلالة البغال : بغلة للركوب امها فلانة ابوها الحصان او الحمار الفلاني . وعما يلتفت الانتظار ان البغال في الموصل مرغوب في ركوبها اكثر من الخيل لانها اوسع ظهراً واسهل ركوباً

والجاموس : الموجود على شاطئ دجلة اكبر حجماً من جاموس تركية الحولة وضاف النيل ، واكثره سمين وخليه لذيذ جداً

وهناك جاموس يستخدمونه لجر مركبات النقل واكثر الثقليات بواسطة الجاموس في المدينة وجوارها . وفي القرى الصغيرة يستخدمون الجاموس للركوب والنقل والبقرة : هناك كثير جداً يستخدم للحرثة لان الشعب يأكل لحمه قليلاً وهو يفضل اكل لحوم الغنم والماعز

واسعار البقر في تلك البلاد رخيصة جداً فلا تكاد توازي ربع الاسعار في البقاع وعكاك

الغنم : حيوان مرغوب فيه جداً في تلك الجهات ، وفي سوق الغنم نوعان : احدهما يرسل الى لبنان وسوريا وهو الغنم الاعتيادي من ابيض ومور والنوع الثاني هو المرعز وهو جميل الصوف ناعم وطويله وله زغبه ظريفة الشكل وثمه يوازي ضعف الغنم الذي يستخدمونه الى بلادنا ، وهذا النوع يشتره العربان من سائر القبائل فانهم يستخدمون

صوفه لحياكة البستهم ومروج خيلهم وشأنه هناك شأن وير الجبال الماعز : يستخدمونه لئلاكل واللاتفاع من شعره ولا تباع القبائل الا الدكور محتفظة بالاناث فمنج حليبها بحليب الغنم وسمتها بـ « بن الغنم » ايضاً . وقبلنا شاهدت في السوق عنزة حلواً يرمم البيع بالدلالة الحمر : هي نادرة في تلك البلاد وبالنتيجة غالية الثمن . ويستخدمونها لنقل التراب والسماد والحجارة في داخل اسواق المدينة وتجن الحمار هنالك ثلاث اصناف ثمن البغل وبعد تفقد سوق الدلالة عدنا الى الدار وكانت الساعة السابعة مساءً

٢٨ نيسان

عند الساعة السابعة صباحاً قدم علينا الترحان يريد الذهاب بنا الى مقالع الرخام فشرينا القهوة معاً ثم ركبنا جيادنا وصرنا . وبعد ساعة كننا عند المقالع والرخام هناك نوعان اسود وابيض ، اما الاسود فقام اللون واما الابيض فاسمره . وفي المقالع عمال اختصاصيون يقتلعون طبقات طبقات ومما كنه ليست بمشيرة فهي لا تتجاوز عشرة سنتيمترات اما الطول والعرض فانها على اقيسة مختلفة كبيرة ومتوسطة وصغيرة ويقطع العمال الرخام بمنشار من خشب يعاونونه بالردل والمساء . وسعر الرخام رخيص وهم يستخدمونه لتبليط الدور والغرف والطاولات الطعام وغيرها وفي رجوعنا مررنا بمركز الولاية فشهدنا هناك ما نشاهده في غيره من مراكز الولايات العثمانية ، الدوائر القضائية والادارية والعسكرية وهلم جرا اكثر السكان مسلمون وهم اصحاب الثروة والمال والجاه والحل ولربط في التجارة والسياسة والانشغال العامة ويتعاطي المسيحيون بعض المصالح الصغيرة القليلة الموردة كالتصنيعات والخياطة ولا سيما الخياطة العسكرية والارمن هم ذوو الشأن فيما يختص بالخياطة العسكرية . وليس هناك للمسيحيين الوطنيين على اختلاف مذاهبهم من قيمة او مقام في اعين الشعب المسلم

٢٩ نيسان

عند الساعة الثامنة صباحاً قدم الترحان فشرينا القهوة معاً ثم خرجنا وبهتنا دار الرسالة الامير كانية البروتستانية وقد شيدتها جماعة من الاميركيين وتركوها لقوم من

الوطنيين يدينون بمذهبهم . وهي كناية عن دار عادية فيها معبد صغير . فاستقبلنا عند المدخل قيس وطني ودعانا الى الاستراحة في قاعة صغيرة . فطلبت منه بعض الافادات عن الاكديوس المسيحي في تلك الاراضي - فاجابني :

تتألف الطوائف المسيحية الوطنية في هذه البقعة من :

كلدان ، فاشوريين ، فيماقية ، فارمن ، وسريان

والكلدان — الاشوريون قسماً : قداماء وهم النساطرة الخاضعين اليوم الى سلطة زعيمهم الديني والديوي مار شمعون . فان طقوسهم ما زالت باللغة الكلدانية الاشورية وقريبة من الطقوس الارثوذكسية

والكلدان الكاثوليك هم الخاضعون لسلطة البابا ولهم بطريركهم الخاص مركزه الدائم في الموصل

اما البعاقية — السريان يقسمون الى قسمين ارثوذكس ومعموفين بالبيعة اي السريان القدم والسريان المعروفين بالكاثوليك الذين انشقوا من الكنيسة البعاقية او السريانية الارثوذكس

لمحة تاريخية عن الكنيسة السريانية الارثوذكسية

ان السريان هم احفاد الاشوريين القدماء لهم في التاريخ القديم ذكر لامع بسطوا سيطرتهم انذاك على الاديار الشرقية ما برحت اثار سؤدهم ظاهرة بما بقي من مكتوبات لغتهم سواء كان في الطروس الراقية او الاكتشافات القديمة . وقد اخذ السريان المسيحية في القرن الاول وكانت بلادهم تشمل سورية على اختلاف اقسامها والجزيرة وما بين النهرين واشور المعروفة اليوم ببلاد الموصل ومادي واذريجان وهي المسماة الان كردستان والعراق التي كانت قديماً تسمى بلاد بابل . وكان سكانها يوماً يتكلمون اللغة السريانية قاطبة ما عدا بعض أهل المدن الكبيرة الذين كانوا يتكلمون اليونانية . وكانت الرها « اداسا » اليوم اورفا مركز العلوم السريانية الدينية والديوية واهلها كانوا يتكلمون السريانية . ولقد انقسمت البلاد السريانية الى قسمين شرقي وغربي فالغربية كان حدها من البحر الى نهر الفرات والباقي هو القسمة الشرقية

كان يسوس هذه الطائفة كلها بطريرك واحد مستقل وهو البطريرك الانطاكي

» نسبة الى مدينة انطاكية التي هي اقدم الكرامى المسيحية بلا منازع . وفيها لقب النصارى مسيحيون لأول مرة (اعمال الرسل ص ١١ : ٢٥) ومنها ابتداء الجولان للتبشير خارج اورشليم (اعمال ص ١٣ : ٤) ولم يكن بطريرك سواه في البلاد السريانية . وكان نفوذه يعم جميع بلاد المشرق ، من ساحل البحر الابيض المتوسط غرباً الى اقصى مملكة فارس شرقاً ، ومن كيليكيا وارمينيا شمالاً الى حدود فلسطين جنوباً ، وتشمل سلطته جميع الامم الموجودين في هذه الاصقاع من اي جنس وقبيلة كانوا

غير ان سمر الماعاني التي تضمنتها العقائد المسيحية وعدم وجود تحديدات لضبط تلك الماعاني في الدورين الاول والثاني ، وحماة الاولين وعدم تأني احدهم على الاخر . ادت الى ظهور اختلافات في التعبير عن مبادئ المسيحية وتشبث كل فريق من المتنازعين بالصورة التي فانها تؤدي المعنى المقصود فنتج عن ذلك اقسامات في الطائفة السريانية . وادت الى ظهور عدة طوائف وتحولت تلك القوة العظيمة المتحدة التي لم تكن تقتحم الى اجزاء صغيرة تطرق اليها الوهن والضعف ، ولا سيما بعد ما اخذت كل منها للايقاع بالآخرى وتوسى لتكيس اعلامها بما تصل اليه اليد . اما الطوائف التي انسلخت عن الطائفة السريانية هي : اولاً — النسطورية التي تحزبت الى مذهب نسطور بطريرك القسطنطينية الذي حرمه المجمع الانسي الثالث سنة ٤٢٨ — ٤٣١ م

ثانياً — المارونية التي هي ارومة الشجرة السريانية الثانية انفصلت عنها بزعامة الراهب يوحنا مارون الذي كان ابناً لآغاوث حاكم ساروم وخالا للامبر ابرهم زعيم الموارنة ، فاعتمس الموارنة في جبل لبنان بعد ما اضطهدوا من اخوانهم السريان واقاموا اول اسقف عليهم سنة ٦٨٥ . غير انهم لم يتصلوا بالكنيسة البابوية مديناً الا بعد فتح الصليبية سنة ١١٨٢ وارتبطوا بالكنيسة البابوية نهائياً بفضل الاراساليات اللاتينية واعطي بطريركهم لقب البطريرك الانطاكي اسوة في بطريرك انطاكية السريان ولقبت كنيستهم بالمارونية نسبة الى زعيمهم مارون المذكور . وما يدعو للأسف اليوم

اذهب ايها المريض الى المستوصف العام

للاكتفون انظون سافون

ان لقب مارون يتخذونه الى مذهبهم وجنسيتهم ونسوا بانهم كانوا يوماً احفاد الاشوريين «السرمان»

ثالثاً - الطائفة الكلدانية التي سبق الكلام عنها انسلخت عن النسطورية الحاكمة آنئذ في اجيال متتابعة واستقلت بادارتها واتخذت لها القوش قرب الموصل مركزاً بطريركياً وظلوا يتولون المنصب واحداً بعد الاخر الى سنة ١٨٠٢ حتى انحاز ايليا الثالث عشر بطريركهم الى البابوية، وتحذوا لهم لقب الكلدان نسبة الى اجدادهم الكلدانيين - سكان بابل يميز آ لهم عن النساطرة

رابعاً - السريان الكاثوليك

لم ينقض جيل الا ودامت البرى الطائفة السريانية واضعفت فيها روح الاستقلال الذي تمزقه الوحدة ويمتية الانقسام . فاخذ ابناء الامة السريانية يميلون الى كل من يرون فيه القوة يستجدونه لمقاومة ابناء جنسهم فدان بعضهم بالاسلامية وبعضهم بالارمنية الى ان جاء ايضا اندراوس اخي جان الذي تبع البابا ورسمه بطريرك الموارنة قيساً سنة ١٦٤٩ وفي سنة ١٦٦٤ ساهم البطريرك المذكور بطريركاً على طائفة مستحدثة كانت في عالم الخيال . وقد وصفه احد مطارنة طائفته وهو غريغوريوس جرجس شاهين سيف كتابه «نجم الوسم» بكل صفة محقونة ومنها انه كان ساحراً . ولما مات سنة ١٦٧٧ خلفه بطرس ومات هذا الاخير سنة ١٧٠١ فتوقفت رومية عن رسامة بطريرك ثالث اذ لم يتبعها في مدة هذا وذلك احد من السريان

غير ان جهاد الاراسيات الكاثوليكية البابوية لم تقف عند هذا الحد بل واصلت عملها بنشاط حتى سنة ١٧٨٣ حيث انقم اليها غنائيل جروه مطران حلب واربعة اساقفة معه وانتخب غنائيل زعيمهم بطريركاً عليهم وايدى البابا بيوس السادس . فابتدأ هذا بدوره بمجاهدين شعبنا المستقل وانحاز لمسريان حلب اولاً وبعض افراد اخرين من الشعب في البلاد السريانية الاخرى . وقد لقبهم البابا باسم السريان الكاثوليك تمييزاً لهم عن السريان الارثوذكس . وهؤلاء بدورهم لقبونا بيمامة نسبة الى يعقوب البرادعي الذي ظهر في القرن السابع وقاموا اتباع المجمع الخلقيدوني الذي اعتبرته الكنيسة السريانية غير شرعي لانه لم يضره اساقفة الشرق . ان الغاية من تسميتهم للسريان باليمامة

ليختصوا بكلمة السريانية انفسهم . ويقدر عدد نفوس هذه الطائفة الجديدة بنحو ٢٥ الف نسمة معظمهم في الموصل وضواحيها والبقية مشتتين في انحاء الشرق

بطرس صوي

الراهب الاشوري

«ان الاب الراهب بطرس صوي الموجود حالياً في اورشليم هو قطب من اقطاب الامة الاشورية فهو عالم في ابحاثه مدقق في تحرياته وثابت في اخلاصه لامتته التي لم يتردد يوماً في تضحية كل شيء في سبيل اسماها وينظر الى جميع فروع امته على اختلافها بعين واحدة هو شاب في سنه ولكنه شيخ في اختياراته»

والامر اربعة اقسام : قدماء وكاثوليك وارثوذكس وبروتستانت . والفرق بين القدماء والكاثوليك ان هؤلاء خاضعون للبابا وان القدماء ليسوا كذلك . والارثوذكس والبروتستانت مثل اخوانهم من بقية الطوائف

ولكل من هذه الطوائف اكليروس يتألف من كهنة واساقفة وبطاركة ما عدا البروتستانت الذين لا بطريرك لهم

وروما وفرنسا تساعدان الطوائف الكاثوليكية مادياً وادبياً . وروسيا تساعد الارثوذكس واميركا وانكلترة تساعدان البروتستانت

قلت : وكيف يعيش الاكليروس في هذه البلاد وما هي وارداته ؟

قال : يعيش خدماً الرعايا من مساعدات الشعب فانهم يخصصون لكل خادم رعية شيئاً من غلات الارض زد على هذا ان للشعب تقاليد قديمة ما زال مسمكاً بها فقد جرت العادة على تقديم شيء من المال لخدام الرعية في كل عيد من الاعياد السنوية الكبيرة ويسمون هذه الاعياد مواسم وهي : عيد رأس السنة فعيد الفصح فالعنصرة فعيد الميلاد . وما خلا ذلك ان لكل خادم رعية قطعة ارض هي ملكه الخاص ويتبعها شيء من الماشية وهكذا يعيش خدماً الرعايا

اما الرهبان فلم اديار كثيرة متينة البناء تكاد تشبه القلاع الحصينة . وموقع هذه الاديار كلها في البراري والاماكن المنفردة وهي لذلك معرضة لهجمات العربان وتعدياتهم فاضطروا ربابها ان يجعلوها شبيهاً بالقلاع الحصينة

وبعد زيارة دار تلك الرسالة عدنا الى العار القنصلية فنناول طعام الغداء ونرتاح قليلا على امرتنا

وحوالي الساعة الرابعة مساء قصدنا الى دائرة الامن العام للاطلاع على حالة البلاد من حيث الذهاب والاياب . فطلبتنا مقابلة مدير الدائرة وكانت شاكاً من الاتراك جميل الطلمة لين الجانب مثملاً مهذباً فقلنا له :

هل من خوف علينا اذا رمتنا ان نتجول ليلاً حوالي المدينة ؟

اجاب اشير عليكم بعدم السير ليلاً مسافة عشرين متراً خارج المدينة قلت : كيف يكون هذا والدولة هنا عساكر عديدة ؟

قال : على الرغم من كل ما بذلناه في سبيل تعزيز الامن في هذه الاراضي ما زالت الحالة سيئة للغاية ولا تتمتعوا من قولي هذا فانكم تعلمون انه لو كان حول مدينة دمشق مثلاً عصابة من اللصوص لعكرت صفو الامن هناك اذ انه لا يسع الدولة ان تقطع دابر العصابات العيانية بوجيز الزمن . وحالتنا هنا اصعب جداً من الحالة في دمشق لاننا عاشون بين شعب عديد كثير العصابات واسم الاراضي وقد تعود النهب والسلب والتعدي على الشرف والحياة . فلا يسعنا تغيير اخلاقه بقصر المدة . وكانت الحالة في داخل المدينة كما هي الان في خارجها وبفضل المساعي والجهود العظيمة اصبحت المدينة آمنة ليلاً ونهاراً .

قلت : ومن يسكر صفاء الامن حوالي المدينة أهم اهلها ام الاغراب ؟

قال : جيرة الموصل تتألف من الاكراد ومن البيديية ومن بعض القبائل العربية السافلة وكل من هذه الشعوب يخشى شره ويصعب علينا جداً اكتشاف الجناة نظراً لوفرة عدد الاشقياء والجرمين . ونجاة المسيحي هنا اشد تعرضاً للاخطار من حياة كل شعب آخر .

قلت : أليس بين اولئك القوم من اتاس عتلاء يساعدونكم على تعزيز الامن ؟

قال : عقلاؤهم وكيارهم جميعهم رؤساء عصابات والسلام

وبعد ان مكثنا ساعة عند مدير الامن العام ودعنا شاكين وانصرفنا عائدين الى مركزنا .

وفي تلك الايام يقيم بطارقة الطوائف واساقفتهم وهم بذلك معززون ، وعندما يركب اسقف منهم يواكبهم عدد كبير من الرهبان متقلدين بأسلحتهم ومتردين ثوباً ابيض يميزهم عن بقية الشعب

ويشبهه موكب الاسقف موكب امير احدى القبائل يدور ما تقصص ، وهذه العادات متبعة عند جميع الطوائف المسيحية بدون استثناء

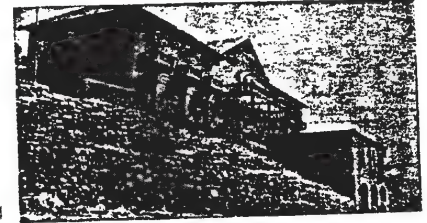
والمسيحيون هنا افقر من الشعوب حتى ان اليهود الذين هم اقل منهم عدداً اذفر منهم ثروة واغنى مالا واطياناً

قصر الشاغور

حمانا - لبنان

لصاحبها

الدكتور الياس بك عاد



قائم على كنف وادي حمانا على ضفة

الشاغور مجهز بجميع وسائل الراحة يفتح صيفاً وشتاء .

ويتمتع بقوة جميلة يتر الشاغور في

وسطها . يصب في اولها الشلالات منسابة

بالكهرباء - ماء جارياً



٣٠ نيسان

صبحنا الترحمان عند الساعة السابعة وشربنا القهوة معاً وطلبنا منه ان يذهب بميئتنا الى قلعة النمرود وهي تبعد عن الموصل زهاء عشرين ميلاً . ولما كان الجواد لا يقطع في الساعة سوى ثلاثة اميال حسبنا لنهائنا سبع ساعات وسبعاً لايابنا وساعتين على الاقل للاستراحة وتناول الطعام فاصطحبنا قسماً من رجالنا لقضاء حاجتنا في تلك الرحلة تاركين القسم الآخر في الموصل . وغرنا الساعة الثامنة صباحاً وسرنا على ضفة دجله وكان النهار جميلاً ومنظر الطبيعة بديعاً . وتناولنا الطعام عند الساعة الواحدة بعد الظهر واسترحنا قليلاً ثم تابنا المسير فانتهينا الى قلعة النمرود عند الساعة الرابعة مساءً وبشنا رجالنا الى قرية قريبة تدعى بهنام ينصبون فيها الخيام ويعدون لنا العشاء

قلعة النمرود^(١)

قامت سنة ١٣٠٠ قبل المسيح وكانت قبل نبوي قاعدة الحكم في عهد الاشوريين وكانت مدينة عظيمة شيدتها الملك شلماناسار الاول . ثم خربت فجدد بناءها اشور ناصر بال وجعلها عاصمة للملك . وفي القلعة اصابم كثيرة متنوعة وفي جملتها نيران لها رأس انسان واجنحة طيور مختلفة . صعدنا الى قمة قريبة فامتدت امام باصرتنا القلعة والمدينة وهو منظر نغم يرهق على عظمة الاولين ومجدهم . وقد مكثنا هناك نتفقد الانوار الى ان غربت شمس ذلك النهار وحينئذ تبعنا رجالنا الى حيث نصبوا الخيام واعدوا العشاء . وكان الحر شديداً للغاية والحشرات تعد بالملايين

١ ايار

ذهبتنا باكراً تزور الدير القديم المعروف بدير مار بهنام والخاص بالطائفة الكلدانية ولا تزال هناك آثار الكنيسة القديمة ويهود تاريخ بناء الكنيسة الحالية الى سنة ١٢٠٠ بعد المسيح . واذا الكنيسة من الخارج يقوم قبر يجهلون لمن هو

(١) قال الكتاب المقدس في "نصل المائر من -فر التكوين :

وكوش ولد نمرود وهو اول جبار في الارض وكان جبار صيد امام الرب ولذلك يقال كنمرود جبار صيد امام الرب . وكان اول ملكته بابل واركواكه وكانه في ارض شتار ومن تلك الارض خرج اشور فبنى نينوى وساحات المدينة وكال وراسين نينوى وكال وهي المدينة العظيمة

١٤٣

ومن الدير ذهبنا الى قرية قره قوش . وهي على مسافة ستة اميال من قرية بهنام . وفي قره قوش هياكل ثلاثة سابقة جداً لعهد المسيح وقد حولوها بعده الى كنائس جميلة الشكل والمهندسة . تناولنا طعام الظهر في قره قوش في ظلال اشجارها الكثيفة ثم رجعنا الى خيامنا في بهنام وبنا هناك ليلة ثانية

٢ ايار

عدنا فتفقدنا قلعة النمرود منعمن النظر في سائر آثارها . وكان رجالنا قد تقدمونا راجعين الى الموصل فسرنا وراءهم تحت اشعة شمس محرقة لم تكن مياه دجله لتقوى على تخفيف شيء من حرارتها . فانتهينا الى الموصل حوالي الساعة السابعة مساءً وقد انهكنا التعب واوجعنا الحر .

٣ ايار

عصفت باكرًا ريح شرقية حالت دون خروجنا من الدار فأثرنا البقاء في مركزنا وعن لي ان اوعز الى طبائنا باعداد طعام من الاطعمة اللبنانية . فهبنا لنا الصبي الكبة النية ومحشي الكوسى والفوارغ وقد كان رفيقي السائح مسروراً جداً من ذاك الغذاء فاكل منه ضعف ما اعتاد اكله . وقنا بعد الغذاء نرتاح في غرفنا ثم نهضنا وشرع كل منا يسطر تذكارات الرحلة الى قلعة النمرود

لوكنمة الشاغور

حاجنا - لبنان تلفون نمرة ٥٠

صاحبه - امين نمر بشارة

بنيهما قهوة جميلة على

ضفاف الشاغور قريبة من

الشلالات منارة بالكهرباء

في غرفها ماء جارية . مطبخها غاية في الاتقان . تنس ٤ راديو

٤ ايار

بعث بعض رجال الدين يقولون لنا انهم عازمون على زيارتنا فلبينا في الدار منتظرين وقد جاءنا منهم مطران الكلدان القديس ومطران السريان ومطران البعلبكية ودخل علينا جميعهم وقد تقلدوا اوزهم بمختلف الاسلحة على شاكلة امراء القبائل العربية . والرهبان يلبسون لباساً ابيض والخراطوش حول صدورهم . وتضى كل منهم في زيارته نجواً من ساعة كان في خلالها موضوع اكرامنا واحترامنا

٥ ايار

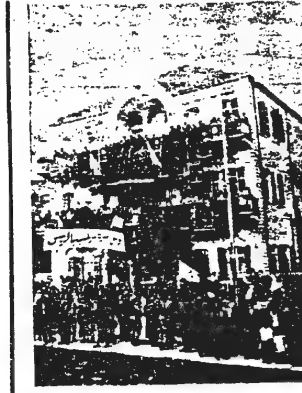
نهضت باكراً جداً واجتمعت الى السائح نعد خطة ليومنا وعند الساعة السابعة صباحاً قدم ترجمان قسطنطينية روسيا ودعانا ملجأً علينا لتناول طعام الظهر على مائدته فلم يسمنا الا تلبية الدعوة . وكالت في جملة المدعوين بعض مشايخ اليزيدية الذين يجوبون القرى ويعرف هؤلاء « بالقوالة » من عاداتهم اثناء تجوالهم في القرى والدساكر ان يحملوا تتالاً بشكل الطاووس وهو رمز الى الشيطان الذي يعبدونه . وهم يجوبون القرى مرة

اونيل اميرنا

زحله = لبنان اصحابها

عزيز عبده

تقوم على ضفة البردوني بحيرة بجميع وسائل الراحة مطبخها غاية في الاتقان قريبة من وادي زحله وادارتها هي ذات ادارة لوكندة اميركا سيفي بيروت .



واحدة في كل عام جمعاً للمرتبات الدينية اي الاموال التي يعيش منها خدمة الدين . واثناء رجوعنا الى الدار مررنا بأخو رجل غني وجيد اسمه طاهر بك وهو من مشاهير متمهدي الخيل فوجدنا في ذلك الاخو اربعة جواد من امسين الخيل جنباً واصلاً . فأكرم طاهر بك وفادتنا وشرح لنا حيلة كيفية اشتغالهم مع الانكليز المقيمين في بلاد الهند . وبما عرفناه منه انهم لا يصدرون الى تلك البلاد اقل من الف رأس في السنة

٦ ايار

سحونا حوالي الساعة الخامسة صباحاً وعزمنا على السفر الى الشيخ عدي كريمة الطائفة اليزيدية ومرجعها الديني الاعلى . وعند الساعة السابعة قدم الترجمان وشرب معنا القهوة فاعلمنا بمقصداً فاحب أن يرافقنا فخرجنا من المرحل حوالي الساعة الثامنة وكنا خمسة رجال : انا والسائح ودركي دليل حسب العادة واحد رجالنا يحمل لنا الزود على ظهر جواده . ومررنا بالسكنين ضفة دجلة الشرقية فكنا عند الساعة الواحدة بعد الظهر امام آثار « خورسباد دور شارو كين » قديماً او قلعة سارغون الثاني الذي حكم اشور من سنة ٧٢٠ الى سنة ٧٠٥ قبل المسيح — وقد اكتشف هذه القلعة أحمد المقتدرين الافرنسيين سنة ١٨٤٣ ، تنقذنا الاثار فادعشنا عظمها وادخلنا بديع النقش الذي شاهدناه على حجارته .

واخذنا هناك قسطاً من الراحة وتناولنا طعام الغداء ثم استطردنا المسير فانتهينا الى قرية كردية تدعى « باقيان » فيها قبور داخل الصخور وكتابات اشورية ونقوش مختلفة في جملتها اسم سنجاريب ملك اشور الذي حكم الاشوريين سنة ٧٠٥ الى ٦٨١ قبل المسيح . ومن هناك تأيننا سفرنا الى الشيخ عدي فكنا حوالي الساعة السابعة مساء فتوجهنا نوا الى دار الامير الزعيم القبطي للطائفة اليزيدية . فوجدنا مدخل الدار مغلقاً . وكان على احدى نوافذها بعض رجال الحرس فنزل احدهم يستقبلنا وقد تقلد بسلحه وفتح الباب وسأل : من تطلبون ؟ فاجاب الترجمان : اننا قاصدون زيارة الامير قبل هو هنا ؟ قال الحارس : اهلاً وسهلاً تنقلوا الى قاعة الانتظار ، وادخلنا ذاهباً بنا الى تلك القاعة حيث بقنا ننظر قدوم الامير ، وفي اثناء ذلك التفت الى الترجمان وقال : ركبنا عربوا هنا ما كان من امرهم مع امير القبيلة فيما يخص موسم المرور (الخوة) في ارضها

قلت : لكل خطاب جوابه وعلى الله الاتكال

ثم عاد الحارس يدعونا الى الطابق الاعلى فسرنا وراءه ، وما كدنا ننتمي الى آخر السلم حتى التقانا شاب لا يتجاوز العشرين من عمره فرحب بنا ذاهباً الى قاعة عظيمه معدة لاستقبال الزائرين . وكان الليل قد ارخى سدوله والطقس قد تغير فامطرتنا السماء مدراراً . ومرت حنيئة على جلوسنا والشاب فاقبلت علينا سيده رصينة في عقدتها الرابع وقد ارتدت ملابس تشبه ملابس الملكات الشرقيات في العصور الخالية وكانت والدة ذلك الشاب جلسنا فسرعت تلاطفنا وتحدثنا حديثك دلنا على قوة ذكائها ورقيها وكانت جميلة الطلعة رشيقة القوام

فسألنا الترجمان ما اذا كانوا مسرورين باقامتهم في ذلك المكان المنفرد . فاجابت ان الحياة هذه شقاء واكدار . وليست السعادة من وراء العيش في الدور والتصور فان الموت يهدد ساكنيها على مر الساعات والدقائق . فاستدللتنا من قولها انها حزينة كئيبة واستبحتنا لفسننا زيادة الاستفهام فادركنا ان نائبة نزلت بها . فقلنا كل نفس حية معرضة في هذه الدنيا للعذاب والتألم وللحياة مشاكلها ومصاعبها واحزانها واكدارها فكان جوابها الصمت مشغوعاً ببيل من الدموع . وكانت تلك الدار تحاكي بعظمتها سراي بيت الدين فسالنا السيدة : ما اكبر داركم فهل تستخدمونها كلها

قالت : على الرغم من كبرها فهي ما زالت تضيق بنا وقد عزمنا على تشييد غرف جديدة في الجبهة الشرقية

قلنا : ولماذا هذا الكبر كله ؟

قالت : هلموا فاريكم كيف نشغلها . وصرنا ورائها الى الطابق الارضي فاذا هو اربعة اجنحة طول كل منها مائة متر بعرض خمسة عشر متراً ناهيك بلقنا الذي لا تقل مساحته عن مائتي متر مربع

وتفقدنا اولاً الجناح الغربي ويدخل اليه من بوابة كبيرة قامت على جانبيها الغرف المدة لسكن الحراس والخدم والحشم وعائلاتهم فانهم يقيمون هناك باجمعهم حيث لا منازل في جوار تلك الدار ولا يسمح لاحد منهم ان يخرج منها في الليل وقد فرشت تلك الغرف فرشاً عريكة لا تقا بها كنيها . وقد شاهدنا بين الجماعة اطفالاً على احضان امهاتهم . فسالنا الاميرة عن عدد المقيمين في ذلك الجناح فقالت : انهم نحوون نفساً

رجالاً ونساء وصغاراً . ويشغل النساء والرجال جميعاً اشغالات متنوعة وصرنا من هناك الى الجناح الجنوبي فاذا هو مجموع اخورات لميت الخليل وكان فيه حينذاك خمسة وعشرون رأساً من اطيب الاجناس واكرمها ، بعضها من الذكور وبعضها من الاناث . ويقوم بسياسة الخيل وبالاغتناء بتنظيف الآخورات عشرة من السوان لهم حولها ست غرف يقيمون فيها مع عائلاتهم

ثم ذهبنا الى الجناح الشرقي وهو كناية عن مخازن عديدة جمعت فيها اصناف المأككل ويدبر المخازن وكيلان احدهما يستلم الغلال وما شاكلها والثاني يقدم للجميع اللوازم والحاجيات يوماً فيوماً . ومن هناك توجهنا الى الجناح الشمالي وهو كناية عن غرف كثيرة كبيرة مخصصة للنمالة وفي وسطها قاعة للاكل فسالنا الاميرة : ومن يشغل هذه الغرف العديدة ؟

اجابت : هذه معدة لرجال المبد من اليزيديين الذين يؤمون الدار من سائر الانحاء ولا يقل عددهم يومياً عن الخمسين ويبلغون المائتين او اكثر في ايام المواسم . وكانت الساعة التاسعة ليلاً قد عنتنا الاميرة لتناول العشاء وتصدرت المائدة جلسة السائخ عن يمينها وابنها الامير عن شمالها وكنت الى جانب السائخ والترجمان الى جانب الامير سالناها : اليس في الدار من ضيوف غيرنا في هذه الليلة ؟

اجابت : عندنا الليلة هذه ثلاثون ضيفاً غيركم وهم يتناولون طعامهم في الطابق الارضي . وقلنا جلس ضيوف على مائدتنا هذه وفي الاعياد والمواسم يعودنا اناس من سائر الطبقات فيجالسنا على الاكل اصحاب الطبقة العالية . وكانت القاعة التي تناولنا فيها عشاءنا تحاكي كثيراً قاعة الاكل التي في المقر البطريركي الماروني في الديان اما العشاء فكان خروفاً صغيراً على صدر كبير وثلاثة اراتب بورية على صدر آخر وعلى صدرين آخرين خضرة متنوعة منها فيه ومنها مسلوقة . وكانت النمل تبتك محققاً وزبيباً وعسل فاحراً .

وبعد العشاء اخذونا الى قاعة كبيرة مفروشة على الطريقة العريضة وقد كسا ارضها السجاد الصيني الثمين وشرينا القهوة . ودامت السهرة الى الساعة الحادية عشرة . ومن هناك ذهبوا بنا الى غرف النوم وقد بسطوا على السجاد فرشاً من الصوف ناعمة ومرتفعة .

نحننا باكرآ جيداً وكان البرغش قد ازعجنا في ذلك الليل الغابر فلم يفض لنا
حين ولم نلق طيم الراحة . وحوالي الساعة السابعة جاءنا خادم يدعونا الى قاعة الطعام
وكانت الاميرة وابنها بانتظارنا فيها

قدموا القهوة اولاً ثم جاءوا بالحليب وبغراج مشوية وبجين طري و زيتون اخضر
واسود ويض ملوق وعسل . وحينئذ اكلنا الاكل سال البريمان الاميرة : ألا يوجد
مغيش في غرفكم ؟

قالت : انه يكثره لكنني لا يؤذينا مطلقاً . وهل ازعجكم ؟

قال : لم يفض لنا جفن الايل يطوله .

وبعد طعام الصباح سارت بنا الاميرة ترينا المعبد فاذا هو شبيه بكنيس اليهود
وقد قام في وسطه مذبح منار بالزيت . اما الجدران فقد تلونت لشكلاً . وقد رموا
على الحائطين اليمين واليسار حية كثيرة من حولها حيات منيرة مختلفة الالوان والاياناس
وفي وسطها طير الطاووس بالوانه الطيبيمة للحية : والى جانب المذبح قاعدة من الرخام
الموسلي عليها تمثال للطاووس وقد صنع من نحاس اصفر وحجمه حجم الطاووس الحقيقي .
والى شمال التمثال مقعد الرئيس للديني مغطى بسايد رسمت عليه صورة الطاووس والى
جوانبه صور الحيات والافاعي المتنوعة

ثم خرجنا من المعبد فسال السائح الاميرة : هل خضرتك ان تقولي لنا كم يبلغ عدد
اليزيديين في العالم ؟

اجابت : يناهز عديم السنين الف وستمائة وحوالي البرصل والشيخ
عدي . وفي بلاد رومية ايضاً جماعة من اليزيديين ليسوا بقليلين لكني لا استطيع ان
اعرف عددهم تماماً .

قال السائح : وكيف هي عبادتكم ؟

قالت الاميرة : عبادتنا اكرام الطاووس وتمثالاً لاله المعبود

قال : من هو الاله المعبود ؟

قالت : القوة الغير منظورة التي نسميها ان تؤذي اذا كانت لا تبتهم

قال : هل تريد الاميرة ان نؤيدنا ايضاً ؟

اجابت : لقد امرت بان ياتي الى هنا الشيخ الاكبر فهو يشرح لكم كل ما
تطلبون . وبعد قليل جاء الشيخ وقد تعمد بعمامة سوداء
فسأله السائح : ماذا تعبدون في هذا المعبد ؟

اجاب : نعبد قوة غير منظورة تمثلها بالطاووس والفرق بيننا وبين النصارى ان
هؤلاء يعبدون قوة غير منظورة رحومة عفورة توصي بالتسامح وهلم جرا . اما نحن فنعبد
قوة غير منظورة منيرة قاسية لا تتسامح بهقوة صغيرة

قال السائح : لقد سمعنا انكم تعبدون الشيطان فهل هذا صحيح ؟

اجاب : صحيح مائتم . وانما تتل الشيطان بالطاووس والحية ممّا

قال السائح : وما معنى تمثيلكم هذا ؟

قال : الطاووس يمثل جمال العبود والحية حكمة ، لان العبود جميل وسكّيم

قال السائح : وهل انتم مقتنعون بضحة مبادئكم الدينية ؟

اجاب : يعتقد اليزيديون ان من الحكمة تكرّم الشيطان وذلك اختياراً لاضرّة
وشروده

وفهما من ذاك الشيخ ايضاً انهم يعبدون الشمس فيستجدون لها عند بزوغها ويقولون
اعل حجير امامهم تنيرة الشمس صباحاً وقد لاحظنا الحجر في المعبد تشرق الشمس عليه
من نافذة بنيت لهذه الغاية خال بزوغها . والشمس عتدم الاله الاول

ويعبدون الشيطان كاله ثان على خطّة المجوس من بائنه امامهم يقتلونه اذا استظاعوا
ويوم السبت يوم العبادة عند اليزيديين مما دلنا على انهم كانوا في الاصل يهوداً ونذهب
بعض المؤرخين انهم من الشعب اليهودي القديم الذي نزع من فلسطين الى بابل بدل على
ذلك ايضاً عبارة يرددونها في صلاتهم عندما يعبدوا الشيطان :

نحن الطائفة الوحيدة في الكون التي اختارت عبادتك يا صاحب القوة والجمال
والحكمة . ولسنا الشيخ عن كنيته تنظيم رجال الدين في الطائفة اليزيدية فقال تختلف
طائفنا من هذا القبيل عن كل طائفة سواها ولها قانون خاص جميل وظائف الديانة اقساماً
ثمة . وكل قسم منها يختص بمائلة تتوارث الوظائف المائدة اليه وهذه هي غاملات
الوظائف الدينية :

١ - عائلة الامارة الاكبر فيهم سناً هو الامير الديني الاعلى ويجب ان يكون من صلب عدي وهو سلطانهم ورئيس دينهم وتحت يده بقية الوظائف

٢ - الشيوخ

٣ - القوالة

٤ - الفقراء

٥ - البير

ومنذ تأسست الديانة اليزيدية وضعت لها الوظائف المذكورة الثابتة فتوارث العائلة كل وظيفة خصت بها ، ولا يجوز نقل وظيفة من عائلة الى اخرى الا اذا انقرضت عائلة من عائلات الغائف ، وعندها يعقدون اجتماعاً عاماً لانتخاب عائلة جديدة بدلاً من المنقرضة .

عائلة الامارة : هي العائلة التي يخرج منها كبير الطائفة دينياً وهي المرجع الديني الاعلى ويعرف بامير الشيوخ (١) والى كبرها تعود الاموال التي تجمع باسم المعبود الاكبر وبقية المعابد المنفردة في الجهات التي يقطنها اليزيديون ، ومن خزائنه يوزعون لوازم المعابد الصغيرة نسبة لاهمية كل منها ، ومن الشيخ عدي تصدر الاوامر موسم خطط رجال الدين وبكل ما له علاقة بالامور الدينية ، والامير هو الكل في الكل من الوجبة الدينية عائلة الشيوخ : هي عائلة رؤساء الكهنة الذين يعقدون الزواج ويهيمون بالمعابد وادارتها ونظافتها ، ويوجد عائلة تعاون الشيوخ ربما تدعى الفير او ما يقارب هذا الاسم عائلة القوالة : يدور افرادها على قرى اليزيديين وكل منهم يحمل تمثال الطاووس لحجم الاموال المقدسة على كل يزيدي وقد سموه « قوالاً » لانه يقول اناشيد الدينية كما نسمي نحن الرجال قوالاً لانه يشد الازجال ، والقوالة يجمعون الاموال والقرابين والزيت والشموع للمعبود

عائلة الفقراء : هي عائلة القوم الذين يتعاطون الحمامة في الدعاوي الدينية لدى عباس الشيخ عدي ، ولم اجرهم من اصحاب الدعاوي ، ولكل دعوى اجرة معينة لا يحق لهم ان يتجاوزوا حدداً ، وهذه السائلات المقدم ذكرها مرتبطة بالرئيس الاعلى الذي هو الامير والمدير ،

(١) الشيوخ اسم المنطقة التي يقوم فيها مدفن الشيخ عدي

ولا ينفذ عمل من اعمالها قبل تصديق المجلس الديني الخاضع لسلطان الامير وبعد ذلك سأل السائح الشيخ ، وهل لك ياسيدي ان تشرح لنا شيئاً عن عاداتكم ؟

فاجابه : لا يجوز للرجل ان يخاطب النساء واذا اتفق ان رجلاً خاطب امرأة خيراً كان ام شراً فانه يجب على المرأة ان تصرخ وتستغيث وتنبه ان رجلاً كلمها ، على انه اذا امسك رجل بطوق قميص المرأة بين كنفها فلا يجوز لها ان تبدي اية حركة بل العادة تقضي عليها بالاطاعة لمن امسك بها في كل ما يطلبه منها اديس كان الطلب ام غير ادبي

يمنع التافظ بكلمة « شيطان »

اذا التقى يزيدي يزيدياً وكان احدهما فقيراً معوزاً وجب على الآخر ان يساعده بقدر امكانه

قال السائح : وكيف تعاقبون المجرمين ؟

اجاب تعاقبهم بالجزاء النقدي ونحوه عليهم دخول المعابد ونظرهم من الطائفة المحرم الذي يرتكب الجرم الواحد مرات ثلاثاً

قال السائح : واذا آوى المجرم دفع الجزاء النقدي ماذا يفعل الامير ؟

اجاب : قلما عصي رجلاً او امر الامير واذا اتفق ان مجرمين ان يدفع جزاء مفروض عليه فيطلب الامير من الحكومة ان تنفذ احكامه الدينية فلا ترفض له الحكومة طلباً من هذا القبيل

وبعد المحادثة مع الشيخ رجعت الى قاعة لاستقبال

جبل سنجار واليزيديون

بقلم الاستاذ الكبير والمؤرخ الشهير عيسى اسكندر معلوف

« فاليزيديون اكراد اشداء معظمهم في جهات المرحل وبعض انحاء روسيا والمعروف منهم عندنا الذين نزحوا في جبل سنجار وهو في الشمال الشرقي من بلاد بين النهرين طوله خمسين ميلاً من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي : علوه عن السهل المحيط

به نحو التي قدم ، وهو مكال بالاشجار المختلفة منها السنديان والبطم واللوز وغيرها ،
واعلى فته الجرداء باسم (سن كلوب) وعلى جوانبه من كل جهة قري الاكراد
اليزيديين وهم قبائل وعشائر مختلفة وهم عشائرم (بيت خالي) والحيايات والمسكان
والفقراء او الرهبان وسوام ويسكن بين هذه العشائر بعض المسلمين

وعاصمة سنجار قرية اسمها (بلد) كانت قديماً مدينة كبيرة عامرة فهدمها تيمورلنك
في غزوه سنة ١٤٠٠ م وقد ذكرها المؤرخون مثل ياقوت الحموي والقزويني وابن
مكويه ووصفها الرحالة كما وصفوا سكانها وموقعها بدبع مشرف على سهل لانهاية
له الا الافق ومياهها عذبة وحدائقها كثيرة حتى شبت بغوطة دمشق ففي فيها مالوك
الشام ومصر قصوراً للزخرفة والراحة ولا تزال بعض الآثار فيها اطلالاً دارسة منها
قصر عباس بن عمر القزويني حاكم مصر ، ودارة شيدها مدير الدين بن زلسكي اقسري
سنة (٥٩٨ هجرية) (١٢٤١ مسيحية) على جامع بدبع وهي من الاجر يهتنة
فخمة ، ومزار السيدة (زينب) زوجة هرون الرشيد وهو بدبع النقوش والخراف
واخطوط الكوفية ، وحول ابوابه ونوافذه ومجاريه احجار مزمرية من الموصل وفي
داخله قبر بتاريخ سنة ٧٠٠ هجرية (١٣٠٠ مسيحية) الى غير ذلك

من هم اليزيديون

وقفت على رسائل مخطوطة احفظها في خزائني ورأيت بعض رسائل ومباحث في
هذه الطائفة فقصت منها ما امكن تحميمه بهذه العجالة

ذهب بعض المؤرخين في تسمية اليزيديين مذاهب مختلفة فقال بعضهم انهم
يفتسبون الى يز يد معاوية الاموي (وقال آخرون ان تسميتهم هذه كلمة (يزادات)
الفارسية بمعنى (الله) وقيل انهم نسبوا الى (يزد) وهي مدينة في بلاد المعجم اشتهرت
بالجوسية ، الى امثال ذلك من الآراء ، والف كثير من المستشرقين ومؤرخي العرب
كثيراً ورسائل فيهم ، واحصوا عددهم في هذه الايام بين عشرين وثلاثين الف نسمة
ولكنهم التي يكتفون بها كردية ولكن كتبهم باللغة العربية ومنهم غريب كانه
مقتبس من المذاهب التي في البلاد كالجوسية واليهودية والمسيحية والاسلامية ويسمونهم
(عبدة الشيطان)

وهم من اصول مختلفة بعضهم من شرقي الموصل من جبال الشيخ عدي بن مسافر
البقاعي وهو من قرية (قانفار) في بقاع العزيز ذهب الى جبل هكار وصار له تابعون
وانتهر هناك اسمه الى يومنا هذا ، الذي انتشرت دعوته في جبال هكار بعد القرن
السادس للهجرة وهو محترم عندهم ومنهم من جاء من شمال ديار بكر ، واجسامهم قوية
وعضلاتهم غليظة وطباعهم مهيبة حتى لم يكن المسافر يستطيع ان يمر في بلادهم قبل
عهد الحرية العثمانية سنة ١٩٠٨ مسيحية

ولباسهم كلهم الحلل البيضاء ويكرهون الملونة ولا سيما باللون النيلي ، وعلى رؤوسهم
قبعات عالية عليها منديل ملفوف يشدونها من صوف الغنم (المور) ، وقبعات شيوخهم
سوداء صغيرة وعاداتهم متخذة من المذاهب التي اقتبسوا منها معتقداتهم كما سبق
النصاري على المسلمين ، اما ايمانهم فاسلامية ، وهم يعمدون ذكورهم ويختنونهم مما
ويتزوجون نساء كثيرات بتقديدهم ويشلون موتاهم ويحيطونهم ويدفنونهم الى القبلة كالمسلمين
ولهم عقائد شتى مستحجة ، منها عبادتهم (الملك الطاووس) وهو بصورة ديك من
النحاس الاصفر مرتفع على مسرحية (شمعدان) يوقدون حوله النيران ويسجدون
له مقدمين الهدايا والتذورات المال وغيره ويلقبون الذي يسدور على فراخهم بهذا الطائر
(قوالاً) لانه يقول انا شيدم الدينية ، كما نسي نحن الزجال (قوالاً) لانه ينشد
الازجال .

وهم يعبدون الشمس فيسجدون لها عند بزوغها ويقولون اعلى حجر امامها تنيره
الشمس صباحاً ، ويعبدون الشيطان كما له ثافت على خبطة الجوس ومن يلعبه امامهم
يقفون له اذا استطاعوا حتى انهم لا يجسرون ان يقولوا مثلاً (شط الفرات) او (شط
دجلة) ونحو ذلك لان شط من حروف الشيطان التي لا يريدون التلفظ بها خشية
الامانة له ، ويمتنع عليهم (التسمية والنقل) لان ذلك ربما قصد به امانة الشيطان
حتى لا يلفظون مثل بستان وغيره لانه يؤزنه ولا يا يكون الخس مطلقاً لانه ينبت على
الدين ولا يا يكون القرع اكراماً للقرعة التي ظلت يونات النبي ، وذلك بدل على
ان اصلهم من حدود نينوى مقابل الموصل ، والموصليون يشتمون اليزيدي بقولهم
(خس الموصل في قك) فينال

ينتشر اليزيديون في جبال الشيخ عدي وسنجار والطور وسمرة وديار بكر

ووانت ، وسيف حدود البلاد الروسية واكبر امرائهم يجب ان يكون من صلب عدي وهو سلطانهم ورئيس دينهم وتحت يده الشيوخ ثم البير ثم القوالين ثم الفقراء ثم العوام

ولهم كتب دينية مقدسة منها الكتاب الاسود (مصحف ش) تأليف احد قدمائهم المشهورين واسمه الحاج محمد . وكتاب (الخلوة) تأليف كبير شيوخهم حسن البصري وسماوا اولاً (عدوين) ثم بعد ذلك (يزيديين) وتقلبت اعتقاداتهم حسب المصور التي مرت عليها

وقرام في اول جبل سنجار ومقضى ضويقوا يهجرونها ويسكنون الكهوف الكثيرة في ذلك الجبل مجاورين النور ومضى انقرضت ضائقهم يعودون الى بيوتهم ويظهر ان معتقداتهم المار ذكرها انها مقتبسة من مذهب (المانوية) الممتزج من الزردشتية والمسيحية فذهب زردشت هو القول بوجود الهين هما (هرمزد) اله الخير (و اسرمان) اله الشر

والمانوية تقوم على عبادة الشمس والاشباح الذي هو مصدر الشرور كلها . وهذا المذهب اشار اليه المتنبى في احدى قصائده بقوله :

وكم لظلام الليل عندك من يد تخبر ان المانوية تكذب
وقالكردي الاعداء تسري اليهم وزارك فيه ذو الدلال المحجب

ويصومون ثلاثة ايام متوالية كل سنة في شهر كانون الاول وغير ذلك . واما صلاتهم فبالسجود للشمس ونعيمها بلغة ركيكة نشرها العلامة الاب انتاس الكرملية بلغة فصيحة في مجلة المشرق هكذا

وظاعت علي الشمس وجاء اثنان من الجلادين فيامسكين قم واشهد شهادة الدين وهي ان الله واحد والملك الشيخ هو حبيب الله وسلم سلاماً على الشيخ عدي وعلى اسمه والقبه الكبيرة الموجود تحتها وعلى قبة توريس وعلى فخر الدين (هذا لقب الشمس عندهم) وعلى الشيخ والبير وعلى المزاردير آحور واشهد بانه بقوة وذراع الشيخ (اي عدي) التي رفعها صار الناس يزيديه

عاداتهم وتقليدهم

للزيديين عادات كثيرة لا يشار كهم بها غيرهم وتقاليد خاصة يمترونها كثيراً فالزواج عندهم مصداق ويتم عقده بتقامم العرويين رغيف خبز من دار احد شيوخهم او بسف قليل من تراب صريح الشيخ عدي ، ولا يتدخل الابوان بزيمة اولادهما ، وعندما تعدد الزوجات والطلاق وعدم ارث المتروجة من اهلها وكل طبقة تتزوج من طبقته ولا يجوز الزواج في شهر نيسان وهو بدء سنتهم ماتتهم تكون بالموبل وانعام الطبول والزمور المنزقة وزيارة القبور . هم يعتقدون

بتناسخ الارواح

وحفلاتهم كثيرة منها حفلة راس السنة وهو اول اربعا من نيسان يحملون فيها الساجق الى مقام الشيخ عدي بالطبول والزمور فيقصون في هرج ومرج ويمودون باقراص من تراب الشيخ عدي يوزعونها للتبرك ، ومن تقاليدهم لمعية تحريم الكتابة على جميع الافراد فلا يسوغ ان يكون في البلدة الواحدة غير متعلم واحد . يحسن القراءة والكتابة ويحرم عليهم حلق الشوارب او قطعها بالمقص اما اللحية فيجوز فيها كل ذلك وهم يحترمون اصحاب الرتب الدينية عندهم ولكل طبقة رتب واعتبارات يحافظون عليها بكل دقة

ولهم مواقع حربية كثيرة مع العنصرين التركي والعربي فهم متشبهون عن غيرهم بكثير من الصفات والاخلاق والمادات مما لا تنكفي هذه المجالة لتبانه والله اعلم . وما هو غير القليل حتى طلب السائح من الاميرة ان تعلمه ما اذا كان زجها الامير خارجاً عن الدار ام مريضاً لاننا لم نكن بعد رأبنا ولا سمعنا شيئاً عنه . عندها نهدت الاميرة وقالت : ليس الامير هنا فانه مات منذ اربعة اشهر بعد ان شرب القبة ب داخل المعبد وقد تحققنا انه مات مسموماً ولا يزال واضع السم في القهوة مجهولاً لغا هو من عائلة المشايخ

قلنا : ولماذا تنسبون هذا العمل الى المشايخ ؟ ام اعداء لكم ؟ او ليسوا من حنود الامير ؟

قالت : ان قانون الطائفة يصرح بانه اذا انقرضت عائلة الشيخ عدي تعود الامارة

الى من تنتخبه الجمعية العمومية وهذا ما بدعوا الى اليقين بان قاتل زوجي احد الشيوخ لان نفوسهم تحديهم بانتقال الامارة الى عائلتهم

قلنا : وكيف تتداركون امر وخيدكم الامير الشاب وتضوون حيلاته الغريبة : اجابنا : اننا لا نسمح للشيوخ بالاختلاط معنا كما اننا نحظر عليهم دخول الدار في غير الايام الاحتفالية . على انهم لا يقدمون على القتل بالسيف او بالدار . انما هم يقتالون الغير بواسطة السم فاني طردت من خدمة الدار كل البيديين واقمت مقامهم اناسا من المسيحيين يعاونهم في الخدمة بعض اليهود ولا خوف من هؤلاء . على حياة الامير الصغير لانهم لا يطعمون باي ثمن من وراء اغتياله لا سمح الله

(ومعصرون من العنب نوعا من العرق بدون آسود ويحولونه قويا ويشربونه بكثرة ولانهم عرق ممتاز ولكن طعمه يختلف عن طعم عرق لبنان)

شكل البيدي رجلان ونساء جميل وجمالا مفرطاً يشبه شكل البابليين الاقدمين والذين نزلوا من اليهود المهاجرين الذين اتوا من فلسطين ، عيوت نسايم سودا ووجهن يرقان بجل الى الاخضرار البرتقالي ، الشعر سمك واللون المموحي ابيض مائل للاخضرار ، صفتهم بوجه الاجمال جيدة واجسامهم قوية ، والناسخ يساعدهم كثيراً لان مناخ جبل منجرا الذي يقطنونه جيد ومياهه عذبة وكلها ينابيع صغيرة منفجرة من الصخور وباردة جداً وعموم البيديين يقضون الصيف في تلك البقعة وكل بيدي يبنى فيها مسكناً ذو صغيراً لاجل الصيف .

وحان الظاهر فعدتنا الاميرة الى تناول الطعام فسرنا سوبة الى قاعة الاكل حيث جلسنا جلوسنا على المشاء الغابر

وقد اعدنا الطعام على النمط الاتي

غزال كامل على صدر . ديك حبشي كبير على صدر آخر . خروف صغير على صدر ثالث . لبن رائب ولا يمزجون اللبن مع اللحم بل ياكلونه على حدة بعد الاكل وزيوت اخضر واسود وقريشه مالحه حول الصدور الثلاثة عصافير صغيرة مشوية مكبوسة بالخل في اوعية خزفية . وكان النقل مؤلفا من دبس العنب والعسل وزبيب والتين المجفف وبعد تناول الطعام ذهبت بنا الاميرة الى قاعة الاستقبال حيث قدموا لنا القهوة الخفيفة وكانت ملابس الاميرة حينذاك من الحرير المزركش الخجل نقاش اسود علامة الحداد

وما كان موت زوجها ليمنعها من التزين بجلاها وجواهرها فكانت وضة الذهب والفضة فوق جبينها وقد جعلتها على شكل التاج

وقد رأينا فوق اذنيها نوعا من الاقراط معلقة بالتاج ، وكان عنقها مزداناً بقصد شبيه بالمعقود الشرقية القديمة التي تشاهد في المتحف الاثري المصري ، ولم تكن الجعارة التي رسمت ذلك المقد باقل من عشرين حجراً مختلفة الالوان

وجوالي الساعة الثالثة دعانا الامير الشاب للتزود في املاك الشيخ عدي نزلا خارج الدار وطلبنا الخيل وبيننا الساييس يقود الخيل هجم حصان من خيلنا على فرس فقال الساييس على الفور (يتزرك يا شيطان عني) وما كاد يلفظ هذه العبارة حتى وجه الى راسه لا اقل من خمسة سيوفات وما استطعنا ان نهدى روح الجماعة الا بعد المجهود الجبهد حيث شرحنا لهم ان الساييس يجهل ديانتهم وعاداتهم قد ساعدنا الامير وخلصنا الساييس من هذه الورطة

فركبنا الجياد وسرنا وكان يحرس الامير عشرة من الفرسان المقلدين باسلحتهم . وما مر نصف الساعة على سيرنا حتى انتهينا الى تلك الاملاك وهي تتألف من بلد كبير ومن اراض واسعة يتدفق في وسطها ينبوع ماء غزير ، فقال الامير ، هذه املاك الشيخ عدي وثروة الدار

فسالنا ماذا يعني بالشيخ عدي ؟ هو اسم المعبد ام احد الاولياء ام ماذا ؟

فاجاب : هو الذي من انظمة الديانة البيديية وشيد هذه الدار ومعبدها وعقد الاتفاق البيديي البائلي وسجل للامير هذا المركز الثابت فلا تباع اراضيه ولا ترهن ولا تهجز وبذلك لا تمس كرامة العائلة والمعبد بل تبقى معززة ما زال ذكر البيديية على الارض

قلنا : وكيف اتصلت لكم الامارة ؟

اجاب : الشيخ عدي جد عائلتنا وما زال منا ذكور فالحق لنا دون سوانا بالارث واللقب ، ولما اكبروا يلقون رئيس الطائفة بلقطة « امير » اصبحنا نتوارث هذا اللقب ابا عن جد

قلت : وهل ذكور عائلتكم عديدون ؟

قال : ليس فيها سواي وخالي اخو امي ، فان افرادها ابدأ معرضون للاغتيال والتعدي

والذي مات مسموماً وعمي قبله مات هكذا ، على اننا عاملون على تنقيح نظامنا فيناح
اذ ذلك للعائلة ان تنمو وتكثر
قلنا : وكم عمر مولانا الامير ؟
قال : لقد اكملت العشرين
قلت : وهل يجوز في سن كهذه ان يكون الامير رئيساً دينياً ؟
قال : نعم ، يجوز للامير ان يكون رئيساً دينياً وهو بعد في مهده الطفولة فتكون
والدته حينذاك الوصية الآمرة الناهية تتمايز والمجلس الاعلى على قضاء الاعمال الطائفية
قلنا : وهل لرئيس الكهنة حق المراقبة على اعمالكم ؟
قال : كلا ، ليس له ادنى علاقة بهذا الامر وهو مجبر على اطاعة العمياء اسائر
اوامري .

وبعد ان جئنا اراضي الشيخ عدي امتطينا جياندا عائدتين الى الدار الآلى رى

٨ ايار

نهضنا باكراً نتأهب للرجوع الى الموصل ، وكنا قد قضينا ليلتنا الثانية كالاولى اذ
لم يغمض لنا جفن ولا ذقنا طعم الراحة من جراء جيوش البرغش التي اكنست غرفنا
وعند الساعة السابعة جاءنا خادم يدعونا لتناول الطعام وكانت الامير والدته
ينتظرانا في قاعة الاكل ، وفي اثناء الترويقة سألتنا الامير عما كان لنا في سنجار بشأن
وهم المرور فاجابنا اننا صرفنا النظر عن ذلك اقراراً بحيميله وجميل والدته الاميرة
الفاضلة .

ثم ودعنا ذلك الكريمين وركبنا جياندا الى الموصل

وماكدنا نبتد قليلا عن الدار حتى التفت الي السائس وقال : سلمني الصبي اربع
دجاجات حمرة وثلاثين بيضة مسلوقة وجبناً وزيتونا وتيناً وزبيباً وكية كبيرة من الخبز
الايض الطري وباقى معنا عشر زجاجات من المياه المعدنية فقمي بجمعكم ان
تأكلوا وتشبعوا .

وحوالي الساعة الواحدة بعد الظهر بلغنا الى قرية صغيرة كثيرة الاشجار فترجلنا
وتناولنا الطعام مستظلين باشجارها . ثم استطردنا السير فانتهينا الى الموصل عند الساعة

السابعة مساء وكان التعب قد اضعفنا فذهبنا الى الدار القنصلية حيث اكلنا خفيفاً وننا
باكراً .

٩ ايار

صحبونا متأخرين عن ميعادنا العادي وصحبنا على الاستراحة في الدار نهارنا بطوله
وامتنحمنا قبل الظهر وعند الاصيل بالماء والسير تو تحفظنا من الملاريا بعد لدع البعوض

١٠ و ١١ ايار

صرفنا هذين اليومين في الدار القنصلية نستعد للسفر الى بغداد وندرس الطرقات
التي كنا من معين على سلوكها . وفهنا من الخبيرين بحالة تلك البلادان طريقين يصلحان
للذهاب من الموصل الى بغداد برآ : طريق تكريت وطريق كركوك . وطريق ثالث
بحراً اي فوق دجلة بواسطة الكلك . (الزورق النهري) الاشوري يسمونه طريق الشط
على الكلك

الكلك : هو كناية عن جلود غم وماعز ينفخونها ويربطونها ربطاً محكمًا ويجمعونها
صفوف بحسب رغبة الطالب منها خمسة صفوف منها عشرة صفوف الخ
ويبنون غرفة او غرفتين من الخشب فوق هذه الجلود المنفوخة ويتركون الكلك يسير
مع التيار في دجله وهناك رجال تخصصوا للسفر في هذه الكلكات ينقلون مهابري طويلة
من الخشب القامي حتى اذا قذف التيار بالكلك الى الشاطئ . منتهه الرجال بواسطة هذه
المهابري ، وينقلون على الكلكات الموانئي والبضائع والركاب الخ
بعد ما درسنا الحالة وجدنا انه صعب علينا ان نللك طريق الشط بواسطة الكلك
اذ لا يمكننا معرفة الوقت وسيكون سفرنا تحت رحمة التيار والراحة مفقودة تماماً في
الكلك قررنا السفر برآ وان نللك طريق تكريت في ذهابنا وطريق كركوك
في ايابنا .

الفصل الخامس

من الموصل إلى بغداد

١٢ - ٢٣ أيار سنة ١٩١٤

جبهة -- تل كابارا وبنابيع الكاز - الجذا - قلعة شركات

أو آشور - جبل حمرين - قشلاق الخزينة -

تكريت - سيرا عاصمة الخلفاء العباسيين

قديماً - بلد - خان مشاهد

كاظم - بغداد

١٢ أيار

شربنا القهوة وترجمان الفصيلة الروسية وودعنا شاكرين لالطانه وغيرته ومره وثه وتركتا الدار الفصيلة الساعة الثامنة صباحاً بتقدمنا دركيان من ليدن حكومية الموصل وسلكنا طريق الضفة الغربية من حلة. وعند الساعة الثانية بعد الظهر كنا في (جبهة) حيث نصبتا الخيام على مقربة من آثار قديمة تعود إلى عهد الاشوريين فتناولنا الغذاء ثم تنقذنا تلك الابار وقضينا ليلتنا هناك وكان الحر شديداً

١٣ أيار

نهضنا باكراً جداً عند الساعة الثانية بعد منتصف الليل وركبنا قاصدين إلى «تل كابارا» حيث الابار البترولية الكثيرة. ونصبتا الخيام على مسافة بعيدة من تلك الابار هرباً من تلك الرائحة التي تبت منها ليل نهار وبعد الغذاء ذهبتا تنقذ الابار المذكورة



فصمت آذاننا من
قوة غليان البترول
وكان عجيجه
بتصاعد الينا من
جوف الارض،
وبتنا ليلتنا في
كابارا وكان الحر
شديداً للغاية .

١٤ أيار

سمرنا ورجاننا
الساعة الخامسة

صباحاً وكنا الساعة الثانية الخيام في جبهة

مساء امام قلعة «شركات» أو آشور فنصبتا خيامنا في مدينة آشور عاصمة الاشوريين . ونحو الساعة الخامسة كنا في داخل القلعة . وقلعة شركات كناية عن قلعة فيها آثار قديمة تعود الى عهد آشور عاصمة الاشوريين الاولى . وفي سنة ١٩٠٣ شرع الالمانيون بقبول ويخربون في ذلك المكان فتوصلوا الى ازاخ الساتر عن المدينة التي ظهرت للعيان بمجالتها الهندسية الاحولية بنوع انك لو نظرت الان اليها لعرفت كيف كانت وشاهدت ايضاً قبر سحرارب الثاني .

وقد اكتشف الالمان قطعاً كثيرة ذات النقش البديع فضلاً عن الحجارة الكريمة التي لا تحصى . وفي جملة ما شاهدنا كتابات متنوعة على حائط من الممر يعود تاريخها الى عهد الملك سلمانصر الاول . وتدل هذه الكتابات على تاريخ هيكل آشور العظيم او المعبد الاهلي .

الاشوريون

ان الاشوريين - الكلدان القادمين اليوم من ما بين النهرين - بلادهم الاصلية - الى سوريا هم احفاد اولئك الذين جاء على ذكرهم الكتاب المقدس وهم اول

الذين اعتنقوا المسيحية فذبحوا تماثيلها حتى توغلت رسلهم في الصين والبلاد النائية الاخرى فبلغ عدد اتباعهم المئة مليون وكان لهم امبراطوريتهم وعاصمتها نينوى التي قرأنا عنها الشيء الكثير ونحن على مقاعد المدارس - وبعد ظهور الاسلام قتل الكثيرون منهم فأسلم من اسلم وهاجر من امكنه الهجرة الى شمال الموصل وسكنوا جبال حبيكارى النينة في كردستان الشمالية حتى الحرب العظمى سنة ١٩١٤ متمتعين بادارة لامركزية ثامة منذ أكثر من ٢٥٠٠ سنة ولا يدفعون الى السلطان او الذين سطوا على ديارهم قبله سوى خراج سنوي لا يذكر عن طريق زعيمهم الاكبر وبطيركهم مار شمعون بالوراثة فتمكنوا على مضي الاجيال من المحافظة على لغتهم الارامية التي تكلم بها السيد المسيح وهو على اعواد الصليب ، وتقاليدهم وعاداتهم ووحدةهم اللامركزية ولما كان امرهم بهم البلاد الشرقية ، رأوا الفرصة سانحة كي تأتي على نبذة صغيرة من تاريخ هذا الشعب القديس ضيخته الساحة بعد خروجه الثالث في مدة لم تتجاوز العشرين سنة تاركين التوسع في تاريخه القديم الى الذين تهمهم الحوادث الجسام في شرفنا هذا

غيب اندلاع السنة الحرب العظمى اخذ الذين كانوا يجاورون الاشوريين يشنون الغارات عليهم بقصد القتل والسلب بتعريض موظفي الدولة العثمانية غير الاتراك حتى كانت مذابح منطقة كاوار والباقي فانذر مار بنيامين شمعون عم البطريك الحالي (قتل اغتيالاً سنة ١٩١٨) الباب العالي بسوء العاقبة ولكن انبهاك الدولة في المراسم الحربية الاخرى في ذلك الوقت عجزت عن ايقاف التعديات وبدلاً من ان تعطف على هذا الشعب وتقوم بواجباتها نحو رعاياها الاثنتين حجرت على هرمز اخو مار شمعون البطريك الذي كان يتلقى دروسه في الاساتذة عند نشوب الحرب وايقته عندها كرهينة وانذرت البطريك بشنقه حالة قبوله بد الخلفاء وخوض الحرب بجانبهم فكان جواب البطريك هذا «ليكن اخي وهو واحد قرباناً لشعبي لا ان يكون شعبي قرباناً له» فنفذت الحكومة وعيدها بهرمز ومن تلك الساعة اعلن الاشوريون الحرب على تركيا وكان عددهم للمئة وخمسون الفا بما فيهم الشيوخ والاطفال والنساء فاشتركو في اثني عشرة معركة مع الاتراك والاكرد عدة اشهر وبعد ان نفذت مؤونتهم وانت خراطيشهم الى نهايتها اضطر الشعب بكامله ان ينسحب الى البلاد الابراية تحت قيادة مار شمعون والاغا

بطرس البازي وغيرهما وهناك احتل اورميا في منطقة ازديجان وبقي فيها ما يقارب السنين مدان مدتهم الدولة الروسية القيصرية بلوازم الحرب وكانت الاتراك والاكرد يغورون عليهم من وقت لاخر فيصدهم هذا الشعب الصغير الباسل بما اشتهر به من قوة الثبات وتحمل المشاق حتى اندامت الثورة الحراء في روسيا فانظر الجيش الروسي الذي كان يساعد الاشوريين الى الانسحاب من البلاد الابراية الى بلاده وكانت ايراف على الحيات

لم يجارب الاشوريون - الكلدان الى جانب الخلفاء قبل ان - ١٩٠٠ ساء باستقلالهم بعد الحرب ففي اورميا قبل الثورة الروسية باشهر عقد اجتماعاً سياسياً ، حربياً هاماً حضره بازيل نيكيتين متصل روسيا في ايران سابقاً والموجود حالياً في باريس والكاثين كريسبي من ضباط الانكليز (وهو اليوم حي يوزق في لندن) الذي ابدته حكومته خصيصاً لتأييد وعد روسيا السابق باستقلال الاشوريين ثم اوفدت الضابط طيار بنسكتن لنفس الغرض فوعدهم بالمساعدات اللازمة والمعدات الحربية ولاسياب شتى لم تصل المساعدات الموعود بها في الوقت اللازم فاضطر الشعب الاشوري ان يتخلى اورميا وليتحقق بطلائع الجيش الانكليزي التي كانت تنتظره في سين قلعة من شمال ايران وبعد مفاجئات كثيرة انسحب الاشوريون الى العراق تحت حماية الراية الانكليزية وقد بلغت خسائرهم في الارواح تسعين الفا ما عدا الاشوريين الذين كانوا يفي المناطق الاخرى فلم يبق منهم سوى اربعين الفا من اتباع مار شمعون - في العراق الف الانكليز منهم جيش بلغ بعض الاوقات الى خمسة آلاف فخذموا الدولة العراقية باخلاص ودافعوا عن حدود العراق الشمالية وصانوا ملكة الملك فيصل من غزوات الاتراك والاكرد ومن دسائس العرب انقسم وقعوا الثورات الداخلية التي كانت ترمي الى قلب الحكومة العراقية - وعندما طالب الاتراك بضم ولاية الموصل التي تنقسم ادارياً الى اربعة الوية الموصل وكر كوك واربيل والسليمانية بما فيها من النفط - اندفع الاشوريون للمحافظة على البلاد العراقية في الوقت الذي كان فيه الجيش العراقي في المهد فلم يشترك في حياطة حدود ولاية الموصل وصعد غزوات الاتراك وقمع الثورات الداخلية طالبت تركيا سنة ١٩٢٥ بضم ولاية الموصل الى املاكها مدعية ان الجيش الانكليزي لم يدخلها الا بعد اعلان الهدنة فاحيل النزاع الى عصبة الامم فوافدت هذه

بندورها لجنة التحقيق تحت رئاسة الكونت تلسكي . ضم تقرير اللجنة الاممية توصيات شتى لحل النزاع وكانت احداها وجوب اعادة السلامة لاشورية كاتني كانوا يشتمون بها الى ايام الحرب .

دخلت العراق عصبة الامم في ٣ تشرين الاول سنة ١٩٣٢ وبعد مضي تسعة اشهر حصلت مذابح الاشوريين وصبحت امواهم واراضيهم قبالت خسائرهم المادية من نقود واموال منقولة الى ١٣٦٦٤٦ ليرة انكليزية ، ومن الارواح ثلاثة آلاف اكثريتها شيوخ ونساء واطفال . وكانت الطائرات البريطانية قد اطلقت المناشير على الاشوريين تدعوهم بها الى القاء سلاحهم والاستسلام الى الجيش العراقي وبعد ان عملوا بصبحتها حصلت المذابح .

يوسف ملك

والسيد يوسف ملك كان يشغل وظيفة رئيس القلم السري في المفتشية الادارية في الادارة الملكية في العراق مدة ١٣ سنة الذي كان في انائها مثال الموظف النشيط الصادق ، ولكنه عندما رأى الخيف باحث بابتاء جلده استقال من تلقاء نفسه واشترك في الدفاع عن حقوقهم فاصدر وزير الداخلية العراقية الامر بالقضاء القبض عليه في شهر ايار سنة ١٩٣١ فاضطر الى مفاداة بلاده لمواصلة الدفاع في قضية الاشوريين ، وعندما نفي مارشتمون من العراق يوم ١٨ آب سنة ١٩٣٣ الى قبرص التحق السيد ملك به في ٢٦ آب من السنة نفسها ثم ابجرا سوية من قبرص في ٢٨ ايلول من السنة نفسها الى جنيف فوصلها في ٤ ث ١ سنة ١٩٣٣ وكان السيد يوسف ملك امين سر البطريك الفخري لسني ٣٣ - ١٩٣٤ وهو اليوم في الشرق الذي عاد اليه بعد ان تقرر مصير الاشوريين الذين عرفنا منهم الاديب والمثقف والوجيه في سوريا والبلاد المجاورة ونخص بالذكر منهم الشاب النشيط الذي يتقد غيرة على ابناء امته بدون استثناء السيد مرقس عيسى الكربولاني

واكتشف الالمان ايضا بقايا القصر الباتاني على سطح ارض سهلية . ويقوم القصر هذا على صفي من حجارة منقوشة بمتنوع الكتابات . ويبلغ علو احد الصفيين احد عشر قدماً ونصف القدم وهو قطعة واحدة فقط كتبت عليها اسماء ملوك الاشوريين من اولهم الى آخرهم . وقد كتبت على الصف الاخر اسماء الحكام وذوي القامات العاليية الذين

عاصروا اولئك الملوك

وبعد ان تفقدنا القلعة عدنا الى الخيام نتمشى . وفي اثناء الاكل التفت الى السائح وقال : لا بد من قضاء سهرتنا هذه عند احد سكان هذه المحلة . فقلت : ليكن ما شئت وذعنا الى بيت قائم على اقربة من خيامنا فاستقبلنا صاحبه بكل مناشاة واجلسنا على حجرين مكرين عند مدخل البيت . وهذه عادة فلاحي تلك النواحي . ثم اوعز الي السائح ان اسأل الرجل عن اسمه وطائفته وعن كل ما يهنا الاطلاع عليه فقلت لصاحب البيت : ما اسمك وما هي طائفتك ؟



البيت في آشور

قال : اسمي عامر . وانا مسلم اوجد الله قلت : وهل انتم مسرودون باقامتكم في هذه المحلة ؟ قال : لولا اعتدأت العربان علينا لكانا بالف خير قلت : اما شكركم امرم للحكومة ؟

قال : لا نستطيع الى الشكوى سبباً لان العربان يحرقون منازلنا وينهبونها قبل ان تتم الحكومة بامرنا وكثيراً ما يقدم اولئك القوم على التمدي على عرشنا وشرقتنا . فتلافياً لكل ذلك نضطر الى ارضائهم

قلت : كيف وبم ترضونهم ؟ قال : نقدم لهم سنويك بعض المال الذي تعطيه ارضنا ومواسيتنا

قلت : ولئن هذه المحلة ؟ آهي للاغنياء ام للفلاحين ؟ قال : انها للفلاحين ولو كانت

لغيرنا لمجرناها من عهد طويل

قلت : ألا يسعكم يمينها ؟ قال : ليس من مشتر على الاطلاق . ومن يرغب في مجاورة العربات ؟ فان وجودهم في الجزيرة كان داعياً لمبوط اثمان الاراضي الى ادفى درجة . . ولا ينبغي عليكم ان كثير من الاملاك في الجزيرة تحت رحمة القبائل لانه ليس من يطيق مجاورتهم طويلاً

قلت : او لم تحرب الدولة ان تضع حداً لهذه الاعتداءات ؟ قال : ان الدولة تراعي دائماً جانب العربان

قلت : وهل يعامل العربات غيركم معاملتهم ؟ قال : انهم يعاملون المسلمين جميعاً هذه المعاملة .

قلت : وكيف يعاملون المسيحيين ؟ قال انهم يعاملونهم معاملة الارقاء وهم يجبرونهم على حراثة الاراضي بدون بدل مكثفين باطمانهم من غلاتها ، وهذه حالة المسيحيين المقيمين على الضفة الغربية . أما الماثلون منهم على الضفة الشرقية فعدم البكاوات

قلت : ومن تعني بالبكاوات ؟

قال : الاكراد ، وهؤلاء يعاملون المسيحيين معاملة اسوأ من معاملة العربات وكثيراً ما يستبيحون العرض والشرف بخلاف العربان الذين لا يقدمون على شيء من ذلك الا عند الضرورة

ودعنا ذلك الفلاح وعدنا الى خيامنا وكان الحر شديداً لا يطاق فاخرجنا الاسرة كي تنام في الفضاء ولكن البرغش والبعوض والبراغيث كانت علينا اشد وطأة من الحر وفي منتصف الليل سمنا عويلاً على اثره

اجتمع سكان القرية كلهم رجالاً ونساء .



صاحب البيت في آشور

فأنا عن سبب ذلك فقيل لنا انت هناك فتاة جميلة جداً وهي ابنة احد افراد القرية يشتغل كوكيلاً على قملة الحفريات من قبل المهندسين الالمان (الخواجات) فصدقنا هذه الابنة كانت تقدم الخواجات في محل سكنهم الخدمة البيتية فكانت تقضي النهار كله بخدمة فمكناوا يكرهونها ويحبونها كثيراً وبواسطتها ربح والدها ارباباً طائلة . فتشوا على الفتاة في تلك الليلة فلم يجدوها فاستغاث والدها باهالي قريته ليفتشوا معه عليها . سألوا عنها عند جميع اقاربها فلم يقفوا لها على اثر مع ان والدها تركها نائمة قبل نومه ، وبظهر انها خرجت من البيت ليلاً

قلت : لمآرنا عامر ماذا تعتقد الى اين ذهبت ؟ قال : لا اعلم ها اتي ذاهب الى ابيا وبعد رجوعي اخبركم بالذي اعرفه ، ذهب هو الى بيت ابيا حيث كان الجمع كله وبعد ربيع ساعة عاد البيت

قلت : وماذا عرفت يا عامر ؟ قال : ان ابيا يعتقد انها خطفت وان الحافظ احد الشبان لان الابنة جميلة وخفيفة وذكية جداً

قلت : وهل يوجد سابق علاقة لها مع احد الشبان ؟ قال : انت ابيا يقول انه لا يعلم ان لها علاقة مع احد لكنه يفترض ذلك

قال السائح : وهل يوجد احد من الالمان في هذا البيت ؟ قال عامر : كلا . كان فيه الخواجات الصغار سافروا اليوم بعد ان قفلوا كل شيء وسلموا المفاتيح والبيت لوالده الابنة المفقودة

قال السائح : لربما وقعت الابنة بحب احد الالمان وانتقت معه على للذهاب الى المانيا هل احدهم يعرف اللغة العربية ؟ قال عامر : ان الاثنين يعرفات العربية جيداً فكرك قريب اتي ذاهب لانه ابيا الى هذه الفكرة

وذهب الى ابيا ونحن ضحكنا وبقينا ننظر الخبر ثم عاد والرجل يقول انت ابيا اشتبه بذلك وقد ارسل اخويها الى الكلك الذي سافروا فيه الخواجات والكلك واقف الان على بعد نصف ساعة من هنا حيث لا يمكنه السفر ليلاً

١٥ ايار

نهضاً باكراً فتأهب للرحيل ، فتناولنا القهوة والحليب وعندها سألني رقيب السائح .

ماذا جرى بالفتاة ؟ قلت : فلنسأل

فألت صاحبتنا عامر قائلاً : هل وجدوا الفتاة ؟

قال : نعم وجدوها في الكلك مع اللان ورفضت ان تعود وذهب والدها ايضاً الى الكلك في الليل الماضي وحاول اقناعها بالرجوع وساعده على ذلك الخواجات ولكن هي رفضت الرجوع بناتاً مدعية انها ترغب بالذهاب الى المانيا لتتعلم باحدى مدارسها وسافر الكلك والفتاة عليه

ركبنا جياتنا ومعنا رجلانا وكل امتعتنا ومسرنا على بركات الله . وحوالي الساعة

الثانية مساءً كنا في

سفح جبل «حمرين»

وهو محل مخيف بعيد

عن كل حياة اما

المظفر في تلك البقعة

بجعل جدياً في ضوء

القمر

نصبنا الخيام

واكلنا ثم استرحنا

وبتنا ليلتنا في ذاك

المكان المنفرد



١٦ ايار

غادرنا سفح الجبل

في سفح جبل «حمرين»

حوالي الساعة السابعة صباحاً فكنا عند الساعة الثامنة مساءً امام « قشلاق الخزينة » فصبنا الخيام على مقربة من القشلاق واكلنا واسترحنا قليلاً ثم زرنا جامعاً قديماً كان على بعض المسافة من خيامنا فلم نشاهد في ذاك الجامع ما يستحق الذكر سوى بعض النقوش الجميلة المختلفة على جدرانها الاربع وعلى نوافذه الصغيرة . وصرفنا ليلتنا في مضاربنا

١٧ ايار

غادرنا القشلاق عند الساعة الثامنة صباحاً وجمعتنا تكثر فانتبهنا اليها بعد سير سبع ساعات فنصبنا الخيام في خارج المدينة الى جانب آثارها العديدة وقد تفقدناها في ذلك المساء لكننا لم نستطع مشاهدة جميعها .

وتكررت هذه بلدة فيها ما يتاهز خمسة آلاف نسمة لها سوقها حيث يجسد الغريب كل ما يحتاج اليه من لوازم المعيشة وقد فرح رجال الحملة كثيراً بوصولنا الى تكررت فذهب المشي واتى يجرون فيه وقال هذه الليلة المشا عربي في مشوي وقضينا ليلتنا في الخيام مسرورين

١٨ ايار

صممنا على صرف نهارنا في تكررت زودها ونجوبها ونرتاح فيها من مشاق السفر ، وحوالي الساعة العاشرة صباحاً دخلنا البلدة واخذنا نطوف فيها ، وادى بنا المسير الى محل صغير ضم اليه جمهوراً من الاهالي فاستهمننا عن هذا المكان فقيل لنا انه قهوة يجتمع فيها بعض البطالين ويصرفون الوقت . فن باب الفضول احبنا ان نزور تلك القهوة فقدم لنا صاحبها المقاعد واذا بنا في وسط افيف من الناس لا يقلون عن العشرين وكان بعضهم يشرب القهوة وبعضهم يتناول المبردات وهم جراً ، اما نحن فتناولنا قهوة عربية وانصرفنا عائدين الى خيامنا وكان الظهر قد حان ، وبعد الغداء والاستراحة القليلة ذهبنا نتفقد بقية الآثار

١٩ ايار

غادرنا تكررت عند الساعة الخامسة صباحاً وكنا عند الظهر في مكان ظليل فجلسنا هنالك نرتاح وأكلنا ثم استأنفنا السفر تحت مياه محرقة سالكين طريقاً وعراً فانتهينا الى سامرا اصلها (سر من رأى) حوالي الساعة الخامسة مساءً وكان السفر قد اعيانا والحر قد اخشكتنا فرقدنا بعد ان اكلنا خفيفاً

٢٠ ايار

صرفنا نهارنا في سامرا نتفقد ما فيها ، وهي مركز فائضات وموقعها الحالي موقع

سامرا القديمة العاصمة الثانية للخلفاء العباسيين من سنة ٨٣٦ الى سنة ٨٧٦ م ومدخل المدينة الحالية على قمة مرتفعة والى جانبها مسجد للشيعة تملوه قبة جميلة تسمى ذئبان بديشان شكلاً وهندسة

وخرجنا صباحاً نزور الآثار القديمة القائمة على ضفتي دجلة فلفت نظرنا الجامع العظيم المعروف بالعواميدي لانه قائم على اعمدة وفي اعلاه المنارة الملونة لانها ملونة البناء . ولا تزال الى الان آثار قصرين من قصور الخلفاء . ومن الآثار ذهبنا الى داخل المدينة فابصرنا عدداً من الحوانيت والخانات في جبهتها الغربية وساحات فسيحة فيها عربات النقل تجرّها الخيل . والى جانب الضفة باخرة صغيرة تنقل الركاب بين سامرا وبغداد . وعدنا عند الظهر نتجدى وتأخذ قسطاً من الراحة . وحوالي الساعة الرابعة مساءً استأجرنا الباخرة الصغيرة وتزدهنا في النهر نحواً من ساعتين ثم عدنا الى الخيام



القفة في دجلة

٢١ ايار

خرجنا من سامرا الساعة الخامسة فوصلنا عند الظهر الى نقطة نبتدى فيها اشجار البلح الجميلة والكثيرة . قرجنا للغداء والاستراحة . وقد شاء السائح ان نصرف الليلة في تلك النقطة فنصبا الخيام هنالك حيث بقنا ليلتنا مرتاحين

٢٢ ايار

غادرنا نقطننا باكراً جداً وكنا نسير في وسط البلح وهو بظلل طريقنا . وتناولنا طعامنا عند الظهر . ثم استأنفنا السير فكننا عند الساعة السادسة مساءً في خان المشاهدة وهو نقطة عسكرية فيتنا هنالك حيث قاسينا من الحر ما انسانا كل حر سابق

٢٣ ايار

تركنا ذلك المكان غير آسفين على حره الشديد المزعج فوصلنا الى كاظم حوالي الساعة الثانية عشرة . فتقدينا واسترحنا ثم تابعتا السفر فانتهينا الى بغداد حوالي الساعة الثانية مساءً فنصبا الخيام على ضفة دجلة الغربية

كتاب

حياة الملكين الاشوريين

اؤلفه السيد يوسف ملك الاشوري الكلداني الذي رافق بحرياته الدقيقة القضية الاشورية - الكلدانية منذ بدايتها حتى المذابح الاخيرة كتاب سياسي تاريخي قيم حاوياً على حقائق تؤيدها الوثائق الرسمية السرية التي لم تنشر قبلاً .
يباع هذا السفر الصارح في مكتبة ستياكسكي - جادة الافرنسيين صندوقه البريد ٩٩٢ بيروت

الفصل السادس

بغداد وجوارها

٢٤ ايار - لغاية ٣ حزيران سنة ١٩١٤

بغداد ومعجباتها - بابل وآثارها - كربلا وقبر سيدنا الحسين -

عظمة الخلفاء - مسجد العرب وعدهم - لمحة عن

جزيرة العرب والعروبة

٢٤ ايار

تناولنا طعام الصباح عند الساعة السابعة ومرتنا الى القنصلية الروسية حيث اجتمع السائح الى قنصل دولته يقص عليه ما حدث له أثناء رحلته . ولما حانت الساعة الحادية عشرة عدنا الى اقليم قنصدينا واسترحنا قليلاً . ونحو الساعة الخامسة مساء خفت حرارة الشمس فخرجنا ننزه في شوارع المدينة وحياتها . وكانت بغداد حينذاك لا تزال على الشكل العربي الصحيح الخالي من كل شيء جديد ومن كل رائحة غربية ، فهي معجبة بشكلها معجبة باهلها وملازمهم العربية البحتة ونسق الممشية فيها فهو عربي خالص لم يدخل عليه التزيج على الاطلاق ومن درس حال هذه المدينة يفهم من هم العرب وماذا كانوا ايان محرم .

كانت بغداد يوم رحلتنا هذه مركز احدى الولايات العثمانية المعروفة باسمها وقاعدة الفيلق المايوتي السادس . وهي تقم على ضفة دجلة الشمالية حيث يبلغ عرشه ٢٧٥ يرداً ومجرأ عميق جداً يصل بين الضفتين جسران مؤلفة من مراكب خشبية

عدد سكانها ٢٠٠ الف نسمة اكثرهم من المسلمين النيين والشييعين وغيرهم . ولا يستهان لجماعة اليهود الذين كانوا فيها اذ لم يكن عددهم يقل عن الخمسين الفا ويسكنون حارة تعرف بحارة اليهود . اما المسيحيون فكانوا الاقلية بين الاهالي واكثرهم



من الكلدان
وكان الآوريين
يملكون نحواً من
مائة منزل
وكانت بغداد
سوقاً للمحصولات
العربية والعجمية
فكانت تصدر الى
الخارج الصف
والحبوب والبص

جامع الشيخ عبد القادر في بغداد
ناهيك بالعدد العظيم من اجناس الخيل التي كانت تباع فيها الى الهند وشلها الحمار لا يرض
الذي يسمونه « فاسكاه »

وقد بنيت بغداد القديمة بالطوب المقشوش عليه اسم يختصر ولا يزال شيء من هذا
الطوب الى يومنا

اما المدينة الحالية بغداد او الزوراء او مدينة المنصور سنة ٧٦٠ مسيحية الذي تولى الخلافة
واحد وهي المدينة التي بناها ابو جعفر المنصور سنة ٧٦٠ مسيحية الذي تولى الخلافة
بعد الفتح اول الخلفاء العباسيين وكانت خلافته في سنة ٧٥٤ م حتى سنة ٧٢٥

وان كل من يتصفح التاريخ يعرف ما هي بغداد وما كانت عليه من العظمة والمنعة
ايام الخلفاء العباسيين اخصهم هارون الرشيد وابنه المأمون الذين ابقت بغداد في عهدهما
اعلى منزلة في الادب والعلم والحضارة والغنى حتى كانت بغداد ولا جدال ام عاصمة من
عواصم الملوكة واجل قدراً من امهات المدن في ذلك الزمان

اما الخلفاء الآخرون فانهم نقلوا عاصمتهم الى سامرا وكانت نهاية مملكة الخلفاء
العباسيين في بغداد سنة ١٢٥٨

وفي القرنين السادس عشر والسابع عشر كانت تتراوح الاحكام في بغداد بين
العجم والترك واصبحت اخيراً تحت حوزة الترك الى آخر الحرب الكونية ، وهي الآن
عاصمة مملكة العراق نليكها جلالة غازي بن فيصل بن الحسين ملك الحجاز . واعظم ما

كان في بغداد في ابان مجدها ، جامع المرجان وخان الاورطان وباب الطلاس وبوابة تاليسمان وعلى هذه البوابة صور لأسود كثيرة وقد نقش نقشاً بديعاً بصورة سيده ماسكة بلساني حيتين

ومن اشهر بناياتها مأذنة سوق الغزل . هي اعلى بناية فيها وفي بغداد جوامع عديدة مدهونة بالوان مختلفة ومآذن بذات الالوان



قبر الست زبيدة زوجة حارون الرشيد في بغداد

وقاعة بغداد واقعة شمالي المدينة وهي محاطة بسور عال جداً ، وجنوبي القاعة على دجلة سراي الحكومة

شوارعها واسواقها مغطاة ومسقوفة وتنسيقها افضل من اسواق حلب والشام ، منازلها مبنية بالطوب المشوي ، وامام كل منزل من منازلها سطح يرقد عليه اصحاب المنزل في فصل الصيف والجدران باحدها مطلية بالكلس في خارجها وتوافد المنازل تفتح درفاتها الى الداخل

وفي عهد مدحت باشا شيّدوا في بغداد بيوتاً عديدة على الطراز الاوربي ، وفي حي المعظم في شمالي المدينة الجامع العظيم جامع الخنفة وقد بني حديثاً وتعلوه قبة ومآذنة بالوان متنوعة وفي الجاسم هذا قبر ابي حنيفة الذي مات سنة ٧٦٧ ، ويتصل المعظم بالكاظمين عن يمين دجلة بمبر من المراكب ، وفي الكاظمين جامع الشيعيين الكبير

وفيه قبر الامام موسى العظيم وقبر ولده الاكبر ، وقد اصلحوا وحسنوا بناء هذا الجامع في القرن التاسع عشر وله مأذنة عظيمة جميلة الشكل (وقد تبرع الايرانيون بمسارين الاصلاح الطائفة)

وبين الكاظمين والمهامي يسير الترامواي ، وعند مدخل المدينة الغربي جامع الشيخ معروف الكركي وقبر زبيدة امرأة هارون الرشيد

من ٢٥ الى ٢٨ ايار

قضينا هذه الايام الاربعة نتفقد الآثار التي ذكرناها سابقاً فصدفنا في احد الجوامع شيخ جليل القدر محترم فحياتنا ملأ وجاء بنا الى قاعة جميلة بقرب ذلك الجامع وامرانا بالجوس فبالقوة ، ثم سألناه السائح اذا كان بإمكانه ان يشرح لنا شيئاً من تاريخ العرب وجزيرة العرب فاجاب يمكن ان اشرح لكم اشياء كثيرة عن ذلك ثم قال :

شبه جزيرة العرب

بلاد واقعة في الجنوب الغربي من آسية مجدها من الشمال العراق ، وبرة الشام وطور سيناء ومن الغرب البحر الاحمر ، ومن الجنوب البحر الهندي ومن الشرق خليج عمان ، والخليج الفارسي ، وعدد سكانها يتراوح بين عشرة ملايين واثني عشر مليوناً وتقسّم هذه البلاد الى خمسة اقسام وهي : نجد ومدینتها الرياض ، واليهامه ومن مدنها اليامه وهجر ، والحجاز وفيها مكة والكعبة يحج اليها الناس من زمن ابراهيم الخليل ، والمدينة دار هجرة صاحب الشريعة الاسلامية ، ومن مدنها ايضاً جده والطائف ثم تهامة وقد انفصلت باليمن ، واخيراً اليمن او القسم الجنوبي من الجزيرة ، ومن مدنها صنعاء وأرب وعدن والقطف

العرب

العرب ثلاث طبقات : الطبقة الاولى البائدة او العاربة ، اتي منهم عاد الى اليمن من جنوب العراق عن طريق الاحساء وعمان وامتد الى تهامة والحجاز ، وجاء ثمود وعمليق عن طريق برة الشام الى الحجر ، فاستقر ثمود هناك ، وتجاوز عمليق الى برة طور سيناء ، وثبت فرعه فيها الى ان كثرت واشتد فقزا مصر وكانت له فيها دولة الرعاة ،

ولقد باد هؤلاء واولئك واختلطت بقاياهم بالقحطاني فسموا لذلك بالعرب البائدة والطبقة الثانية العرب المستعربة ، وسموا بذلك لتزولهم بالبداية مع العرب العاربة ، وهم ابناء قحطان ، ونجد اتوا الى اليمن ، وكانت لهم فيها دول اعظمها الجزيرة التي امتدت في الجزيرة حتى الشام والعراق ، وبعد سيل العرم (وهو السيل الذي اجتاحت سد مأرب وكان هذا السد مبنيا بين جبلين غزن المياه وري الاراضي) اتى فريق منهم الى الشام وشيدوا فيها الدولة الغسانية ، واجتاز فريق آخر الى العراق فكان منهم هناك المتأذرة ملوك الحيرة .

والطبقة الثالثة العرب المستعربة ، وهم ابناء اسمعيل بن ابراهيم الخليل من « هاجر » المصرية ، وكانت لغة اسمعيل المبرانية ، ولما صرف ابراهيم اسمعيل عن وجه اسحق ابنه من « ساره » ذهبت به أمه هاجر الى بركة طور سيناء ، وسكن اسمعيل في منازل عمليق ، وتعرب هناك ابناءؤه فسموا المستعربة . وكانت منهم قريش ، وهي القبيلة التي جمعها زعيمها « قصي » من نسل اوب الى البيت الحرام . ومنها النبي العربي محمد ابن عبدالله ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي .

مدينة العرب

كانت العرب في اول امرها على دين ابراهيم واسماعيل ، حتى قدم عمر بن لحي بصنم يقال له هبل ، وهو من اعظم اصنام قريش . وكان في الكعبة على يمينها حجر اسود ، وما زال هذا الحجر معظمًا في الجاهلية والاسلام .

وكان للعرب اصنام نصبوها على اسم السيارات من الكواكب . ومن معبوداتهم : المناة ، وكانت صخرة ، تراق عليها دماء الدبايح ، واللات ، وكانت صنمًا للشمس ، والقرى ، وكانت شجرة يعظمها قريش وبنو كنانة ، ومن ادیانهم : المجوسية والصابئة نصبوا اصنام الذهب للشمس ، واصنام الفضة للقمر ، وقسموا المادون والاقاليم للكواكب واليهودية في حمير وكنانة وبنو الحارث بن كعب وكندة . اما النصرانية فقد انتشرت في ربيعة وقضاة وتوخ وتغلب وبعض طي ودان بها ملوك غسان وكثيرون من ملوك اليمن والحيرة . ثم جاء الاسلام ، وعم جزيرة العرب في زمن يسير وقضى على الوثنية اما علم العرب الذي كانوا يتفخرون به فعمل لسانهم واحكام لغتهم ونظم الاشعار

وتأليف الخطب . وكانوا موسومين بين الامم بالبيان في الكلام والفصاحة في المنطق والزيادة في اللسان . وكان لهم مع هذا معرفة بأوقات مطالع النجوم ومغاربها . وكان الشعر ديوان خاصة العرب ومنتهى حكمتها والمقيد لايامها . وكانوا كل حول يتقاضون الى سوق عكاظ يتناشدون ويتفخرون . ولقد بلغ من كلفهم بالشعر انهم عمدوا الى سبع قصائد من الشعر القديم وكتبوها بلاء الذهب ، ففعل لها مذهب او معلقات لانيها علقوا باستار الكعبة . اما الكتابة فاخذوها عن السريانية ، وكان العارفون بها قليبين ، ثم قام الاسلام ، وسار العرب في الارض فاتحين ، ففعلوا الى العربية صفوة العلوم والآداب فازهرت مدنياتهم ، هترقت حضارتهم ، حتى اقتبست اوروبا عنهم الشيء الكثير .

وكان العرب يحسنون حمل السلاح كما يحسنون ركوب الخيل ، ومن اسلحتهم الرماح والسهام والسيوف والقمص والدروع ، ويرعوا في صقل هذه الاسلحة وسموها باسماء المدن التي امتازت بصنعها كالمشرقية والمندية والخطية الخ ، وقد طامسا فآخروا باقتنائها وتفنوا بها في اسفارهم .

وقد اشتهر العرب بالبروة والنخوة واكرام الضيف واعزاز الجسار والاختذ بالثار ، وكان منهم عرب البادية وهم قبائل رحالة تعيش في خيام الوبر والصوف ، وتضرب الاراضي الكثيرة الماء والمرعى والحضر منهم ساكنو المدن ، هذا ما قاله ابني الفرج وانتفى الشيخ من حديثه فشكرناه وودعناه عائدين الى الخيام

٢٩ ايار

غادرتنا بغداد عند الساعة الثامنة صباحًا فانتهينا عند الظهر الى محل خايل على شاطئ الفرات فتناولنا الطعام واسترحنا قليلاً ثم استأنفنا السفر فكنّا في كربلا نحو الساعة السادسة مساء

٣٠ ايار

صرنا نهارنا تنفقد المدينة وآثارها وكربلا مدينة مأهولة يضمسين الف من الناس وفيها جامع سيدنا الحسين الذي قتل سنة ٦٨٠ في موقعة بينه وبين اعداء والده علي ، وهناك قبره

يزيد بن معاوية ٦٨٠ - ٦٨٣ مسيحية يبيع يزيد بالخلافة وكان غير اهل

للخلافة ، فنازعه اياها كثيرون ، وبأبغ اهل المدينة ومكة عبدالله بن الزبير ، وإراد اهل العراق مبايعة الحسين بن علي ، فقام الشقاق والاضطراب بين المسلمين وتمكن بعض دعاة يزيد من القبض على الحسين فاجتزوا رأسه في كربلاء يوم عاشوراء ، وبثوا به الى يزيد سنة (٦١ هجرية) على ان القتال ظل سائداً بين دعاة عبدالله بن الزبير ودعاة يزيد الى ان توفي يزيد ٦٨٣ مسيحية وكانت خلافته ثلاث سنوات وتسعة اشهر وفي يوم تذكارت مقتل الحسين (في العاشر من شهر محرم) يضرب الدراويش رؤوسهم بالسكاكين ويجمع في كربلاء في ذلك اليوم بين مائة وخمسين ومائتي الف نسمة . ويحمل الالاف منهم بقايا اقاربهم ويدفنوها في تلك الاراضي المقدسة حيث دفن سيدنا الحسين

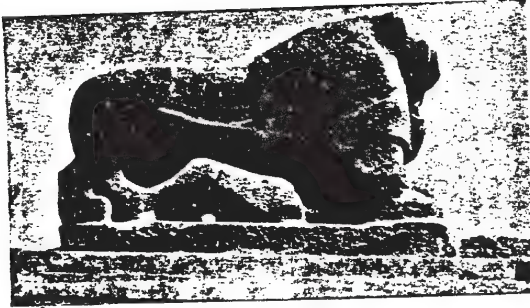
٣١ ايار

تركنا كربلاء باكراً وتناولنا الغذاء في نقطة ظليلة واسترحنا قليلاً ثم استأنفنا السير قبلنا الى بابل عبد الساعة السابعة مساء . فتصننا الخيام على مقربة من الانبار

١ حزيران

صرفنا نهارنا ننقذ بابل وأنارها . . وبابل مدينة عظيمة قديمة العهد . وفي خلال اجيال ثلاثة امتدت سلطتها الى آخر حدود العجم فكان لها المركز الاول في اسية بعدد سكانها وثروتها وجمالها ونقوش بناياتها وهندستها . وقد تكونت اجمل من قبيس المصرية (لقصر)

موقعها على ضفتي نهر الفرات على ان القسم الامم منها على الضفة الشرقية ، وكانت اتساعاً نحواً من خمسة وخمسين ميلاً وهي مساحة تضاهي مساحة باريس ولندن وكانت محاطة بسور علوه عشرون متراً بسكاكة خمسة امتار . وقد غمر الفرات قسماً كبيراً من المدينة ولم يبق من سورها سوى جزء صغير . وقد اندثرت ناحيه المدينة الشمالية وفي اطراف المدينة مواقع عديدة منها قرية قورش . هو القصر الذي ابتدأ الالامانيون فيه حفر بائتهم وكان قاعدة لاعمالهم ويعلو القصر عن الفرات خمسين قدماً وإلى الجهة الجنوبية قصر الملك نوبك نصر وفي قسمه السفلي غرف كثيرة اجملها الغرفة العظيمة التي تدعى « منه شال » اي غرفة العرش وطولها مائة وسبعون قدماً



اسد بابل

بعرض ستين . وقد عثروا في شرقي هرمين القصرين على مكات الطواف او الاحتفال بالزيارح الخاص بالاله مردوخ . والمكان هذا مغطى بالكتابات النافرة المختلفة الالوان : ببلاط صيني لامع . ويشاهد على الحجارة رسوم للاسد والثور والتنين ورسوم قوس دعوه بقوس النصر بعد لاله آشور . وهناك هيكل « اماك » وفي وسط قمة عمران بن علي الى الجهة الجنوبية من القصر اعظم معبد عند البابليين وهو مرجعهم الديني وهناك هيكل اساجيلا : فيه الهرم المدرج الذي بناه الملك « اتمان تاكي » ويعرف هذا الهرم « برج بابل » ومساحة صحته تبلغ ٣٣٠ قدماً مربعاً . والهرم مبني بسدجرات هائلة في كل منها من النبات والازهار اشكال تختلف عن الاخرى . وكان اليونانيون الذين عبيدوا الاله ساميراميس يلقبون هذا الهرم باللسانين الملققة وإلى جهة البرج الشرقية قصر ثالث شديد نوبك كنصر وكان الالامانيون لم يصلوا اليه بعد على ان مركزه كان ظاهراً للعيان . وجميع ما ذكرناه آنفاً قائم في داخل سور المدينة . وما يعرف عن بابل انها تقدم مدينة قطنها اقدم شعب في تلك البلاد وهو الشعب السومري او الاكادي . ولا يزال هذا الشعب محبوباً رغم انه كان شعباً عظيماً شيد القصور الشاهقة والمآبد العظيمة والحصون المنيعة واقام التماثيل الضخمة وتتش على الصخور العالمة نقشاً بديكاً لا يائله نقش بجباله ومختلف اشكاله



بوابة اششار في بابل

واشهر الملوك الاقدمين في شمالي بابل : سرجوب الاول سنة ٢٨٠٠ قبل المسيح ثم تارام سين الذي جاء الى سورية والبلاد العربية سنة ٢٢٠٠ قبل المسيح . ثم حمورابي البابلي الذي ضم الولايات الصغيرة والفراتية مملكة واحدة ذات مقاطعات متحدة تحت اشراف بابل ، وقد سن حمورابي شرائع مدنية شبيهة بالوصايا العشر المذكورة في التوراة ، وحمورابي هذا حكم ايضاً سورية حتى البحر المتوسط وقسماً كبيراً من البلاد الواقعة شمالي دجله ، وما بين سنة ١٩٥٠ و ١٦٥٠ قبل المسيح ظهر الحيثيون ودخلوا تلك الاراضي من الشمال الغربي وابتعدوا ملوك بابل عن تلك البقعة فارجعهم الى حدودهم الاصليه

وفي اواخر القرن الخامس عشر قبل المسيح امتدت لغة بابل ومدنيها الى كل آسيا الغربية ولى القطر المصري ، وفي القرن الثاني عشر قبل المسيح تم نبو كد نصر اجزاء المملكة واستولى على المقاطعات الواقعة بين البحرين الجنوبي والغربي ، وبين سنة ١١٠٠ وسنة ١٠٠٠ قبل المسيح عاد السكندانيون ودخلوا البلاد من جهة البلاد العربية وبسطوا سلطانهم على سائر البلدان البابلية والمقاطعات التي ضمها نبو كد نصر وعلى جميع الاراضي الواقعة ما بين النهرين ، وفي عهد اشور بارسال الثالث سنة ٨٨٥ - ٨٦٠ قبل المسيح كانت بلاد آشور صاحبة الحول والطول في بلاد آسية فتغلب هذا الملك على سائر ملوك ما بين

النهرين واستعان برجال سوريين وفينيقين لادارة مملكته ، وخلفه شلمنصر الثاني ٨٦٠ - ٨٢٥ قبل المسيح ، فكسر الاراميين ومملكهم في دمشق وبسط سلطانه على ما ابعد من بابل

وفي عهد سنحاريب ٧٠٥ - ٦٨١ قبل المسيح بلغت آشور اوج مجدها وكانت بابل في تلك الاثناء ضيفة القوى العسكرية فصب سنحاريب سخطه عايباً فاخذ يهدم شوارعها وبنائاتها العظيمة وهما كلها وحول عليها نهر الفرات لتغمر مياهه ما نجا من شره وهكذا جعل القوة والسيطرة لنيوى

وجاء بعد سنحاريب ابنه اسارحدون ٦٨٠ - ٦٦٨ قبل المسيح فاضطر الى تجديد بناء بابل لانه قسم مملكته الى قسمين واعطى كلا من ولديه قسماً فصارت مملكة آشور لاشور بانيبال ومملكة بابل لشمشوم او كين

ثم ما طال الامر بين هذين الاخوين حتى اختلفا وتنازعا وتحاربا سنة ٦٤٨ قبل المسيح وقتل اذ ذاك اشور بانيبال فاستعادت بابل عزها ومجدها ومؤسس الملكة البابلية الجديدة تابوبولاسر الكلداني ٦٢٠ - ٦٠٥ قبل المسيح وتوسم سلطان ولده نبو كد نصر الثاني ٦٠٥ - ٥٦٢ قبل المسيح فامتدت سيطرته على كل بلاد ما بين النهرين وسورية

ثم ما لبث ان ظهرت قوة جديدة من جهة العجم فاستولت على بابل واسيه الصغرى ثم دخل كبيسوس البلاد لعمرية ثم دارا ثم المكديونيون بقيادة الاسكندر ، ثم الرومان ونبو ساسان - في سنة ٦٣٦ بعد المسيح وغنمها هاج العرب الساسانيون وحدثت موقعة اديسيا في جنوبي بابل والتحم التريقان في نهاوند

ثم جاءت ايام هارون الرشيد والمأمون وعقهم الا تراك الذين ظلوا هنالك الى نهاية الحرب الكونية

٢ حزيران

تركنا بابل الساعة الرابعة صباحاً عائدين الى بغداد قبلتها عدد الساعة الثامنة

ماء .

الفصل السابع

من بغداد الى الموصل

٤ ١٩ حزيران سنة ١٩١٤

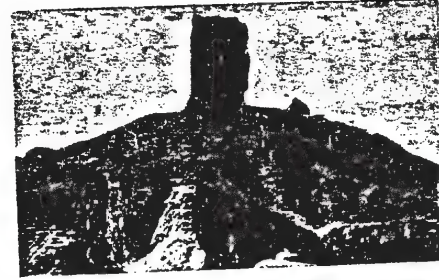
خان بني سعد - بعقوبة - اجتياز نهر دبالا - الجديدة - نهر الخالص -
جسر الحجر - نهر تارين تشاي - قره ليه - كيغري - طولك طازة
كر كوك - بابا غرغور - الطين خويرو - اربلا حيث دفن
كنوزه دارا قبل الموقعة بينه وبين الاسكندر - نهر الزاب
حيث غرق الالوف من الفرس منهزمين امام المكدونيين
هجوم اللصوص علينا ليلاً - الوصول الى الموصل

٤ حزيران

خرجنا من بغداد الساعة الثامنة صباحاً، حوالي الساعة الواحدة بعد الظهر كنا في
خان بني سعد حيث نصبت الخيام، بنا ليلتنا، وخاف بني سعد هذا محطة للحجاج
القادمين الى كربلا لزيارة سيدنا حسين

٥ حزيران

سافرنا من خان بني سعد الساعة الثانية صباحاً وعند الساعة الثانية عشرة كنا في
نهر دبالا وهناك تناولنا طعام الغداء ثم استأنفنا سير فانتهينا الى بعقوبة الساعة الثالثة
مساءً، فنصبنا الخيام في نقطة جميلة واقفة على شفة النهر وهناك بقنا ليلتنا، وبالعقوبة
نقطة الاتصال بين بلاد العراق وخابقين الواقعة على حدود العجم



برج بابل

٣ حزيران

سافرنا نهائياً في بغداد حيث زونا الفندل الرومي وسراي الحكومة واستبدلنا
الدرك وجهزنا بعض الاوراق الرسمية التي رأيناها مناسبة لخطتنا الجديدة

شركة الخايك

للسياحة والاصطياف

تحتجز عجلات المسافرين في جميع البواخر التي تخترق ما بين الشرق والغرب وتعرف
تذاكرها من كل الدرجات بنفس الاسعار التي تباع في شركات هذه البواخر
وتصرف تذاكر من بيروت الى جهات اميركا وافريقيا رأساً وذلك بواسطة اتفاقها
مع شركات بحرية عظيمة

الخايكة مع مؤسس الشركة ومديرها في بيروت اسكندر يوسف الخايك
شارع المتقدين نمرة ٤١ - حي الصيفي
تلفون ٢٩ - ٥٢

٦- حزيران

تركنا بعقوبة باكراً وعبرنا نهر دبالا على الدواب الساجدة ثم اجتزنا جداول وسواقي عديدة ، وحوالي الساعة الثامنة مساءً كنا في الحديدة وهي قرية صغيرة يقطن أهلها يوتكا من الطوب وهناك صرفنا ليلتنا

٧- حزيران

غادرنا الحديدة صباحاً وسلكنا طريقاً ممتداً بين نهر دبالا ونهر الخالص ، ثم أدى بنا المسير إلى جسر فوق الخالص ، عبرناه واسترحنا قرب النهر وتغدينا ثم استأنفنا المسير فأنتهينا عند الماء إلى وادي عباس حيث بقنا ليلتنا يزعمنا الحر الشديد ونحاربنا جيوش البرغش والبغوض

٨- حزيران

سافرنا باكراً وعند الظهر وصلنا إلى سلسلة من الجبال تعرف بجبال حمير ، فترجلنا نزاح وتغدي ، ثم عبرنا الجسر الحجري الطبيعي الممتد فوق نهر ممرين تشاي ووجهتنا قوته فوصلنا إليها عند الغروب

٩- حزيران

توجهنا إلى كيفري فوصلنا إليها الساعة الثانية مساءً وقضينا هنالك ليلتنا

١٠- حزيران

غادرنا كيفري الساعة الخامسة صباحاً فكنا في طوزخرمانو الساعة الواحدة بعد الظهر وهناك صرفنا بقية نهارنا واليلة التالية

١١- حزيران

سافرنا الساعة الخامسة صباحاً فأنتهينا عند الظهر إلى طاقو حيث بقنا ليلتنا

١٢- حزيران

تركنا طاقو حوالي الساعة الخامسة صباحاً فوصلنا إلى طوك طازو الساعة الثامنة مساءً

١٣- حزيران

خرجنا من طوك طازو الساعة الخامسة صباحاً وكان مسيرنا على ضفة نهر الكاه وعند الظهر كنا في كركوك فنصبنا خيامنا خارجاً عن المدينة وبقنا ليلتنا هناك وكركوك حين مررتنا بها كانت أهلة بخمة عشر ألف نسمة وكان ثلث سكانها من المسيحيين الكلدان ولؤلؤة ادبارهم وكنا نسهم . وفي كركوك بلع كثير ومثله الليمون من يرتقال وحامض وكباد ويوسف افندي

١٤- حزيران

غادرنا كركوك وقد سلكنا طريقاً غير السلطاني فما طال بنا الامر حتى انتهينا إلى باباغرغور وهو محل غني بينابيع البترول ، وهناك من عهد الايرانيين هيكلاً مكرس للملكة اتاهيا فذهبننا إليه ووقفنا على آثاره

ثم استأنفنا السير على الطريق السلطاني ما بين عدد عظيم من الينابيع الكبيرة وتناولنا غداءنا في مكان ظليل عثرنا عليه في ذاك الطريق ، وبعد ان تناولنا الاكل تابعننا السير ووجهتنا الطين خويرو فأنتهينا إلى هناك حوالي الساعة السابعة مساءً فنصبنا الخيام ونمنا باكراً إذ كان التعب والحر قد أخذنا منا كل مأخذ

والطين خويرو بلد صغير أهل بالتركمان دون سواهم وفيه خانات عديدة ولكنها صغيرة حقيرة وقد بنيت في وسط نهر الزاب وبصل إليها المارة بواسطة جسر حجري يشبه الجسور القديمة التي كانوا يبنونها في لبنان

١٥- حزيران

نهبنا حوالي الساعة الرابعة صباحاً نريد السفر إلى اربيل فلبناها عند الساعة الرابعة مساءً وكان التعب قد اعيانا فنصبنا الخيام في نقطة ملائمة وتناولنا طعاماً خفيفاً ونمنا باكراً

١٦- حزيران

صرفنا نهارنا كله نتفقد الاماكن القديمة والاثار المكتشفة وهي قليلة لان أكثرية آثار اربيل ما زالت مدفونة في قلب الارض . وكانت اربيل تدعى اربايل وسماها اليونان اربلا . وكانت أكبر البلدان الاشورية فكان يقطنها الملايين من الناس

اما منازل القرية الحالية فاكثرها قائم على التل او القلعة التي كانت تحيط بالمدينة والتي فيها دفن دارا كنوزه قبل الموقعة التي وقعت بينه وبين الاسكندر

١٧ حزيران

غادرنا اربيل عند الساعة الثانية صباحاً ونحو الساعة الواحدة بعد الظهر كنا امام اسكي كلك على ضفة الزاب الاعلى حيث غرق الوف من الفرس المنهزمين من وجهه الاسكندر بعد موقعة اربيل التي ذكرناها آنفاً فصبنا الخيام واكلنا ثم استرحنا وصرفنا بقية نهارنا ننزه على الضفة وفي الليل درسنا الخطة الواجب اتخاذها لعبور الزاب فقد كانت مياهه في ايات ارتفاعها وحينذاك يبلغ عرض مجراه ميلاً فاكثروا الزورق المعد للنقل صغير جداً -

١٨ حزيران

بمهمنا من رقادنا با كرواً نروم عبور النهر وكان الزورق المعد للعبور صغيراً لا يتحمل أكثر من دابة فاستغرق اجتياز الزاب نحواً من اربع ساعات، ثم سرنا ما يناهز ساعات خمس فانتهينا الى نقطة يسمونها « غوغاملا » حيث جرت الموقعة الاخيرة بين الاسكندر والفرس فقصى الاسكندر على اعدائه متصراً على ملكهم دارا وكان ذلك سنة ٣٣١ قبل المسيح ومن غوغاملا ذهبنا المسير الى قايون بنه الغنية بأثارها القديمة - ثم سرنا الى قرية أهله بالناس تدعى « كارافينيس » وهناك نصبنا الخيام واسترحنا

وعند منتصف الليل اذ كان جميع رجالنا راقدين دخل علي الحارس وابقظني قائلاً : لقد اقبل علينا ثلاثة من الغريباء وهم متقلدون بأسلحتهم ، فنهضت جيلاً وقلت للحارس ان يوقظ رجال الدرك ففعل ، وعندما ذهب لمقابلة اولئك الغريباء وسألهم ماذا تفعلون هنا بين خيامنا ؟ ألا تملكون ان السخول الى هذا المكان متنوع قبل الاستئذان ؟ اجاب احدهم قائلاً : لقد احوجتنا الضائقة الى الجيء بغية الحصول على مساعدتكم .

قلت : أي مثل هذه الساعة تأتون طلباً للمساعدة ؟ قال : نعم ، اذ لا يمكننا ان نطلب المساعدة في وقت أنسب حتى اذا رفضوا ان يساعدونا اجبرناهم على ذلك

بالقوة ، وما كاد ينتجز كلمته هذه حتى كان رجال الدرك بيننا فلنفت الجساويز الى اولئك القوم قائلاً : سلحوا سلاحكم والا اطلقنا عليكم انذاراً : ما هو غير القليل حتى كان رجالنا باجمعهم يحيطون بأولئك اللصوص الذين جبنوا امام القوة فانزعنا منهم سلاحهم وكبلناهم حتى الصباح

١٩ حزيران

سافرنا صباحاً مصطحبين اللصوص وحين وصلنا الى الموصل سلمهم رجال الدرك الى اولياء الامر ، ونحن ذهبنا نورا الى در القنصلية الروسية فقابلنا السيد نصر وهو ترجمان القنصلية الروسية الذي ادى لنا الخدمات الجلييلة بان زيارتنا الماضية

٢٠ حزيران

صرفنا نهارنا برفقة السيد نصر فتجولنا معاً في المدينة يشتري لوازمنا ونهجز عدتنا من مأكل ومشرب استعداداً لرحلتنا من الموصل الى ديار بكر وحلب ، وطلب السيد نصر من الحكومة ان تبيع رجال الدرك الذين كانوا معنا وتمطينا رجالاً غيرهم فلبت الحكومة الطلب ، وعند المساء قدم لنا السيد نصر لفيماً من معارفه ، فطلبنا منهم ان يفتناوا طعام العشاء على ما نأخذنا فنهم من لبى الدعوة ومنهم من خرج معتذراً ، وقد صرفنا المسهرة نقص على سامعهم اخبار رحلتنا من اولها الى تاريخ ذاك اليوم الذي جمعنا معاً

اونيل بولونيا

ظهور الشوير

يقوم في وسط حرش من الصنوبر هوائه ناشف مجهز بجميع وسائل الراحة مطبخه يتفن محاذراً بالناظر الطبيعية الجميلة ، مياه جارية ، حمامات خصوصية ومن حرب عرف

الفصل الثامن

من الموصل الى بيروت

٢١ حزيران نهاية ٢٠ تموز

الموصل - تل عدس - شميل - نهر الميزر وعجور - طاقيان والبكرات
الولدان اليتيمان - الجزيرة واللصوص فيها والضيافة بالمطبخانة -
تل وبل ومقابلة محمد شيوخ - لزاور - نصيين وسرقة
الجواد فيها - ماردين - قرى ارمينيا التي جرت فيها المذابح
وارن شهر - محمد خان - اورفا - معرفتنا بالحرب
الكونية - تغيير خطة السفر - حلب وجوارها
حمص وزيارة الشيخ محمد اللحيم - بعلبك
ولحة من تاريخها - الوصول لبيروت

٢١ حزيران

نهضنا باكراً تأهب للغر وحوالي الساعة السابعة صباحاً جاء الترجمات بودعنا
فشرنا القهوة سوية وشكرنا له غيرته وخرجنا من المرحل حوالي الساعة الثامنة فمرنا
جبله وصرنا وجهتنا « تل عدس » وعند الظهر كنا بجوار بئر ماء صالح للشرب فترجلنا
دبتنا ولنا طعاماً ثم استأنفنا المسير فبلغنا تل عدس عند الساعة الثالثة مساءً ونصبنا الخيام
وسط ساحة على مقربة من القرية
وتل عدس ملك لاهل اغنياء الموصل وجميع سكانها مسلمون ، وما كدنا ننصب

الخيام حتى التف حولنا جمهور المتفرجين يشاهدون شيئاً جديداً ما شاهدوه من قبل ،
ووقعت اعيننا على غلام في ريعه الخامس عشر كان في شكله وميئته وملامح وجهه
يختلف عن سائر اولئك المتفرجين وكان نور الذكاء يشع في عينيه . فالتفت الي السائح
وقال : ناد هذا الغلام ففعلت ، فدنا منا بكل شجاعة وحيانا بكل لطف ثم قال ،
ماذا تأمرون ؟

فقال لي السائح : سله اذا كان ولد وترى في هذه البقعة . ففعلت

فاجابني الغلام : اني ولدت هنا في هذه القرية . ومات ابي وامي في عام واحد وكنت
آنذاك ابن ثلاث سنوات . ولم يكن لي اخ او اخت او عم او خال بهم بأمري فكنت
اعيش على حساب المحسنين والمتصدقين . وحين بلغت الخامسة اتفق ان احد اغنياء بغداد
مر ببل عدس فصر لي وسأل عن حالتي فاطلموه على حقيقة امري فاتفقوا اني ابغداد
حيث ادخاني المدرسة اقتبس انواع العلوم وما زلت الى الان اواصل التحصيل وقد
اتمت اليوم الى هنا اذور مسقط رأسي وبعد يومين او ثلاثة اعود الى مكرمي
قلت : وماذا يدرسون في مدرستك ؟ قال : العربية والانكليزية والرياضيات
والتاريخ . قلت : اذن تتكلم الانكليزية ؟ قال : اتكلمها واكتبها بدون غلط
فترجمت السائح ما دار بيني وبين الغلام من الحديث فسر جديداً وقال : اغنيك اذن
عن الترجمة واني اتضي بعض الوقت مع الغلام ريثما تعد ما نحتاج اليه في رحلتنا . وبنا
ليلتنا مراتحين لان الحر كان خفيف الرطابة

٢٢ حزيران

قنا الساعة الثانية بعد نصف الليل وكان ضوء القمر ينير سطح الارض فخرجنا من
تل عدس وبلغنا « شميل » الساعة السابعة صباحاً . واهل شميل يهود باجمهم وليس بينهم
غريب عن دينهم ويشبهون يهود صفد الكناج . والارض هناك ملكهم
الخاص . غير انهم يدوقون الامرين من لدن الاكراد مجاورينهم وقد قابلنا منهم اناساً
عديدين فوجدناهم يتذمرون من اعتداءات الاكراد الذين يتقاضونهم الضرائب في اسيه
وقت شاقوا فضلاً عن امتناعهم شرف النساء والبنات

٢٣ حزيران

تركنا سبيل الساعة الخامسة صباحاً فانتبهنا الى «زاخو» الساعة الثالثة مساءً فصبنا الخيام على مقربة من جدول ماء
وزاخو قرية صغيرة سكانها من المسلمين والكلدان واليهود الذين هم من سلالة
اليهود البابليين

والكلدان هناك اقلية لا يتجاوزون عشرين عائلة وجميعهم كاثوليك وهم من
الطبقة الفقيرة ولهم كنيسة صغيرة ومطارات بقم في دار لا بأس بها ، فذهبتا لزيارة
المطران الذي ترحب بنا كثيراً ودعانا للتزول في داره فقلنا له اننا نصبتا خيامنا على مقربة
من جدول الماء الذي شاهدناه عند مدخل القرية ، فاحل علينا بالتزول عنده فلم يصحبنا الا
الطاعة واقتلعتا الخيام بعد نصبها واشغلنا خمس غرف في الدار الامتعية ، ولم يكن
المطران غنياً لانه يعيش من مال رعية فقيرة على ان كثرة عدها تفي بمحاجاته من
كسوة وقوت ، ودعونا سيادة المطران لتناول المشاء على مائدتنا فتلطف بتلبيتنا وقضى
معنا تلك السهرة بقص علينا اشياء كثيرة تتعلق باحوال الكلدان في تلك النواحي
ولعمري انها لاحوال تستوجب الشفقة

٢٤ حزيران

كان ذلك اليوم عيد مولد القديس يوحنا المعمدان فدعانا سيادة المطران لسباح
قدسه الصارخ ، وبعد القداس تناولنا القهوة وأكل الصباح معاً - ثم تبرع السائح
للمطران بياض لا يمتحان به ، فقبله المطران شاكراً وودعناه نروم السفر فوصلنا عند
الساعة العاشرة صباحاً الى نهر الميزر فوجدناه عريضاً خفيفاً وكان لا بد من عبوره وهو
السبيل الوحيد الى الاماكن التي كنا نقصدها

فسالنا عن كيفية اجتيازه فقبل لنا انه يوجد اناس متخصصون لذلك وهم رجال
محمد آغا المقيمون في قرية تدعى «درنج» على الشاطئ فبعثنا بهم وجاءنا بهم وكانوا
عشرة - فتوافقنا على الاجرة فتفرق اولئك الرجال بين الحملة وقادوها فوق المياه ساجدة
باحمالنا ونحن فوق خيلنا ونقلونا بما كانت معنا من متعة ودواب من الضفة الشرقية الى
الضفة الغربية - ثم استأنفنا المسير حتى انتهينا الى طاقيان فصبنا الخيام في وسطها

وطاقيات آتية يقوم من المسيحيين من الطائفة الكلدانية ويسمهم الاكراد
بحاروروم انواع الحيف والظلم فينبونهم ويسلبونهم ويتقاضونهم الضرائب كلها عن لهم
ذلك ويتعصبون نساءهم وبنايتهم ويملونهم بالميزاج الكلام معاملة العبيد الارقاء - واتفق
اننا التقينا كاهناً كلدانياً اثناء تجوالنا في القرية فدنا منا بكل لطف وحيانا مسلماً علينا
ورجاً منا ان نزوره في منزله وتناول عشاءنا عنده فاجبته اننا لا نتعشى خارجاً عن خيامنا
انما يسعدنا ان نقضي السهرة عنده وهكذا كان

فقص علينا الكاهن في تلك الاثناء حوادث عن الاكراد تقشع منها الابدان - وقد
وصانا بولدين اخوين لا اب لها ولا ام طالما منا اذا كان يسعدنا ان نصطحبها الى بلادنا
التربيعها واستخدمها فاجبته : اني اخذتهما الى لبنان وهناك اريهما الى ان يكبرا وعندئذ
اطلق لها الحرية - فاذا شئت احضرهما الينا غداً صباحاً قبل سفرنا

٢٥ حزيران

غادرتا طاقيان الساعة الخامسة صباحاً وقد اصططحبنا الاخوين اليتيمين وكانت
اكبرهما في ريعه العاشر والاخر في السابع ، وما كدنا نبتعد عن القرية حتى سمعنا
طلقات نارية متعددة فتوقفنا عن المسير ربنا نعرف السبب ، وما هو غير القليل حتى
اطل علينا بضعة فرسان بأسلحتهم الكاملة وأشاروا اليها يقولهم : فقوا ولا تخطوا خطوة
واحدة ، فقلنا : وماذا تريدون ؟ فقال زعيمهم ، بلغنا انكم اصططحبتم اثنين من الكفار
فقد هذا الامر استغنائاً بنا لانها من الذين يخدمون بيوتنا ويجرون ارضنا ويشغلون
املاكنا بايديهم وبناء عليه تريد ان تسلمونا الولدين والا فلومكم على نفوسكم

قلنا : اقمونا في القرية انما يتجان لا معيل لها ولا معين فاحبينا من باب الشفقة ان
نصطحبها الى بلادنا وتربيعها هناك الى ان يكبرا ويصير احراراً في امر معيشتها ، وبما
انكم في حاجة اليها خذوهما اذ ليس من داع الى الاعتقال من اجلها

وسلمناهم اليتيمين واستأنفنا المسير الى ان انتهينا الى شاطئ دجله من الجهة الشرقية
وهناك عبرنا الى ما بين النهرين وقملنا من بلاد الاكراد وسرنا توار الى بلد تدعى
«الجزيرة» وكانت الساعة الخامسة مساءً فنزلنا في بيت احد المسيحيين بجوار الدار
الاسقفية وبقنا تلك الليلة هناك وكان الحر شديداً لا يطاق

واثناء سهرتنا في غرفة صغيرة ذات شباك واحد رأيت في الخارج شاباً يترصدنا وقد بقي أكثر من ربع الساعة يتمشى على الطريق إلى جانب ذلك البيت قرأني امره والتفت إلى صاحب البيت وسأله ما إذا كان يعرفه . وما كاد يطل صاحب البيت حتى توارى الرجل عن الابصار ، فنحندها ذهبنا إلى شيخ المكاريين واعلمته بما كان وقلت له لا شك ان الرجل سارق فأنبه وافهم رفاقك ان يكونوا على حذر منه

ثم عدت إلى غرفة السهرة . وحوالي الساعة الثانية عشرة رقدنا جميعاً وكان الحرق يمتعي من اغماض جفني ، وعند الساعة الثانية صباحاً سمعنا ضجيجاً في الطابق الادنى فسانرت شمة ونزلت لأرى ما هنالك وتبعني رفيقي السائح ويدهه بندقيته ، وما كدنا نصل إلى مكان الضجيج حتى شاهدنا غريبين يحاولان السخول من النافذة ورجلانا بدفعونا إلى الورا ، ولما ابصرنا السائح يصوب اليهما بندقيته اضطرنا إلى التسليم فقبض عليهما رجلانا ومرت إلى اقرب نقطة عسكرية فاعبرت رجلهما بما كان واصطحبت منهم خمسة استاقوا ذبك الرجلين إلى الخنجر ، ثم عدنا إلى غرفنا ووجدنا

٢٦ حزيران

فنهضنا باكراً وتناولنا طعام الصباح وخرجنا نتفقد البلد لنرى ما فيه وفي انشاء تمولنا مرنا بسراي الحكومة وطلبنا دركيين يرافقانا في طريقتنا فقبل لنا انهم لا يستطيعون ان يلبونا قبل المساء فاضطرونا إلى البقاء في الجزيرة ذلك النهار والليل لذي يبعده

والجزيرة هذه هي جزيرة ابن عمرو وقد مر بها الاسكندر وعبر دجله قبل موقعة غوغاملا بأثني عشر يوماً . وكانت من اعظم القلع في عهد الرومانيين . اما اليوم فهي قرية وصغة فقيرة فيها قلعة صغيرة مبنية بالطوب الاسود .

وهناك مركز مصطفى باشا الكردي الذي فوضت اليه السلطة في عهد السلطان عبد الحميد . وعلى مسافة عشر دقائق من القرية قطراتان من قناطر جسر قديم بناه الرومانيون فوق دجله . زرنا القنطريتين والقلعة الصغيرة وبيت مصطفى باشا المذكور وعدنا عند الظهر إلى مقرنا لتفدي ونستريح .

وعند المساء ذهبنا إلى السراي لاجراء المعاملة القانونية بشأن الدركيين اللذين كانا عازمين على مرافقتنا ، وفور وصولنا إلى البيت الذي كنا نازلين فيه وجدنا مطران البلاد ينتظرنا هناك ، فسلمنا عليه وقدمنا له القهوة واخبرناه بمحادثة اللصين اللذين قبضنا عليهما في الليل الفائت ، فالح علينا سيادته بان نبيت في الدار الاسقفية في تلك الليلة موضحاً لنا انها عالية بعيدة عن اخطار اللصوص ومتسعة اتساعاً كافياً لايواننا برجالنا ودوابنا وكل امتعتنا ، فشكرنا له لطفه وكرم اخلاقه وقلنا له اننا نتشرف عنده بعد المساء . . فقال : اذا شئتم ان تأكلوا معنا علي مائدتنا كنا لكم شاكرين ، فالتفت إلى رفيقي السائح وترجمت له مقال سيادة المطران فقبل الدعوة مبتها

وعند الساعة السابعة مساء توجهنا إلى الدار الاسقفية فاستقبلنا عند مدخلها المطران وثلاثة من كهنته وكانوا كلهم من جماعة الكلدان الكاثوليك وذهبنا توالاً إلى قاعة الاستقبال وكانت نظيفة متقنة الاثاث ، وكان المطران وحاشيته يعيشون عيشة شبيهة بعيشة اللبنانيين فأكلنا على مائدته شوربا والخضرة والارز مع الكوسى والبندورة ، والفرايح المحمرة والزيتون الاسود والاحضر والجبن الطري والقريشة الحلوى والعسل المعصور ، والحبز عتدم ابيض لذيد الطعم

وبعد المساء عدنا إلى قاعة الاستقبال وسهرنا إلى الساعة الحادية عشرة ثم اخذونا إلى الغرف المعدة لنومنا فوجدناها على غاية ما يرام من النظافة

٢٧ حزيران

نهضنا باكراً جداً وتأهبنا للرحيل ريثما ينجز المطران . كهنته واجبايتهم الدينية ، وعند الساعة السابعة تناولنا سيادته تناول القهوة والأكل ، ثم ودعنا شاكرين ولم ينس السائح ان يتبرع لسيادته بمبلغ وافر من المال

وعند الساعة الثامنة خرجنا من الجزيرة وواصلنا المسير سبع ساعات فاكثرت فانهضنا إلى « تل وبيل » حيث نصبت الخيام تحت شجر الصفصاف على قمة جبل صغير قريب من ينبوع ماء لذيد بارد . وقد حسبنا اني جالس على ارض لبنانية خضرة طليقة الهواء وكان في ذلك المكان مراقب قبل لنا انه مخفر عسكري مستحدث . وتل وبيل قرية صغيرة سكانها من المسيحيين من الطائفة السريانية وهي كثيرة الدجاج وبقية الطيور

السابعة - واذا كنا جالسين في ظلال المصنّف اقبل علينا فارس من البدو - وما كان يصل اليها حتى حيانا باشا سائلاً : من القوم النازلون هنا ؟ وهل السيد اسكندر الحايك بينكم ؟ قلنا : نعم ومن اين تعرف اسمي يا هذا ومن كفك ان تأتي اليها ؟ اجاب : محظور علي ان اجيبك على ذلك - فاضطرب بالي من تكتمه وبادرت الي اخبار النقطة العسكرية بالامر فبعثت لحراستنا سبعة دركبين تحت قيادة جاويشهم وما حانت الساعة الثامنة مساء حتى سمعنا على مقربة منا وقع حوافر خيل فاستعدنا جميعاً للطوارئ . وبعد القليل اطل علينا صديقنا الشيخ محمد شيوخ وقد كان وعدنا حين ودعنا في الموصل انه يبذل جهده للالتقاء بنا والاجتماع ثانية وكان يصطحب عشرين من رجاله فرحبنا به وبقومه كل الترحيب وسررنا به سروراً فائق الوصف . وفور وصوله سألني : كيف حال الفرس ؟ فاحضرته حالاً وشرع الشيخ يقبله ويلطفه وتناولنا العشاء جميعاً وحرف الشيخ محمد وجماعته تلك الليلة في مضاربنا على انه لم يدعي ان يحض بجني الليل بطوله لانه احب ان اسرد له كل ما حدث لنا ذهاباً واياباً

٢٨ حزيران

تم كنا نزل وبل عند الساعة السابعة صباحاً وسرنا بصحبنا الشيخ محمد شيوخ وفرسانه فانتهينا الى « ديرونه » الساعة الواحدة بعد الظهر ، فنصبتنا انخيام في باحة قريبة من القرية الى جانب نبع ماء وعلى مقربة من النقطة العسكرية وبنينا تلك الليلة مرتاحين مسرورين ساعدنا على ذلك اعتدال الهواء وجودته في تلك البقعة ، وقد قضى بيننا تلك الليلة الشيخ محمد شيوخ وجماعته ودرونه قرية صغيرة سكانها من الاكراد وهي جيدة المياه والمناخ وفيها مخفر عسكري يحفظ المارة من اذى السكان

فنهضنا باكراً وشربنا القهوة جميعاً ثم تناولنا شيئاً من الاكل ، والحق علينا الشيخ محمد برفاقته الى القليلة وكانت مضاربها على مسافة ثمان ساعات من ديرونه فاعتدنا عن قبول دعوته بقصر وقتنا ودعنا انصرف وكنا قد شكرنا له تحمله شاق الطريق والسفر الطويل قياماً بوعده

وسافرنا من ديرونه الساعة السابعة صباحاً فوصلنا الى « لزازور » الساعة الثامنة مساءً فبنينا في مكان قريب من يتبع ماء غزير ومن حولنا اليبادر العديدة وكانت ملائ باصناف الحبوب كالحنطة والشعير والذرة والعدس والحبص الخ وكنا بعد وصولنا الى هناك ذهبنا لمقابلة شيخ القرية وطلبنا منه علفاً لدوابنا فرافقنا الى حيث كنا نصبتنا خيانتنا وقال : اتركوا الدواب على اليبادر قلت انها ملائ بالحنطة والعدس وقد تأكل البهائم هذه الحبوب تاركة الشعير . قال : للحنطة والشعير وبقية الحبوب ثمن واحد عندنا فلتأكل دوابكم ما يحلو لها عندها صرحنا الدواب على اليبادر حتى مطلع النهار الى . وطلبنا من شيخ القرية خروفاً وخبزاً وخضرة ولبنا وبيضاً فارسل اليها قسماً للمساء متدقيقاً قسماً آخر اصباح الغد ولزازور قرية صغيرة سكانها جميعاً من الاكراد وكلهم رعاة فلاحون يحرقون الارض ويشتغلونها وهي كثيرة المواشي والكلاب . وارضيا منتعة ومحببة . ومياها غزيرة تفي بحاجة الناس والاراضي باجمعها

٣٠ حزيران

اؤل ما قمنا به في صباح ذلك اليوم اتنا دعونا شيخ القرية ليتناول معنا القهوة والطعام وبعد ذلك طلبنا منه علماً بما قدمه لنا لنؤدي شنه فرفض بشاناً قبول فلس واحد قائلاً ، ليس ما اخذتموه بالشئ الذي يذكر ، فرحبنا منه ان يسمح لنا بان تقدم شيئاً للخدام الذي نقل تلك الاشياء على كتفيه فأبى قائلاً : لا يمكن ان تقدموا له شيئاً فهو يخدم في الدار وقد قام بواجباته باسر سيدة ، فشكرنا له تلك المواقف الكريمة وقدمت له صندوقين من السيكرات اللبنانية فقبلها بشاكراً وانصرف

ركبنا الساعة السابعة صباحاً فاصدين الى نصيبين فبلغناها عند الساعة الواحدة بعد الظهر ، فنصبتنا انخيام في باحة صغيرة على كنف طاحونة تدور على مياه جدول يدعى جامع

ونصيبين هي المذكورة في الاثار الاشورية بلقطة ثانبيننا وقد دعيت يوماً بانطاكية المكيدونية وكانت في عهد من المبود قاعدة المهاجرين من جماعة اليونان ، وفي سنة ١٤٩ قبل المسيح كانت خاضعة للارمن ، وفي سنة ٦٨ قبل المسيح سقطت ثانية في يد



تحت الآلاتيه في نصيبين

الرومانيين

وأثار نصيبين ظاهرة لا تحتاج الى الحفريات ولكن تلك الآثار مجردة من الكتابات الصريحة الواضحة ، وانك لترى من سور المدينة عدداً من الحجارة المقورة وفيها كنيسة قديمة خاصة باليعاقبة ترتقي الى القرن الرابع وهي مشيدة على اسم مار يعقوب وهي قائمغامية

اكثر سكانها من اليهود . ولؤلؤ القوم ندية كثيرة للسهرة بصرفون فيها الموامير واللبالي في اللهو والطرب ويؤمها جمهر من العرب وغيرهم من التجار الذين قضاء الليالي فيها وانفق ان سرق لنا فرس في تلك الليلة نقاسينا الامرين حتى غثرتنا عليه واسترجعناه وقد كلفنا في ذلك فوق المشقة والتعب مالا وافرا يضاهي ثمنه

١ تموز

صرقنا نهارنا في نصيبين لاننا لم نر مع ساعة في الليل الغابر اخف الى ذلك ان المسافة بينها وبين ماردین طويلاً جداً ولا ماء في طريقنا ولا محطة آمنة نستريح فيها من عناء السفر . فتفقدنا المدينة بما فيها واذا بأسواقها كاسوق مدينة صفد في فلسطين ضيقة وكلها مسقوفة .

٢ تموز

تركنا نصيبين عند الساعة السادسة صباحاً وصرنا المويدي في القفرت تحت الخرا الاذع تتجاذبنا الموائيس وتتنازعنا انواع الاضطرابات ولم يطمئن بالنا حتى انتهينا الى عتبة ماردین وكانت الساعة السادسة مساء . فاهتمنا بامر نصب الخيام قبل حلول الظلام وذلك مستصعب جداً في ماردین ففتشنا كثيراً علنا نتوصل الى باحة او مكان فيصح في وسط المدينة فلم نجد . فاضطررنا ان نزل قرب عين سنجل الواقعة في وادي شرقي المدينة والبيدة عنها نحو ربع الساعة . وبقنا هناك ليلتنا بكل راحة وطمانينة ويحيط بعين سنجل بساتين واسعة يقصدها اهل ماردین للفترة في ايام العطلة والمواسم

٣ تموز

وكان انه في اليوم الغابر زارنا رجل من اعيان ماردین ففرض علينا ان يعود صباح اليوم الى عين سنجل ليذهب بنا الى ماردین ويكون لنا فيها دليلاً يرشدنا الى كل ما يستحق الالتفات والزيارة . فبر الرجل بوعده وجاءنا حوالي الساعة السادسة صباحاً فشرعنا القهوة معاً ثم تناولنا طعاماً خفيفاً وصرنا على الاقدام الى المدينة . واذا بمدخلها مدخل مدينة محصنة يمر اليها بين جبلين عظيمين وهي قائمة على قمة جبل وكان اكثر سكانها في ذلك الحين من الامة الارمنية ومسلموها كانوا اقلية .

وكانوا يلقونها بعاصمة الارض نظراً لكثرة عددهم وثروتهم الوفرة وكان فيها آنذاك مركز بطريركية السريان ومركز لجمعية لاتينية ومثله للرسليين الاميركيين وعدد غير قليل من المدارس المذكور والانات . وفيها سراي للحكومة وكان الجنود باجمعهم يقيمون في داخل قلعة المدينة . ويظهر ان ماردین كانت فيما عبر قلعة رومانية . وقد استأثرت نظرنا مسلك اعيان تلك المدينة فانهم جماعة اعزاء النفوس كرميو الاخلاق راقون متعذبون تهذبوا اوروبيا . وقد فهمنا من دليلا ان اكثرهم قد تلقوا علومهم في مدارس بيروت الكبيرة . واكثرهم في الجامعة الاميركية . والجامعة الاميركية في ماردین محبوبة كثيراً من السكان

وبعد ما تفقدنا كل ما تقدم ذكره مررنا بمرکز الرسالة الاميركية وقابلنا السيد اندراوس رئيس الرسالة فاحسن استقبالنا ، وعدنا الى عين سنجل نتغدى ونرتاح وكاف



وأكراماً لنا أحياء ليلة
طرب كان في اثناثها الشبان والانساء يشدون الاناثي التركية موقفة على اوتار العود
والقانون ، ودامت مهرتنا هذه الى نصف الليل

٤ تموز

كنا قد انجزنا في اليوم السابق الاجراءات اللازمة للمدركين الزممين ان يرافقنا
الى ديار بكر فنهنأنا باكراً فننظر قدومها ، وما هو غير القليل حتى جاءنا ضابط من قبل
حكومة ماردين وقال : تمس اعتدت عصابة من الاشقياء الاكراد على بعض القوافل
ونهبهم وسلبتهم فاضطرت الحكومة الى قطع الطريق وبعثت بقوة مسلحة لتسأوب
وللك الاشقياء وقد كلفتمني بان اقل اليكم هذا الخير وانصح لكم بتأجيل السفر
اسبوعاً الى ديار بكر

ترجمت للسائح مقال الضابط فقال : اذن نغير خطتنا فشكرنا للضابط وحكومته
هيئتهم وعطفهم علينا وقالوا له ان يبعث اليك بدر كيين يسيران معنا على طريق آخر .

فعل ، وتركنا عين منجل الساعة السابعة صباحاً وسرنا وجهتنا « جرجوره » فانتهينا
اليها عند الساعة الثالثة مساءً
وجرجوره قرية صغيرة اعاليها من الامة الارمنية وكانت من جملة القرى التي شملتها
المذابح الارمنية الفظيعة دخلنا كنيسة القرية نزورها فشهدنا الكاهن الذي روى لنا
ما تقشع منه الابدان ، وما قاله ، ان السماء التي سالت في هذه الكنيسة بلغ مجراها
عشرين متراً ان لم اقل اكثر فان البرابرة ذبحوا جماعتنا ذبح الغنم ، وقد نجا عدد منهم
من الرجال والنساء ولكنهم بالجمعهم بشوهون فنهض من قطع يده وبترت رجله او
فقت عينه وهلم جرأ وليس سوى الصغار في هذه القرية من هو الان صحيح الجسم

٥ تموز

غادرنا جرجوره الساعة السابعة صباحاً فوصلنا الى « داسي » الساعة الثانية بعد الظهر
ونصبنا الخيام على البادر خارجاً عن القرية
وداسي قرية صغيرة سكانها مسلمون ومسيحيون وهي من املاك احد مسيحي
ديار بكر ، وموقعها على حدود القرى الارمنية التي جرت فيها المذابح

٦ تموز

خرجنا من داسي الساعة السابعة صباحاً فوصلنا الى وارن شهر عند الساعة الثالثة
مساءً ونصبنا خيامنا خارجاً عن المدينة
ووارن شهر مدينة قائمة بين الانار والقبور للرومانية وفيها كان ابراهيم باشا الكردي
يقضي فصل الشتاء

وفي ايام السلطان عبد الحميد كان ينضم الى ابراهيم باشا جماعة الاكراد الذين
ياتمروا باوسره وكانت الحكومة تقدم لهم كل حاجياتهم وكان ابراهيم باشا يقبض
من الدولة العثمانية مبلغاً سنوياً معيناً لقاء محافظته على الامن في تلك المنطقة ، وكانت
تدعى الكتيبة الخاصة لابراهيم باشا « بالفرقة الحميدية »
وقامت تلك المدينة من لاشيء فقد كانت في بدء الامر محطة للارمن المهاجرين
واصبحت في عهد ابراهيم باشا الكردي مدينة أهلة يزوها اثني عشر الف نسمة من البشر
وبعد وفاة ذلك الزعيم سنة ١٩٠٨ بدأت وارن شهر تعود القهقري وقد حاجبها

الاتحاد بوث وقتلوا عدداً كبيراً من اهلها وهرب البقية ناجين بنفوسهم فبانت للمدينة قاعاً مفضلاً

وفي الايام الغائرة بنى الرومانيون سوراً لهذه المدينة ولا يزال قسم من ذلك السور الى يومنا هذا . وكانت المدينة في عهد الرومانيين محصنة لا يدخل اليها الا من بعض المدخل . وقد شاهدنا غربي المدينة اثار كنيسة عظيمة بنيت من الحجر الاسود . ويومئذ تاريخ هذه الكنيسة الى البيزنطيين الاقدمين . وفي ارض الكنيسة نسياء جميلة وقواعد اعمدة كثيرة واثار عديدة من حجارة متنوعة النقش

٧ تموز

سافرنا باكرآ من وارنشر وجيتنا « محمد خان » فكنا هناك عند الساعة الثامنة مساء ونصنا خيامنا في سهل فسيح مقفر . ومحمد خان اسم يلا مسمى وقد اعطيت قديماً هذا الاسم لانه كان هناك رجل ماله لتلك الاراضي فبنى فيها خاناً لمواشيه وكان اسم الرجل محمد فسما الخان باسمه وليس الان في ذلك المكان سوى بضعة ييادر يستخدمونها في اiban الحصاد . وبتنا ليلتنا في ذلك المكان على اننا لم ندق طعم الراحة الليل بطوله نظراً لشدة الحر وكثرة البرغش والهوام المزعجة

٨ تموز

غادرنا محمد خان الساعة الخامسة صباحاً فكنا الساعة الخامسة مساء في مدينة اورفا فنصنا خيامنا الى جانب مدخلها الطبيعي المجري وبتنا ليلتنا هناك لم نلج المدينة

٩ تموز

نهضنا باكرآ وشربنا القهوة وتناولنا طعاماً خفيفاً ثم تأهينا لزيارة المدينة ، وماشاهدناه قلعة يقال انها بنيت في ايام الصليبيين ولربما كانت اقدم عهداً وهي قائمة غربي المدينة ومبنية من الحجارة الطبيعية وفيها البحرة المقدسة ويبيع ماء يسمونه نبع ابراهيم الخليل وفي البحرة المقدسة جميع الوان السمك وكل سمكها داجن ، يجلس القوم حوالى البركة يشربون التارجلية ويقدمون طعاماً للسمك ومتى دنت السمكة تتناول ذاك الطعام يصبح في وسع الانسان ان يسكسها بيده وهي لا تهرب منه ، على انه محظور على الجميع

اصطياد السمك في تلك البركة وفي شرعهم كل من خالف هذا الامر حوكم وصار محترقاً في عين الشعب ، والى جانب هذه البركة جامع يعرف بجامع ابراهيم فان المسلمين هناك يعتقدون ان اب الاياه ولد في تلك المدينة وفي ذلك المحل منها ، وعلى مدخل القلعة عمودان يرجح انهما من بقايا معبد بعل ، واكبر بنايات اورفا الكاتدرائية الارمنية وقد شيدت في عهد الصليبيين ، وبعد ان تفقدنا داخل المدينة سعدنا على الجبال العالية المحيطة بتلك المدينة

وفي سنة ١٨٩٦ وقعت في اورفا المذابح الارمنية وكان انطالها جماعة الاكراد والترك فقتلوا في داخل الكاتدرائية لا اقل من الف ارمني حرقاً بالنصار حيث اشعلوا النار في داخل البناية في السجاد والحصر ، الادوات الخشبية وقد رأيناها سوداء من الداخل من جراء الحريق المائل

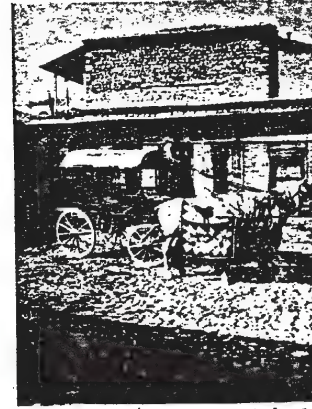
وبوجد في اورفا ابضاً جامع يدعى « لولو جامع » والظواهر تدل على انه بني في ايام يوستينيانوس ، ان البركتين المقدستين التي لاتزال احدهما قائمة حتى اليوم كانتا مكرمتين لاجل عبادة الالهة

١٠ تموز

خرجنا من اورفا الساعة السابعة صباحاً وركبنا عربة نقلنا الى مروج وكنا قد ارسلنا اليها الحملة بأسرها من رجال وخيل ودواب ومؤونة الخ . وبتنا ليلتنا في مروج حيث رسمنا خطة سفر جديدة لاننا كنا قد سمعنا ان الحرب لا شك واقعة في القريب العاجل ، بعد قتل الارشيدوق فارديتاند ولي عهد النمسا هو وزوجته في مارجيفو . فاحيناً ان نرجع الى بيروت سالكين اقرب الطرق

١١ تموز

استأجرنا عربتين الواحدة لنقلنا والثانية لنقل امتعتنا الخاصة وخرجنا من مروج عند منتصف الليل تماماً بغية الوصول الى محطة جرابلس في موعد القطار فتممكن اذ ذلك من ركوبه الى حلب . وكنا اوعزنا الى رجالنا أن يوافونا الى حلب وصلنا الى جرابلس عند الساعة الحادية عشرة صباحاً ولم يكن القطار قد بلغه . وكان قد حدث بعض التغيير في نظام سيره . فانتظرنا في جرابلس الى الظهر . وبعد



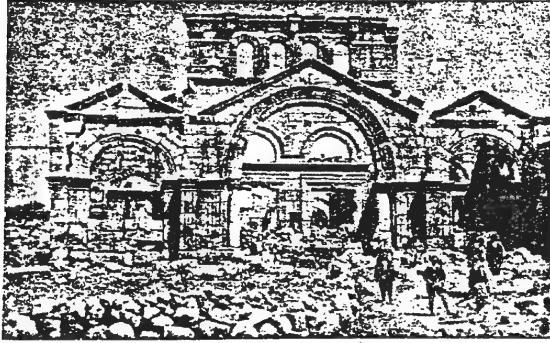
نصف الساعة كبنّا القطار الى حلب
فكنا فيها عند الساعة الرابعة والنصف
مساءً . فنزلنا في فندق « بارون »
حيث مكثنا تلك الليلة نرتج
وتدون مذكرياتنا . وفي أثناء السهرة
قال السائح : لم يبق لنا من سبيل
الى انجاز رحلتنا حسب الخطة التي
رسمناها اذ لا بد من دخول تركيا
في الحرب الى جانب المانيا حليفها
فلمست اريد ان اقع اسيراً بين يدي
الأتراك وقد عزم على العود الى
وطني بأسرع ما يمكن . ولا يوجد

باخرة تسافر من بيروت قبل
عشرين الجاري فليكن البرنامج مطابقاً للوقت ونزور المحلات الممكنة زيارتها في
هذه المدة .

١٢ تموز

زورنا في حلب ما يستحق الزيارة : القلعة والاسواق والجوامع ، وبعد الظهيرة ذهبت
لاستلام الابتعة التي كنا بعثنا بها من دير الزور قبل وصولنا الى الجزيرة وانتهت بها الى
الزور ، وبعد الشاء خرجنا ننزه في المدينة فادى بنا السير الى مقهى حيث حضرنا مجلس
طرب فسمعنا الغناء الحاي وشاهدنا الرقص الحاي والترك . وعند نصف الليل عدنا الى
الزور .

ثم عدنا الى عهد ابراهيم الخليل ، غزاها سلعناصر الاشوري الفاتح ايام كانت
دولة اجداده ودولة احفاده تسير شوطاً عظيماً في التوسع والاستعمار
هاجها كسرى الثاني وفتحتها العرب ولبثت مدة طويلة في الجليل الماشر مقراً للمكثهم
صيف الدولة وقد لعب في ايامه ابو الطيب المتنبي ذلك الشاعر العظيم دوراً مهماً في دولة



قلعة سمعان

الادب والشعر ، وفي هذا الجبل نفسه هاجها البيزنطيون ، اهل الاستانة وما يليها ، وما
استطاعوا التغلب عليها فثاعة حرونها ، ثم حاصرها الصليبيون فامتنت عليهم ، ثم غزاها
تيمورلنك فسبها ونهبها وفتح وقتل في اهلها ، ثم استولى عليها المماليك تحت قيادة
السلطان سليم سنة ١٥١٦ واستمرت في حوزتهم الى نهاية الحرب الكونية وكان
عدد سكان حلب في ذلك الحين ١٥٧ الف نسمة واكثرهم مسلمان

١٣ تموز

بقينا في حلب قصدنا الدرويشية التي اهل الذي يعيش فيه الدراويش وسور المدينة
القديم حيث وجدنا الاعمدة العديدة بب الجنائن ، باب انطاكية ، باب الكناسرين ،
والقمة التي بالقرب من الباب الاخير منظر عام لمدينة حلب
المانات : خان الوزير وله مدخل بدبوع الشكل ، خان الجرك ، صرّاف النهار كله
بين الانار ، وعند نصف الليل وصلت الجملة

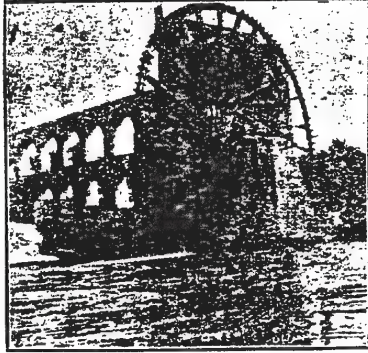
١٤ تموز

صباحاً قمنا لامتعة التي كانت في الفندق الى الجملة وتركنا حلب حوالي الساعة

١٦ تموز

تركنا قلعة سيمان باكراً الى محطة القطار القريبة وهناك تركنا الخيل مع الحلة
واوعزنا الى رجالها كي يواصلوا السير الى بيت شباب

ركبنا القطار الحديدي من محطة حميدية الى حماء فانتبهنا اليها عند الساعة التاسعة
صباحاً . تركنا القطار في المحطة واستأجرنا عربتين واحدة لنقلنا والثانية لنقل متعتنا
الخاصة . نزلنا الى المدينة وتقدناها فوجدناها معجبة . نواعير حماء الكبيرة النادرة
بسم صداها ليل ونهار وهي الوسطة لنشل المياه من نهر العاصي لسقاية الجادين والمزروعات
ونهر العاصي مار في وسط حماء آتياً من الجهة الجنوبية الشرقية صاعداً الى الحية الشمالية
الغربية .



ومعجبات حماء جبل الارابيين
سيل عبيدين ، جبل الاعلى
جسر السراي قصر الكيلاني
جامع الكبير ، جامع الحية ،
بيت المؤيد

وحمام قديماً كانت يوماً
عاصمة عظيمة كما ذكرها
بوسيفوس كانت تدعى اماتا
ثم سميت ايفانيا في عهد
انطونيوس الرابع
وفي سنة ٦٣٩ دخلها الاسلام

الناعورة في حماء

بقيادة ابو عبيدة الذي حول
الكنيسة الى جامع

حماء كانت تحت سلطة الاسماعيليين ، اخذها الافرنج في سنة ١١٠٨ ثم هاجمها
في سنة ١١١٥ الترك واستولوا عليها وفي سنة ١١٥٧ خربت من الهزة الارضية وفي سنة

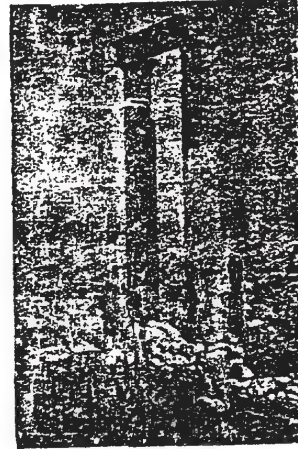
الثامنة صباحاً فذهبنا الى قلعة سيمان الساعة الخامسة مساءً نصبنا الخيام في واد تحت
القلعة المذكورة بالقرب من بئر ماء وبنينا تلك الليلة متحفطين كثيراً من غارات الترك
الذين اعتادوا على النهب والسلب في تلك البقعة

١٥ تموز

نهضنا باكراً وطلدنا من الوادي الى القلعة نتفقد آثارها ولم يبق على سيرنا الدقائق
الخمس حتى كنا بين الاثار المعجبة

قلعة سيمان بنيت في القرن الخامس بعد المسيح كدير اسمه سيمان المامودي ابن احد
فلاحي القرى المجاورة الذي ولد سنة ٣٩١ ومات سنة ٤٥٩ من صخر سنه كان ميالاً
للتفكك والعبادة . في سنة ٤٢٣ بنى عاموداً بعلو معتدل حيث عاش عليه سبع سنوات وبعد
ذلك نقل الى عامود علوه ٣٨ قدماً حيث صرف بقية حياته

وجعل الاسلام الدير قلعة لاث
الموقع مطابق لذلك والقلعة قائمة على قمة
جبل طوله ستماية يرداً وعرضه مماية
ومحيط من حوله من الثلاث جهات
وديان والجهة الشمالية جبل يركت . وفي
وسط الدير حوش وفي وسط الحوش هذا
قائم العامود المذكور آنفاً . شكل البناء
في جميع جهات الدير معجب من حيث
الهندسة والنقش .



عامود مار سيمان

بعد زيارة جميع بنايات الدير والقلعة
واصلنا السير على الاقدام الى مدينة سيمان
حيث تقوم المنازل والقبور . والمدينة
هذه قائمة في الوادي الغربي من القلعة
بعد ان تفقدناها رجعتنا الى الخيام وبنينا
ليتنا متحفطين كل التحفظ

١١٧٨ هـ أصبحت تحت سيطرة صلاح الدين الأيوبي ، ووجدت حماه مجدداً وثروتها في عهد ايو القدي من الأيوبيين الذي ولد في سنة ١٢٧٣ وفي ١٣١٠ عين أميراً أو سلطاناً على حماه وتوابعها مرة والبرازين ، وكان يعرف بالملك المؤيد ، عزز السلم والادب وجعل سلطنته من احسن الممالك المجاورة ، ومات في سنة ١٣٣١ وبموته انتهت حياة حماه وعادت القهقرى

قضينا ليلتنا في حماه صرفنا السهرة في مقهى على ضفة العاصي وبنتنا في فندق وطني نظيف للغاية

١٧ تموز

نهضنا باكراً وركبنا العربات الى محطة القطار وبوصله ركبناه الى حمص التي وصلناها وسط النهار ، استأجرنا عربة قلنا الى منزل السيد حسن الزهراوي حسبما افادنا الشيخ محمد المحم ورشدنا السيد الزهراوي الى محل اقامة الشيخ الملمم فذهبنا اليه الى مضارب القبيلة وكانت على مسافة ساعة ونصف من المدينة ، وتناولنا العشاء على مائدة الشيخ محمد المحم وقضينا عنده سهرتنا حتى الساعة الحادية عشرة واخبرناه عن البدوي الذي قصده قبل وصولنا الى تدمر فكان كما يسمم كلمة من كلام ذلك البدوي بتأثر ويقول باليتي كنت معكم

وودعنا الشيخ عثدين الى منزل الزهراوي وقد ارسل لخراستنا عثدين مقلدين باتسلحتهما الكاملة ، وكان الزهراوي قد اعد لقادنا غرفة في الطابق العلوي فقمنا بكل راحة

في موقع حصص في سهل خصب ، تقوم في جهته الغربية الجبال القاحلة الجرداء ، وقد لبثت هذه المدينة دوراً مهماً في العهد العربي القديم وكانت لها منزلة المحترمة في الرقي والتجارة ، واحتلها الصليبيون في آخر الجليل الحادي عشر ثم استولى عليها العثمانيون فبقيت في حوزتهم الى نهاية الحرب الكونية ، عدد سكانها ٥٦ ألفاً تقريباً معظمهم من المسلمين

١٨ تموز

سافرنا من حمص بعد ان نفقنا مدارسها واسوقها وانوال المنسوجات وكنا في

بعلبك حوالي الظهر فتناولنا طعامنا في فندق كران نيواوتل (١) حيث شعرنا براحة تامة وذهبنا بعد الظهر نزور المدينة وآثارها

بعلبك لفظه مركبة من كلمتين : بعل وبك ومعناها بالفينيقي «رب الوادي» وقيل بل مدينة البعل او بيت الرب ، وسماها اليونانيون هليوبوليس اي مدينة «الشمس» وهي مدينة قديمة العهد كله الشجرة تحيط بها اثار اسوار قديمة وحدائق غناء من كل جانب وفيها تبع مشهور هو رأس العين ، وقلعتها من اعجب مباني الدنيا وابهجها اثراً ، كانت بعلبك من اعظم المدن السورية ومن اشدها منعة ، وكانت محطة للقوافل بين صور والشرق ومقصداً للملوك ومطمحاً لعيون الدول القديمة ولذلك زينت بالمباني كل الجبلية اخصها هيكل الشمس وقد كانت سبباً لتقدمها وعمرانها ، وقيل ان تماثيل الشمس جلب الى هذا الهيكل من مصر وهو يشبه تماثيل اوزيريس

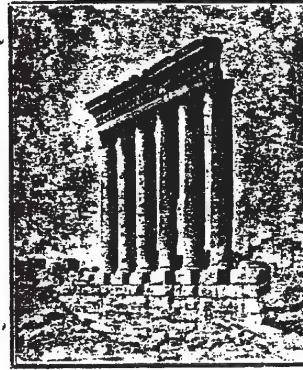
ولما انتشرت الديانة المسيحية في الشرق مجرت كل المباني وتحول هيكل الشمس الى معبد ، وكان ذلك في عهد قسطنطين الملك ، وبقيت زاوية مزدهرة الى ان فتحها العرب سنة ٦٣٥ وقد خربها الايوبيون واستباحوا اهلها ، وفي سنة ١٤٠٠ داهمها قيصورلنك فخر ما بقي من قصورها ثم داهمها زلزال اودي بكل عامر وكان ذلك في عام ١٧٩٩ -

وقد ارتبك الغناء في امر بعلبك وبحوثا كل البحث توصلنا لتاريخها الصحيح فلم يحصلوا على نتيجة ، ويذهب العرب الى انها من بناء سليمان الحكيم وقد ذهبها الى بلقيس هراً غير ان ذلك لا يعول عليه ، وأول ما عرف من تاريخها الصحيح زمن استيلاء يوليوس قيصر عليها وذلك في اواسط القرن الاول قبل المسيح ، وفي ايام اغسطس كان فيها حامية من الرومان بدليل ما كتب على باب احد المباني كل

وقاست بعلبك من الاحوال ما لا يطاق لانها كانت قبلة لجموع الفاتحين ومع ما تحمله من انواع الذل وما لحقها من الخراب فانت قلعتها المعجبة ما زالت قائمة تناطح الدور وتجرأ بالجبال المنيعة وتبلغ استدارتها من اربعة الى خمسة كيلومترات وهي بعد تدمر من اعجب اثار سورية واشهر ما يرى منها من السهل رواق مؤلف من ستة اعمدة

(١) : كران نيواوتل الذي بناه المرحوم ابراهيم عريدي واليه يرجع الفضل في تسهيل زيارة بعلبك لانيح لانه اول من بنى فندقاً من الدرجة الاولى في مدينة الشمس

وقسم من جدران الهيكل الكبير
اما الهيكل الصغير فيدعى هيكل
« باخوس » وفيه نقوش فاقت حد
الابداع . وفي جملة تلك النقوش
رسوم اغصان الخليلاب او الكرمة
وكلها منقورة في الحجر
اما المهندسون الذين تولوا بناء
المباني الضخمة في بعلبك فيعدل
بالادلة المقتعة على انهم كانوا سوريين
١٩ تموز



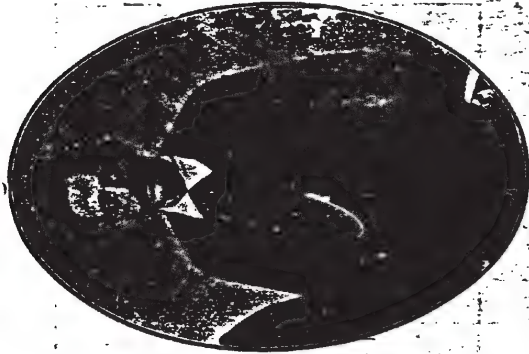
انجرنا زيارة الآثار المذكورة

قلعة بعلبك

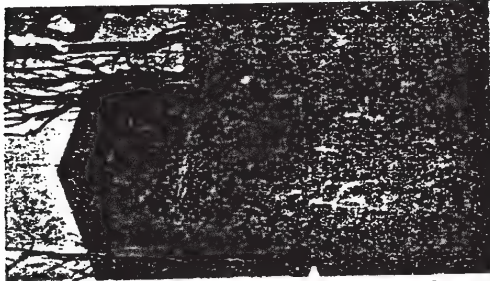
سابقاً ثم ركبا القطار الحديدي
الذي اقلنا الى بيروت فانتهينا اليها عند الساعة السادسة مساءً . وكنت اخي يونا
وزوجتي ينتظراني فيها . واتفق ان احدي البواخر كانت تنأهب للسفر الى اورونا في
ذلك المساء . فبادر رفيقي الى ركوبها وقد ودعته والسمع يسبح من اعين كنيانا وكنا
قد صرفنا ايامنا الماضية على اتم وفاق لم يكدرنا مكدر ولا زعجنا مزيج
بقيت واخي وزوجتي في بيروت تلك الليلة وافكارنا مضطربة من الاخبار التي كانت
تجذبنا لطرب القرية

٢٠ تموز ١٩١٤

غادرنا بيروت يا كراً وجهتنا بيت شباب العزيرة مسقط رأسنا وهناك اجتمعت بعد
غياب طويل وصغر شاتي واخطار عظيمة الى والدي وشقيقي وشائير الانباء والاصدقاء
والمواطنين الذين هنا وفي بروجي اليهم سالماً



يوسف الخليل
والصالح
الأسامة
الفورقة



مسقط رأس صاحب الرحلة في بيت شباب



ميشل افندي يوسف الحايك

شقيق صاحب الرحلة



حنا افندي يوسف الحايك

شقيق صاحب الرحلة



الانساء والاصدة
يوم وصولي الى بيت شباب



الانساء والاصدقاء
يوم وصولي الى بيت شباب



الشيخ جان يوسف المكرزل

صاحب معامل الحرير الكبرى في بوناسيرس
ادب ناضج ، وثقافة عالية ، ونفس اية ، وكرم حاتمى يزينه شباب ناهض وطلعة
جميلة وخلق كرم .
نال في مهجره ثروة طائلة بجدته ونشاطه واستقامته ، كما نال منزلة سامية كانت له
ولوالده وجده في الوطن القديم



حسن افندي شبلي القرداحي
من معتبري تجارنا في الارجئين
جورج افندي شاكر الحود
من زعماء النهر قضاء الشوف

حسن افندي شبلي القرداحي

غيره ، جواد ، رائده الى الاخلاص والولاء ، والاندفاع في سبيل اصدقائه ،
هاجر الى ليدار الاميركية تحازه آمال كبيرة ونفس مثله صاب نجاحا باهرا ومنزلة
محترمة .

جورج شاكر الحود

من اولئك الشبان اللامعين الذين بلغوا قسطهم الوافر من التقدم والنجاح بصدقه
واستقامته فهو من معتبري تجارنا في ديو ريل السفال واشدم غيرة واخلاصا
كان قبل هجرته ترجمانا في فيلق الطيرن الالماني سنتين ١٩١٥-١٩١٦ اياها
الحرب الكونية ، ثم ترجمانا في فيلق ميسور الانكليزي سنة حلب سنة واحدة بعد
الاحتلال ثم ترجمانا في الباخرة الحربية الافرنسية شاليتيا ليزرون سنة ونصف
فكان في وظيفته مثال الصدق والاستقامة والزهادة



الشيخ هنري الجيل

الفيرة والوطنية والاقسام والتضحية والانحلاص والولاء. بعض ما اتعف به الشيخ
 هنري الجيل عين اعيان الجالية اللبنانية في متروفا ليريا ومؤسس ورئيس الجمعية اللبنانية
 فيها وحالي الاسم اللبناني عالم شربقا في تلك الامصار